مفاهيم إسلامية

النكسة .. والغزو الفكري

محمد جلال كشك

الطبعة الثانية

الطبعة الأولى
شوال ١٣٨٨
يناير ١٩٦٩

الطبعة الثانية
جمادى الأولى ١٣٨٩
سبتمبر ١٩٦٩

مفاهيم إسلامية

النكسة والغزو الفكري..

محمد جلال كشك

إلى أبطال فتح ..
فازوا بالبطولة والشهادة ..
وتركوا لنا الثرثرة .. والنكسة ..

خطبة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي في الله محمد

تحية مباركة طيبة وبعد

قرأت كتابك الأخير [illegible] والفكر [illegible] وكم سعدت به [illegible] التي
وردت في آخر كتبك [illegible] فذلك [illegible] بنا كي [illegible] أولاد [illegible]
ثانية [illegible] فوقها [illegible] كتابنا جميعا (دعاة) ولكن [illegible]
أم [illegible] مسلم [illegible] بنية التوبة و[illegible]
وأنا أرى في كتابك [illegible] المسلم [illegible]
عن [illegible] والحمد لله أنه [illegible] لكل [illegible]
[illegible] بالله يا محمد أدعو الله أن أرى
المزيد المزيد من هذه الكلمات التي [illegible] أنت عند الله
[illegible] أن [illegible] كل [illegible]
بل [illegible]
الدنيا إذا [illegible] فنحن [illegible]
[illegible] أما أنت فزيدنا من الجهد وزيدنا من الكلمات [illegible] التي
[illegible] لكل مسلم [illegible] الدين الإسلامي
[illegible] القادمة [illegible]
[illegible] والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أختك

فاطمة

خطبة الكتاب

الحمد لله ..

جعل لكل شيء سبباً ، وأمرنا بمعرفة الأسباب .. وبرحمة منه علمنا قانون التغيير ، فقال سبحانه وتعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتّى يغيروا ما بأنفسهم»

فالتغيير لا يهبط من السماء، ولا يُستورد ، ولا يتم في أروقة الأمم المتحدة، ولا يُستجدى بالمساومات والتنازلات ..

والذين يتوقعون أن تحدث لهم معجزة .. فينتصرون بالمفاوضات ، وقد هزموا في الحرب .. لن يروا المعجزة، بل سيصيبهم المسخ.. لأنهم يعارضون القانون الالهي ، يعارضون قوانين الكون ، ويتجاهلون خبرات الشعوب ..

فبارادة الله لا يقع التغيير ، الا بثورة تغير ذات الذين ينشدون التغيير ويأملون فيه .. إذ فيهم وبهم ، يجب أن يقع التغيير .. فالانسان سيد مصيره ، وهو وحده القادر على إحداث التغيير ، شرط أن يتغير هو ..

انسان الهزيمة لا يقوى الا على صنع المزيد من الهزيمة مهما تمنى ومهما ادعى .

انسان الهزيمة يتحدث عن التغيير في كل شيء الا في ذاته .. فلا يغير شيئاً على الاطلاق ..

امة الهزيمة تفتش عن الخلاص في كل مكان الا في ذاتها .. فتهوي من هزيمة الى هزيمة ..

انسان الهزيمة ، ما زال يبحث عن السلاح ويكدسه ، تماماً كما كان الفأر يطلب جلد النمر .. حتّى نفض الحكيم يديه منه ، يائساً .. « ما جدوى أن ألبسك جلد نمر .. وبين جنبيك ، قلب فأر ؟! »

فلنبدأ اذن بقلب النمر وارادته .. فسينبت القلبُ جلدَه ، ومخالبه .. وانيابه ..

انها عبرة التاريخ كله .. التغيير يبدأ في ذات الانسان أولا ..

والا .. فماذا تغير في جزيرة العرب خلال السبعين عاماً التي انقضت على عام الفيل ؟

في عام الفيل .. أمر القيصر ، عميله الحبشي بشن غارة تأديبية على العرب لسوء سلوكهم ، ووصلت جيوش الحبشة الى حدود مكة ، وفر رجال مكة الى رؤوس الجبال مذعورين من التفوق العسكري الساحق للأحباش ! ..

وبعد سبعين عاماً .. كان هؤلاء العرب يدكون ملك كسرى ، ويفر قيصر مذعوراً منهم قائلا : « وداعاً سوريا .. وداعاً لا لقاء بعده » .

ما الذي تغير .. هل اكتشف العربُ سلاحاً جديداً .. كيف أصبحت مكة ، التي انجتها معجزة من أقدام الفيلة ، أمنع مدينة في العالم ، أمنع من وشنطن أو موسكو اليوم، لا يفكر محتل فضلا عن عاقل في غزوها.. لقد ظل تفوق أعداء العرب المادي كما هو .. ولكن تغير الانسان العربي .. اندثر الانسان الجاهلي وولد الانسان المسلم .. فتغير كل شيء .. غير العرب ما بأنفسهم ، فغير الله ما بهم .. وانتصروا وسادوا العالم ..

ما الذي تغير في الصين .. صين الأباطرة وتشانج كاي شيك .. قطعة اللحم التي تلتهمها الأطماع ، وتشتهيها الأنياب .. وتنهار أمام زحف الاستعمار الغربي والياباني .. هذه هي الصين حتّى اكتوبر ١٩٤٩ .. ما الذي تغير حتّى تقهر أميركا في حرب كوريا سنة ١٩٥٠ .. لم تكن قد أقامت صناعات بعد

ولا امتلكت سلاحاً نووياً .. ولكن كل شيء تغير . . اختفى انسان الهزيمة انسان الأفيون ، انسان الاستسلام ، انسان الصبر العاجز .. وظهر إنسان إراد النصر .. انسان : « نحن ستمائة مليون ، لو تنفسنا في اتجاه واحد لأحدث اعصاراً يهلك أمريكا ..» ما الفرق بين انجلترا تشمبرلن ، وانجلترا تشرشل . ربما كانت بريطانيا في أدنى قدراتها العسكرية والصناعية عندما جاء تشرشل . ولكن بمجيئه تغير الانسان .. او قل تغيُّر الانسان هو الذي جاء به ..

وبدلا من انسان تشمبرلن الراغب في السلام بأي ثمن .. والمستعد دائ للتنازل .. جاء انسان تشرشل ، الذي حدد هدف بريطانيا في مطلب واحد « استسلام المانيا بلا قيد ولا شرط » !! .

كم كان هذا القرار مدهشاً ... ولكن انجلترا تشرشل آمنت أنه هو وحد الحل الوحيد الممكن .. لذلك كان لزاماً عليها أن تنجزه .. فأنجزته ..

ما الذي تغير في ظروف الفلسطينيين حتى تنقلب الصورة .. من ايتـا الدول العربية ، تجود عليهم بتصريحات عن عدم التفريط في حقوق شعب فلسطين .. ويمنحونهم مقعداً صامتاً في اجتماعاتهم ، ويقضون في مصيره حين يغيبون ، ولا يستشاورون وهم شهود ..

انقلبت الصورة إلى حد أن تبادر منظمة فتح بالثأر «للعدوان الوحشي الظالم » على « الشعب الأعزل » « والفلاحين المسالمين » في نجع حمادى .. في مصر قاعدة النضال وقيادته ؟! .

ما الذي تغير ؟ .. هل اكتشف الفلسطينيون سلاحاً جديداً ؟ .. أم هـل احرزوا تفوقاً تكنولوجياً ؟

ابداً ..

اختفى انسان النكبة .. مات .. وولد انسان النصر .. الانسان الذي يؤمن انه لا مفر من احراز النصر الكامل ، لأنه لا بديل عنه ..

واكبر خطأ نرتكبه هو البحث عن اسباب الهزيمة ، عند خط النار ، ومن ثم نتصور أن التغيير المنشود .. يكفي حدوثه هناك ..

لا .. ان الأمم لا تنهزم عند خط النار .. بل تعلن هزيمتها هناك ..

انما تُهزم الأمم قبل الصدام المسلح بسنوات وبعيداً عن ميدان القتال ..

ان الغزو العسكري لا يحقق أكثر من سحق مقاومة الخصم ، ومنعه من الدفاع عن مصالحه ، وإخضاعه لارادة الغازي .. ومنذ عصور سحيقة في القدم ، منذ أن أقام « تحتمس » مدارس خاصة في « طيبة » لابناء حكام الولايات في امبراطوريته .. اكتشف الانسان الغازي سلاحاً أكثر فعالية في احراز النصر ، من العصى ، والرمح ، والبندقية ، والغازات السامة ، والقنبلة الذرية .. انه الغزو الفكري .. هزيمة الخصم داخل رأسه ، اخضاعه لتوجيه خصمه المدمر ، تسليحه بالفكر الفاسد المضاد لمصلحته .. عندئذ تصبح القنبلة الذرية في يده مجرد قطعة من حديد ، بل يصبح السلاح في يده قوة لخصمه ، وليس قوة ضده ..

ومنذ عشرات السنين .. منذ أن دارت دورة الحضارة ، وتخلفت حضارتنا وتراجعت عن موقعها كقيادة لحركة التاريخ ، ومنارة المعرفة .. لتصبح مطمعاً للحضارة الغربية الغازية . منذ ذلك التاريخ بدأت عملية الغزو الفكري للعقل العربي ..

لقد بدأت عملية الغزو الفكري ، على يد الاستعمارية العالمية ، فلماظهرت الصهيونية على المسرح ، وتقرر أن تكون بلادنا هي مركز امبراطورية اسرائيل العالمية ، تولت أجهزة الصهيونية ، مستعينة بتراث ومعاونة الأجهزة الاستعمارية عملية الغزو الفكري لبلادنا ..

تولت تدمير كل القيم .. وانتزعت حاضرنا من تاريخنا .. وشوهت هذا التاريخ .. وفي الوقت الذي كان يتم الغزو البشري لبلادنا من خلال الاعتزاز

بالتاريخ اليهودي ، كانت تظهر عندنا مدارس وحركات تهاجم التاريخ العربي وتدعو الى التحرر منه ، وتكيل له التهم ، وتدفع الأغرار من الناشئة الى الزراية به ، أو الخجل منه .. وأمة بلا تاريخ هي أمة بلا مستقبل ..

كانوا يقيمون ، في قلب بلادنا ، دولة دينية تقوم على التعصب القومي .. ولخدمة هذه الدولة الدينية ولخدمة القومية اليهودية ، استأجروا في بلادنا من يزعمون ان عصر القوميات قد انتهى وأطل عصر الشعوب .. عصر الانسانية .. وان الدين خرافة وجهل وتخلف .. والنهضة لا تتم الا بالعلمانية ومحاربة الاسلام .. !

كانوا يعيدون بعث اللغة العبرية ، ويقدسونها ، وهي التي انقرضت منذ عشرين قرناً .. يؤلفون بها قصصاً دينية ، تفوز بجائزة نوبل ويشترون في بلادنا صحفاً وأقلاماً ، و « رواداً » ينادون بالغاء اللغة العربية لأنها قديمة وصعبة ويصورون للناشئة اننا نتكلم بلغة منقرضة .. أو أننا أمة عجماء لا ننطق ! ..

كانوا يوحدون « روتشيلد » المليونير الرأسمالي و « انا بوكر » الزعيمة الشيوعية ، وينسقون جهود مستشاري الرئيس الأمريكي اليهود ، مع قادة الحزب الشيوعي التشيكي وقادة سلاح الطيران البولندي اليهود .. لمصلحة اسرائيل .. ويستأجرون في بلادنا ، من يرفضون التضامن العربي من أجل فلسطين بزعم أن البروليتاريا وحدها هي المصرح لها بالقتال من أجل فلسطين ويروجون في بلادنا أن العامل اليهودي أقرب للعامل العربي من الاقطاعي او الرأسمالي العربي .. ويحذروننا من صيحة « وإسلاماه » حتى لا تتحول الى حلف .. يضم ٦٠٠ مليون مسلم ويمتد من المحيط الهادي الى المحيط الأطلسي ! !

افتعلوا في بلادنا من الحركات والأحزاب ، ما ينتحل كل شعار ، ويريق شرف الكلمات ، ويدمر طاقات الأمة ، ويوجهها نحو افتراس نفسها ، وتدمير مقوماتها ..

وفي كل مرة نحدق مذهولين في النصر العسكري الذي تحرزه شرذمة أقل منا عدداً .. غريبة عن الأرض .. دخيلة على الحرب .. ولكنها تلغي تاريخنا وتدمرو جودنا ..

كنا نندهش ، لأننا ننسى الجهود الجبارة الدائبة التي تعمل منذ عشرات السنين على تدمير القدرة العربية .. ومنع العرب من اكتشاف مصدر قوتهم ، ومنبع عزهم ..

وهزيمة ٦٧ كانت أفدح وأسرع وأرخص من هزيمة ٥٦ التي كانت بدورها أفدح من هزيمة ٤٨ .. لأن الغزو الفكري واصل تقدمه خلال العشرين عاماً الماضية ، بحيث دمر كل حصوننا ، وفتح كل قلاعنا .. وشل كل قدرة على المقاومة .. لقد أصبح قادة أمتنا يخجلون من الحديث عن الدين .. وليس الا بعد الهزيمة الثالثة بخمسة عشر شهراً عندما قرروا أن تعود صيحة القتال في الجيش العربي .. الى « الله اكبر » .. وأن يعود تدريس الدين في المدارس ..

لقد زادت قدراتنا العسكرية خلال العشرين عاماً الماضية .. من ناحية السلاح .. وزاد في نفس الوقت ، ضعفنا ، وزاد حجم هزيمتنا !

فليس بالسلاح وحده يكتب النصر ، بل باليد التي تحركه .. أي بالفكر الذي يصنع السلاح ويستخدم السلاح ، ويوجه المقاتلين ..

فلا بد أولا أن نهزم الغزو الفكري اذا أردنا أن نهزم الغزو العسكري .. لا بد أولا أن يقهر الفكرُ العربي ، الفكرَ الصهيوني الاستعماري ..

وذلك لا يعني أننا يجب أن نعكف على خلق نظريات عربية وبعث التراث الاسلامي وتدريسه ..

لا .. العدو لا يسمح .. والفكر المُغيّر لا يولد في حلقات الدراسة ولا في أبراج عاجية .. بل خلال الصدام مع العدو ..

انما يعني أن نبدأ التغيير في ذاتنا بالقتال ..

إذا ما بدأنا القتال .. نكون قد هزمنا الفكر الصهيوني والعميل الذي يحاول أن يصرفنا في كل اتجاه الا طريق القتال ضد اسرائيل ..

الفدائي الذي حمل البندقية وقاتل في فلسطين المحتلة ، هزم الغزو الفكري، وتحرر من كل سمومه.. وكلما توغل في أرضنا المحتلة غازياً مجاهداً .. كلما تم تطهيره من آثار هذا الغزو .. لأنه بارادة القتال ، قد حرر ارادته ، وعرف ان ما هو ضروري ممكن .. وما دام قهر اسرائيل ضروري للوجود العربي .. فلا بد أنه ممكن ولا بد أن الانسان العربي قادر عليه ..

نقطة البدء إذن هي أن نؤمن انه لا وجود لاسرائيل والعرب معاً في هذا العالم .. انه لا يتسع لنا .. اما اسرائيل على انقاض الوجود العربي .. واما العرب حيث هم وحيث كانوا دائماً .. بازالة الوجود الصهيوني المفتعل ، بالسلاح وليس بأي اسلوب آخر .. وذلك لا يتحقق الا بخوض الحرب ضد اسرائيل ضد غزوها العسكري بالسلاح .. وضد غزوها الفكري بكشف اولئك الذين يحملون مخا صهيونياً داخل رؤوسهم ، أولئك الذين صنعوا المزائم الثلاث ..

وهبوا مذعورين عندما بدا أن الجماهير العربية قد تنبهت لتخريب الغزو الفكري ، وقررت أن توجه مصيرها بما يتفق وآمالها وتاريخها .. فالتفتت الى الوحدة العربية التي ترتفع فوق التفاصيل .. وتنادت بالبعث الاسلامي .. عندئذ هب صناع النكسة مذعورين، يجمعون فتات فكرهم، الذي هشمته الجماهير محاولين من جديد إعـــادة الغزو الفكري .. ومنع الجماهير العربية من الاتجاه الصحيح في صراعها مع الصهيونية .. يعدون بذلك للنكسة الرابعة ..

وقد اخترت كنموذج للفكر الذي صنع النكسة الثالثة ، كتاب الدكتور « نديم البيطار ». « من النكسة .. الى الثورة ».. وكنموذج للفكر الذي يمهـــد لنكسة رابعة .. مقالات الاستاذ « محمد حسنين هيكل » في « الأهرام » .. التي تعارض العمل الفدائي .. والحرب الشاملة ضد اسرائيل .

الأول لأنه لا جديد فيه ، ولا فكرة يمكن ان نقول انها مبتكرة ، بل هو – وعلى طريقة الاكاديميين – حشد لكل الأفكار والآراء والتيارات التي صنعت النكسة ، ومهدت للخامس من حزيران ، وعبدت الطريق امـــام المدرعات الاسرائيلية ، تدمر الوجود العربي .. حشدها الدكتور الانتكاسي ونسبها لنفسه .. ثم تولى الدفـــاع عن كل الاستراتيجيات والنظم التي تولت تدمير المقاومة العربية ، يدافع عنها بأجرأ مما تحاول هذه النظم ذاتها أن تبرر خطاياهـــا ..

وكتاب « من النكسة .. الى الثورة » يحاول تجميع كل شظايا فكر النكسة ، ليعيد من جديد بناء المتاهة التي ضل فيها العمل العربي خلال عشرين عاماً : من ماركسية ساذجة .. ما زالت تحدثنا عن أخوة الشعوب .. والبروليتاريا التي ستبني مجتمعاً لا تناقضات فيه ! .. الى فكر انقلابي ، خليط من آراء البعثيين والحركيين بشتى فرقهم المتصارعة ، من حوار الدبابات العقائدية ، الى ثرثرة المثقفين في مقاهي بيروت .. مـــع قشرة ناصرية ، تزعم الانتماء لعبد الناصر والتبشير بزعامته ، وتكن في نفس الوقت حقداً مريراً ضده ، وتحاول دفعه من جديد في الطريق ، الذي نقده هو ، من خلال دفاع ساذج سخيف عن خطايا الناصرية ، والزعم ان حرب اليمن كانت هي الاستراتيجية الوحيدة السليمة لتحرير فلسطين ! ..

ويمكن أن نلخص الخطوط الرئيسية للفكر المحرك للدكتور ، ولا نقول لفكر الكتاب ، فليس في هذا الكتاب ، ما يمكن تسميته بالخط الرئيسي أو الفكرة العامة ، وهو خليط من ١٦٧ مرجعاً أجنبياً ..

أما الفكر الذي يبشر به الدكتور ويدعو له ، ويجمع له الأدلة والمقتطفات التي تؤيده فهو :

- رفض شعار الوحدة الوطنية ضد الغزو الاسرائيلي ..

● رفض الحرب ضد اسرائيل ، والدعوة إلى استمرار الحرب ضد الدول العربية ، وبالذات تحرير الجزيرة العربية .

● محاربة الاسلام .. والدعوة الى حركة الحادية تجاهر بضرورة ازالة الاسلام .. وإبادة الوجود العربي التقليدي .

● الدفاع عن النظم العسكرية ، والتستّر على مسؤوليتها في ما وصلنا اليه .

● الحرب الخاسرة ضد اسرائيل أفضل من حرب ظافرة ، لأن الثانية تقوي الرجعية ، أما الأولى فتعبد الطريق للثورة الاشتراكية ..

وبالطبع سيفزع القارىء من هذه الاتهامات ، ولكنها هي الحقيقة ، كما سنرى من استعراض الكتاب ..

بل إن القارىء لو حاول التذكر ، لوجد أن هذا الفكر ، هو ما ساد أجهزة الاعلام « الثورية » خلال السنوات التي سبقت وصنعت النكسة .. ومبعث الدهشة والاثارة في كتاب الدكتور أنه جمعها كلها في كتاب واحد ونسبها لنفسه .. بينما تقتضي أصول اللعبة توزيعها على عدة أحزاب ،وحركات.. وأن تتظاهر هذه الحركات بالمعارضة والتقاتل وهي كلها تحركها يد واحدة .. وتخدم هذه اليد .. أما أن تجمع في كتاب واحد .. فتلك هي أهمية الكتاب .. أنه وفر علينا الجمع والتبويب .. واثبات الصلات .. فشكراً للدكتور الانتكاسي .. فقد سهل مهمتنا الى حد بعيد ..

ورغم ما يبدو من تضعضع مؤسسات ونظم هذا الفكر العميل ، بفعل هزيمة الخامس من يونيه .. فإنه لم يقهر بعد ، بل لقد عاد من جديد ، يحاول تجديد نفسه .. ومن هنا تأتي أهمية سحق هذا الفكر وتعريته ، وخلال عملية قتله هذه ، تتشكل ملامح الفكر العربي الثوري الاسلامي ..

أما مقالات «صريح» الأهرام.. فخطورتها تنبع من كونها تعبر دائماً عن اتجاه السياسة في مصر .. وقد اخترنا منها ذلك الجانب الذي يرفض الحرب

الشاملة ضد اسرائيل ، حرب يخوضها الشعب المصري كله .. طليعة للأمة العربية ، مستثيراً ومعبئاً الأمة الاسلامية من أجل استخلاص مقدساتها .. ولكن « صريح » الأهرام ، يرفض هذه الحرب ، يرفض تعبئة الشعب .. وما زال يبرر أسلوب المواجهة بالقوات المسلحة .. ذلك الأسلوب الذي يعكس فقدان ارادة القتال .. يعكس الأمل في تسوية سلمية تترك النظم الحاكمة وشأنها .. في حالة المنزلة بين المنزلتين .. لا صلح ولا حرب .. وانما استسلام يعفيهم من مقاتلة اسرائيل .. واعداد لحرب وهمية ، تمنحهم امتيازات المقاتلين .. او قل امتيازات الجند المرتزقة ..

ومأساة الفكر السياسي ، أن الأحداث تجري بأسرع من قـــدرة الناشرين والمطابع ومن ثم تبدو بعض الأفكار التي يجتهد الكاتب في توضيحها والتدليل عليها .. تبدو قديمة ، قد تخطتها الأحداث ..

مثلا الجزء الخاص بالجيش الشعبي .. فقد خصصت له فصلا لتفسير أسباب المعارضة في تسليحه .. ولكن الغارة على نجع حمادى ، قـــد أدت إلى التعجيل بإنشائه ، وقيل في البيان الذي صدر إنها قدمت موعده شهراً .. فصدر مرسوم إنشائه في الشهر الخامس عشر من غزو مصر بدلاً من السادس عشر ! .. وقيل إنه سيسلح بالبنادق بعد ما قالت صحف القاهرة ذاتها انه لو كان هذا الجيش موجوداً ومسلحاً لما وقعت الغارات على نجع حمادى، ولمـــا أفلت المعتدون بدون عقاب [1] .

ومع ذلك فما زالت التحفظات على تكوين الجيش ، ومحاولات اخضاعه لإشراف البوليس ! .. وما زال الفكر الذي وافق على تشكيله مرغماً ، يتحين الفرص لالغائه وتصفيته .. ومن هنا أجد أنه من المهم مناقشة الفكر الذي عطل تكوينه ١٥ شهراً .. والذي ما زال يرى أن الشعب المصري يجب أن يقتصر

---

(١) الاخبار المصرية ٥ / ١١ / ١٩٦٨ نقلا عن الصحافة اللبنانية .

دوره على حراسة المنشآت ! ..

وقد خصصت القسم الثالث من الكتاب لمحاولة وضع برنامج أو خطة عمل .. لذا جاء أصغر الفصول .. ولا غرابة ، فبعكس ما يقال وجدت ان البناء أسهل ألف مرة من الهدم ..

وبعد ..

فهذا الكتاب يدور حول فكرة واحدة هي حتمية الحرب الشاملة ضد اسرائيل .. وهو اذا كانت تشوب لهجته بعض الحدة أو قل صراحة موجعة فلأننا نعيش في حالة حرب ولحظة مصير ، لا تحتمل الا الصدق .. كما تأتي هذه الصراحة استجابة لذلك التصريح الذي ينسبه « الصريح » للرئيس جمال عبد الناصر ، وهو قوله (الرئيس) : « الآن يبدو واضحاً أمامنا أن كثيرين لم يتكلموا ، ومن هنا فلسوف يبقى أهم الضمانات في نظري ، أن يكون في هذا الوطن دائماً ذلك الفرد المؤمن ، الذي يقول كل ما يريد قوله ، حتى إذا أعطى رأسه ثمناً لايمانه » .. (1)

وشهد الله ، وشهد المؤمنون .. وتشهد كتبنا ، ما بخلنا برؤوسنا .. ولا أظن أن مصر قد عقمت فما تلد رجالا ، على استعداد للبذل من أجل أوطانهم.. وما أرخص تضحية الرؤوس في سبيل الإيمان ..

ولكن المشكلة هي كيف يتكلم المؤمنون ؟

وأعيذ الرئيس ، من مظنة ، أن يكون قصده أن يتكلم المؤمنون ، في الخطابات والتقارير السرية .. حاشا لله ! فهذا الأسلوب لا يربي أمة ، ولا يستنهض همماً .. وأخطاء الأمم لا ينبه اليها بهمسة قد تصل أو لا تصل للقائد ، بل ينبه اليها بخلق رأي عام يعترض ، ويضغط من أجل التغيير ، ويساند القوى الراغبة في التغيير ..

---

(1) الأهرام ٨ نوفمبر ١٩٦٨ .

من هنا فلا بد للكلام ان يكون مسموعاً ، وعلى الملأ .. وعندئذ لا يبخل المؤمنون بالنصح ، ولا يضنون برؤوسهم في سبيل الحق ..

ولا بد أن تكون لدينا الشجاعة لكي نقول ان وسيلة الكلام هذه لم تتح للشعب المصري ، وما زالت غير متاحة .. وانه لمن انكى ضروب التعذيب أن يخرج «الأهرام» كل أسبوع يستصرخ الشعب المصري، أن يتكلم.. أن ينتقد .. ثم لا يقول لنا .. كيف وأين ؟

لقد اكتشفت البشرية منذ زمن بعيد أن حرية الفكر لا تعني حقي في أن أفكر ، بل في أن أنقل أفكاري للآخرين .. وحرية القول تعني كفـالة حرية اسماع الآخرين ..

وحتى نصل الى اكتشاف حل لهذه المعادلة الصعبة ، أعني شوق الحاكمين الى شهداء يتكلمون .. وتعطش المحكومين الى حاكمين ، يتيحون حرية القول بتوفير وسائل السمع والاسماع ..

الى أن تحل هذه المعادلة ، فقد خشينا أن تعاتبنا الملائكة على عدم القول .. وما كنا لنحتج بعذر المستضعفين في الأرض .. الذين تقرعهم الملائكة على سكوتهم عن الحق وقبولهم المساهمة في تضليل أمتهم .. مع أن أرض الله واسعة لمن أراد الهجرة ..

فلتكن هجرة لله ورسوله .. من أجل أن نقول الحق كل الحق .. حتى ولو دفعنا رؤوسنا ثمناً له ..

جلال كشك

شعبان ١٣٨٨
نوفمبر ١٩٦٨

القسم الأول

من فِكر النكسة

هزيمتنا كانت شاملة ...

١

عندما وصلت ياثيل ديان الى العريش ، ذهبت إلى مقر المحافظ ، حيث كانت قوات الاحتلال الاسرائيلي قد اتخذت مقرها ، وفتح الضابط اليهودي صندوقاً ، كان قد استولى عليه ، ضمن غنائم الحرب ، وأخرج لها ميدالية مصرية الصنع وقدمها الى ابنة مجرم الحرب ديان قائلاً : « أعتقد أنها مناسبة تماماً .. » وكانت هذه الميدالية واحدة من عشرات أخرى بالصندوق يوزعها المحافظ على زوار المدينة ، وتصفها ابنة ديان فتقول إنه منقوش على أحـــد وجهيها خريطة سيناء ، وعلى الوجه الآخر مكتوب بالعربية : سيناء أرض النصر .. ثم تاريخ هذا النصر : ١٩٥٦ .. »[١]

ما هو النصر الذي أحرزناه في ١٩٥٦ حتى ننقش الميداليات ونوزعها بلا حياء على السائحين ، وكبار الزوار .. بل ونحتفل في كل عام بعيد النصر .. ويصبح لنا عيداً قومياً هو عيد الانتصار على العدوان الثلاثي.. تلقى فيه الخطب عن عبقرية وخلود النصر الذي أحرزناه ضد العدوان الثلاثي ؟!

انها أشهر عملية تزوير في التاريخ .. أن تظل أمة عشر سنوات ، تجهل أنها هُزمت هزيمة فادحة ، بل وتظل معتقدة انها انتصرت ، وان احتلال

(١) مذكرات جندي — ياثيل ديان

اليهود لسيناء كان عبقرية عسكرية من جانبنا اذ أمرنا بالانسحاب البارع والافلات من طرفي الكماشة !! أو الفخ الذي كان مدبرا لتدمير الجيش المصري .. وأفسدنا المخطط ونجا الجيش !

لمصلحة من كانت هذه الحالة النادرة من التغرير بأمة كاملة ؟ !. بــل لمصلحة من كان خداع النفس ؟! . فلو كانت الدعاية تحاول ، لأهداف سياسية ، مهما تكن مشروعيتها ، أن تخفي الحقيقة عن الجماهير فلا بد في كل نظام يريد الاستمرار ، من حد أدنى من الصدق .. على الأقل داخل البلاط .. لا بد من مستوى مهما تكن محدوديته وارستوقراطيته ، تقال فيه الحقيقة كاملة .. حتى يمكن اتخاذ تدابير لمواجهتها ..

وما جرى في الخامس من يونيه ، يؤكد ان الحقيقة لم يكن يسمح بتداولها على أي مستوى .. وأن الجميع كانوا يرددون عن اقتناع ، انهم انتصروا في ١٩٥٦ وأعيد تشكيل الجيش ، وأعيد تكوين الدولة ، في ظل هذا « النصر » ، بنفس الأسلوب الذي أدى إلى « إحرازه » .. وبسبب كذبنا على أنفسنا ، وقع الانفصال في ١٩٦١ .. ومهما قيل في اسباب ذلك الانفصال الذي حطم أعظم احلام العرب ، وقضى على أكبر امكانية اتيحت لهم لإزالة اسرائيل .. مهما قيل عن الأسباب التي صنعت الانفصال ، فإن العامل الوحيد في نجاحه ، هو عجز الحكومة المصرية عن اتخاذ أي اجراء عسكري ضده ..

لم تكن لدى القاهرة أية قدرة على تحريك فرقة واحدة .. قائد الكوماندز ينهار فور نزوله في أرض سوريا .. ويستسلم للسوريين وهو الذي كان منذ ساعات يحكمهم بعنجهية نادرة .. فما أن يسقط في أيديهم حتى يسير مستسلماً الى التلفزيون ليسجل سباباً ضد مصر ورئيسها ؟ ..

ويتبين أنه لا يوجد جهاز اتصال بين القوات المسلحة المصرية في سوريا ، وقيادتها في القاهرة ..

وأقيم مأتم في منشية البكري .. حضره كل من له صلة بالفقيد ، وفي « مجالس عرب » تبودلت فيها الشتائم والنصائح .. وتذكر أحدهم فجأة ، أنه يوجد في مبنى مجلس الثورة جهاز ارسال ويهرع لاستخدامه ، واقترح احدهم ارسال البحرية ، وبُحث عن قائدها في الفنادق والبارات .. وتوعد أحمد سعيد وهدد ، ووعد الأمة العربية خيراً في الصباح .. ثم انتهى كل شيء بخطاب عن العربي الذي لا يقتل العربي .. ثم انتخابات ، وميثاق وحكمة تثبت « أن الوحدة ممكنة والانفصال غير ممكن .. »

وببراعة نادرة عدنا من جديد نؤكد أن الوحدة انتصرت ، وان الانفصال هو الذي انهزم .. وصدقنا أنفسنا !! ...

وكتبنا وقلنا كل ما يمكن قوله ، عن أسباب الانفصال .. الا حقيقة واحدة هي عجز مصر عن اتخاذ أي اجراء عسكري .. ولو ضد اقليم من صميم أرضها .. عجز جيشها بقيادته وقتها عن خوض أي قتال حقيقي ..

ان « جوبلز » قد استحق شهرته العالمية في الكذب ، لأنه نصح بالكذب المستمر حتى تجد في النهاية من يصدقك .. اما عندنا فقد ظلوا يكذبون .. حتى صدقوا أنفسهم ..

لم نقم بأي تطوير حقيقي لأوضاعنا الدفاعية — فضلا — عن الهجومية ..

في قناة السويس لم نحفر خندقاً واحداً ، نفس المخبأ الذي كان يستخدمه الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ، في الاسماعيلية ، هو بعينه .. الذي كانت تلجأ اليه قيادات المدينة في حرب يونيه .. مع الفارق أنه أيام الشركة كان أكثر اعداداً ، وانه خلال عشرة أعوام لم يهتم أحد به ولا فتحه ففسدت موتورات التكييف بداخله ! ..

رغم أننا شققنا ستة آلاف كيلومتر في الصحراء الغربية لمشروع الوادي الجديد .. ستكتشف بعد عدة سنوات باعتبارها من الآثار الراقدة تحت الرمال !

ومع ذلك لم نشق طريقاً للانسحاب من بور سعيد المحاصرة .. بل قل لم نفكر في معدية معقولة تسهل اجلاء السكان عن بور فؤاد عند وقوع هجوم ! ..

لو انه قد شكلت لجنة على اعلى مستوى ، وعلى أضيق نطاق .. في أعقاب هزيمة ١٩٥٦ .. ناقشت اسباب الهزيمة وقدمت تقريراً بذلك ، واقترحت حلولا لتفاديها .. لما وقعت هزيمة الانفصال١٩٦١ ،ولو شكلت لجنة بعد هزيمة ١٩٦١ لبحث وضعية الجيش المصري ، لما قبلت أبداً أن يعود قائد الكوماندز الذي انهار أمام السوريين ، ليقود كوماندوز أكبر قوة ضاربة في الشرق الأوسط .. فما من هيئة يعنيها استقلال مصر ، جادة في منع هزيمة القوات المسلحة المصرية ، تقبل استمرار جلال هريدي في قيادة الصاعقة .. تحت أي سبب كان .. ولو كانت قد أمليت علينا شروط احتلال لما فرضت علينا أكثر من استمرار جلال هريدي في قيادة وحدات الكوماندوز .. ولكنه بقي .. وساعد على ذلك كله .. جهاز اعلام قادر على اخفاء الحقيقة عن الشعب ..

ان هزيمتنا في ١٩٦٧ ، صنعتها اكاذيبنا عن هزيمتنا في ١٩٦١ وهزيمتنا في ١٩٥٦ .

ومن هنا كان من الضروري ان نتعرف ابعاد هزيمة ١٩٦٧ .. ولن نصل الى اسبابها الحقيقية ، الا من خلال التعرف على أبعادها الحقيقية ..

لنعترف أولا أنها كانت هزيمة شاملة وفي جميع الميادين ، اثبتت اننا كنا نخسر وباستمرار .. وعلى جميع الجبهات ، وقبل نشوب الحرب بسنوات ..

ومن هنا فإن فكر النكسة يسارع لاخفاء حجم الهزيمة .. فيزعم الدكتور البيطار في كتابه « من النكسة الى الثورة » :

« غني عن القول أن النكسة لا ترجع الى أسباب عسكرية (لم تنقصنا الجيوش ولا الأسلحة) أو سياسية ودبلوماسية ، فأصدقاؤنا وحلفاؤنا كُثر . ومنهم العالم الشيوعي كله وكثير من البلدان النامية » .

بهذه السطور يبدأ الدكتور كتابه ! .. وهي – كما ترى – تشكل في جدية وصدق الكتاب كله ، وتغري بنبذه والانصراف الى شيء جدي .. فما من قصيدة قيلت في النكسة ، بدايتها أشد كفراً من هذه البداية ..

فمن ذا الذي ينكر الآن ان النكسة كانت شاملة الاسباب .. وانها كانت نكسة عسكرية وسياسية ودبلوماسية .. كشفت فشلنا في كل شيء ، وعجزنا عن تحقيق أي شيء ..

دخلنا المعركة ينقصنا السلاح ، والسياسة ، والدبلوماسية .. واننا رغم الضجيج ورغم كل الادعاءات الفارغة لم نعد للمعركة عدتها ..

بينما اسرائيل بتعدادها الذي لا يصل الى ٥ ٪ من تعداد الدول العربية المحيطة بها .. (دول الطوق + الاردن) قد استطاعت ان تحشد على حدود مصر وحدها ، قوة بشرية تفوق في عددها (اكرر عددها) مجموع ما حشدته الدول العربية الثلاث ..

وان المجتمع الاسرائيلي كله معد ، بحيث يصبح قوة عسكرية كاملة في حالة الحرب (٤ من كل خمسة من المواطنين) ، بينما تعجز مصر عن تجنيد واحد بالمائة من شعبها ! .

فإذا حسبنا القوة العسكرية ، بأنها محصلة مركبة للعدد والعدة ، وكفاءة تحريكهما ، اتضح لنا انه بالحساب ، مجرد حساب الارقام – ودعنا من اسلوب التصرف في القدرات العسكرية – كانت الحرب خاسرة لا محالة ، كما يتضح لنا أن اسرائيل ، لم تعتمد أبداً على مجرد صلاتها الدولية ، والضمانات الامريكية أو على مجرد انهيارنا الداخلي ، وتخلفنا ، وضعف المستوى الفني لجيوشنا ، بل أيضاً ، أعدت اسرائيل خلال سنوات طويلة من العمل الشاق ، والتدريب القاسي ، قوة عسكرية ، تفوقنا كما وكيفا..تفوقنا عدداً [1].. وهو الأمر المثير !..

(١) حشدت اسرائيل ٣٠٠ ألف جندي و ١٤٠٠ دبابة و ٨٠٠ طائرة .

ان عدد الطيارين الاسرائيليين ، القادرين على القتال أكبر من مجموع الطيارين المدربين العرب .. وليس لنا أي عذر في ذلك .. فان عدد اليهود في العالم كله لا يصل الى نصف تعداد الشعب المصري ..

ومرفوضة سياسة ترك الطائرات تدمر في كل مرة بحجة الحرص على سلامة الطيارين لأنهم عنصر نادر ، ويتكلفون كثيراً حتى يتم اعدادهم .. اعدادهم لماذا لا ندري ... اذا كنا في كل حرب نفرح بنجاتهم وخسارة الحرب ؟ !

مرفوضة هذه الحجة لأننا شعب تعداده ٣٠ مليون ، شعب دوخ حكومته وأعجزها عن تحديد نسله ! ..

مثل هذه الأمة التي تشكو زيادة مفرطة في السكان .. لا يجوز لها أن تشكو نقصاً في المقاتلين .. لانها تستطيع ، وبكل سهولة ، أن تدرب ٣٠ ألف طيار أو حتى ٣٠٠ ألف طيار .. شرط أن ندربهم كمقاتلين مؤمنين بدينهم ووطنهم .. يكتفون بما يكفل حياتهم وعائلاتهم .. أما أن نلزم أنفسنا بإعاشة الطيار في نفس المستوى الذي يعيش فيه الطيار الامريكي .. فمؤكد ان ذلك يرهق ميزانية دولة متخلفة يعيش شعبها تحت مستوى الكفاف .. وسيجبرها على تخفيض عدد الطيارين . على حساب أمنها القومي ، بدلا من أن تخفض رواتبهم ، وترفع مستوى دفاعها الجوي على حساب رفاهيتهم ..

ان الطبقية التي تنخر المجتمعات الاشتراكية العربية هي التي ترفع تكلفة وتدريب واغداد الطيار .. اما لو أقيم حقاً — كما تردد أجهزة الاعلام — جيش

— مصر ١٠٠ ألف جندي ٦٠٠ دبابة ٣٢٥ طائرة .
سوريا ٥٠ ألف .
العراق ٧٠ ألف .
الأردن ٢٥ ألف .
مجموع الدول العربية ٢٤٥ ألف جندي ، أي أقل من اسرائيل بـ ٥٥ ألف جندي !

من الشعب وللشعب .. فإن عشرة جنيهات تشكل مرتباً مغرياً للفلاح المصري ، وتجعله يقبل راضياً ، ويسعى فرحاً الى الانضمام الى سلاح الطيران .. ولو اعتمدنا على ابناء الفلاحين لأصبح طيارونا نسوراً حقيقية .. فهؤلاء الأبطال الذين يقبلون الموت رخيصاً في سبيل الثأر .. ويكمنون الساعات وأحياناً الأيام.. في انتظار الغريم ، حتى اذا عبر حقل الدرة أو القصب اصابته طلقة لا تخطىء .. أولئك الأبطال الذين اذا تمردوا على القانون ، دوخوا السلطات ، واعتصموا بالجبل سنيناً [1] .

هؤلاء يستطيعون حقاً ، أن يشكلوا أكبر قوة ضاربة في الشرق الأوسط ..

وبالطبع لا يمكن أن نتصور ضابط طيران مرتبه عشرة جنيهات ، وسكرتيرة رئيس التحرير تتقاضى أكثر من أربعين ضعف متوسط دخل الفرد في مصر ! ..

محـــال !

لا بد من مجتمع على قدر من التقارب في الدخول ، يحقق كرامة الفرد فهذا هو الحال في جميع بلدان العالم المتمدن .. ولا داعي للحديث عن الاشتراكية فأي سُبَة للاشتراكية أكبر من أن تُنسب لمجتمـــع ، سلم الدخول فيه يتكون من أكثر من مائة درجة !

لاخيار !

إمّا مجتمع محارب، يتقاسم ابناؤه لقمة العيش الى أن يزول الخطر.. وإمّا مجتمع منقسم على نفسه ، تفترسه الأحقاد ، وينهار عند أول ضربة ..

ان الشعب العربي يتطلع الى جيش منه ولـــه .. امـــا في ظل الانقلابات العسكرية ، فإن سلاح الطيران يشكل قوة فعالة في لعبة القفز على السلطة ،

(١) مؤكد ان مصر بها جبال .. وتصلح لحرب العصابات .. ولا أهمية لخريطة مصر الحديثة التي تنشرها جريدة الاهرام وتجرد مصر فيها من كل وسائل الدفاع !.

لذلك فإن اختيار الطيار ، يخضع لعدة اختبارات معقدة ، آخرها ، هو مدى صلاحيته لمواجهة اسرائيل ..

طيران الدول العسكرية ، هو طيران داخلي ! وسلاح الطيران لكي يؤمن جانبه ، ويكسب الى جانب الانقلابيين الذين في السلطة ، تلجأ السلطة الى اغراقه بالمكاسب والامتيازات ..

ان الدول العربية ترشو جيوشها من دم الشعب وعلى حساب التنمية ، بل وعلى حساب ضرورات الأمن الوطني ضد العدو ..

ان الجيوش العربية الحاكمة ، تنفق ميزانيات الشعوب العربية على ملذاتها وامتيازاتها كطبقة جديدة .. (١)

وفي الدول العربية التي لم تقفز فيها الجيوش بعد الى السلطة نراها مضطرة الى رشوة هذه الجيوش حتى تصدها عن اغراء الوثوب ، والاستيلاء على ثروة البلاد باسم الاشتراكية والثورية والتقدمية ..

ان الانقلابات العسكرية ، قد دمرت كل أسس الدفاع الوطني ، فالجيوش العربية أصبحت ؛ إما جيوش احتلال تمارس الحكم وتستغل موارد البلاد لحسابها الخاص ، وهي ابعد ما تكون عن متطلبات القتال .. مزقت وحدة الدم فيها ، سلسلة الانقلابات والتطهيرات والثأر المعلق بين الحاكمين والمسجونين من رفاق الدفعة الواحدة .

أفسدت الجاسوسية روح الضبط والربط .. وقضت عمليات التطهير على امكانيات رفع الكفاءة .. فتطهير أربعة الاف ضابط في سوريا خلال أربع سنوات .. يعني أن التسريح يتم بمعدل أكبر من طاقة الكليات الحربية على

(١) رغم العجز الفاضح في القوة العسكرية للدول العربية فانها تنفق أعلى نسب في العالم من ميزانيتها على جيوشها ، ٣٠٪ مصر ، ٦٣٪ سوريا ، ٦٠٪ الأردن ، ولكن يجب ألا تخدعنا الارقام انها تشمل المرتبات الفادحة للعاملين والمسرحين والمخابرات .

تخريج ضباط بالكفاءة المعقولة ، وليس مجرد تخريج ضباط احتياط عقائديين[1] يجيدون ضرب الشعب ، ويجيدون الفرار أمام العدو ..

نعم ! تكلفة الضابط في الجيوش العربية ، أعلى منها في الجيش الامريكي ، اذا ما حسبنا تكلفة تخريج كل منهما ، بالنسبة الى المدة التي تتاح للضابط العربي لخدمة العلم ، قبل أن يسرح الى السجن ، أو إلى مدير شركة او مسؤول عن تعطيل الانتاج في مصنع ، او تخريب سياستنا في سفارة ..

فليس صحيحاً أن هزيمتنا لا ترجع لاسباب عسكرية لأن الجيوش لم تنقصنا ولا الأسلحة ..

لا .. كل شيء كان ينقصنا .. وبالطبع فإن السبب الرئيسي أو الأساسي للهزيمة أعمق من نقص الجيوش والمعدات ، ولكن ما دمنا نعدد الأسباب ، فلا بد أن نقول ان كل شيء كان ينقصنا .. فلا نحن أعددنا جيوشاً ، ولا كانت اسلحتنا كافية [2] .. ولا كنا في وضع ، خلال السنوات العشر الماضية ، يسمح لنا بتكوين قوة عسكرية قادرة على مواجهة اسرائيل ، فإن هذا الهدف لم يكن في بالنا على الاطلاق ..

---

(١) كان قائد الجبهة السورية .أحد المحامين !

(٢) بعد الهزيمة حرصت المصادر السوفيتية على ترويج زعم بأن روسيا قدمت للعرب السلاح الذي يكفل فتح اسرائيل .. ولكن البورجوازية العسكرية هي التي لم تقاتل ..

ونحن مع هذا التفسير في أن البورجوازية العسكرية لم تقاتل وأن هذه « البورجوازية العسكرية » هي وحدها التي أقامت الاشتراكية في الوطن العربي ومهدت ومكنت للنفوذ السوفيتي .. غير اننا ضده من ناحية السلاح الذي قدم ، ولا شك ان سامي الجندي يعرف الكثير من هذه الناحية وهو يؤكد : « لم يكن تسلحنا مجانياً ، وأشدد على ذلك ! وقد أكدت معلوماتنا دائماً أن سلاحنا الدفاعي لم يتجاوز قوى اسرائيل أبداً . كان الغرب يمنحها ، بقدر ما كان الشرق يبيعنا . ولم يتحقق التوازن من حيث الكمية منذ نشوء اسرائيل ، بل كانت الزيادة دائماً في صالحها . »

(عرب ويهود ، ص ١٦٨)

٢

والغريب ان الدكتور بعد أن يعلن انتفاء الاسباب العسكرية للهزيمة ، يكلف خاطره فيفتش لنا عن موقف عسكري كان بوسعه أن يجنبنا النكسه ، فأفتى بأن النظم العسكرية كان عليها أن تبقي : « القسم الاكبر من الطيران في الجو باستمرار حتى لا يفاجأها العدو على الأرض ... »

وللأسف فإن هذا الحل العسكري ، الذي يقدمه لتجنب هزيمة سبق ، وأعلن انها لم تقع لأسباب عسكرية ، للأسف أن هذا الحل أو الاقتراح أو الخطة .. قد رفض ، واعلنت « الاهرام » ولا شك في « تقدميتها » و«انقلابيتها» ولا سبيل الى اتهامها بالرجعية .اعلنت أن صف الطائرات بلا طيارين على المدارج في انتظار القصف الاسرائيلي ، كان هو أنسب وضع عسكري لنا !..

لأنه ما دام لا مفر من التدمير الاسرائيلي ، فالافضل ان نخسر الطائرات ونكسب الطيارين ، كما فعلنا في ١٩٥٦ ..

وهذا لا يتأتى الا بصف الطائرات على مدارج المطارات .. وتجميع الطيارين في حفلات ساهرة الى الصباح لضمان عدم استيقاظ احد منهم في صباح يوم الهجوم الاسرائيلي ، ويفسد علينا الخطة !

وتجمع المصادر الآن على أن موعد الهجوم الاسرائيلي..كان معروفاً بين

المسؤولين العرب ، على درجة عالية من اليقين ، وباجماع قل أن نصل اليه في تحديد غرة رمضان أو العاشر من ذي الحجة ..

فرغم أننا نختلف كل عام في تحديد يوم الصيام ، ويوم الفطر .. فالثابت الآن ، ان جل المسؤولين العرب ، كانوا يعرفون أن الضرب سيتم يوم الخامس من يونيه ، وان الضرب سيبدأ بالطيران المصري ..

الأمر لم يكن سراً ، بل نشر على صفحات الجرائد .. فاللواء محمود شيت خطاب نشر مقـــالا في صحيفة عراقية يوم ٢ يونيه حدد فيه الخامس من حزيران موعداً للهجوم .. !

والرئيس عبد الناصر أبلغ قيادة الطيران رسمياً ان الهجوم سيكون في الخامس من يونيه ..

والملك حسين يقول في مذكراته :

لقد حذرت عبد الناصر من احتمال قيام اسرائيل بهجوم مفاجىء ، وذلك خلال اجتماعنا في القاهرة بتاريخ ٣٠ أيار .. وقلت له إن الهجوم سيستهدف اول ما ستهدف سلاح الطيران العربي ، وان الضربة الأولى ستسدد بالطبع الى الطيران المصري ، فكان جواب عبد الناصر :

ـ هذا واضح .. ونحن نتوقع مثل هذا الهجوم ..

ويروي سعد جمعه رئيس وزراء الاردن سابقاً :

« وفي يوم ٤-٦-١٩٦٧ جاءني السفير العراقي في عمان وذكر لي ان معلومات جديدة قد وصلت الى الاستخبارات العسكرية العراقية ، تؤكد أن اسرائيل ستشن هجومها المفاجىء صباح يوم ٥-٦-١٩٦٧ . فاصطحبت السفير ، وذهبنا معاً لمقابلة جلالة الملك ، حيث نقل اليه السفير تلك المعلومات الجديدة ، فذهب جلالته من توه الى القيادة العربية الموحدة في عمان ، وأطلع القائد العربي الفريق « عبد المنعم رياض » على ما ذكره السفير العراقي ، وعلى الفور انتقلت

المعلومات الى القيادة العليا في القاهرة » . [1]

حتى سامي إبجندي يقول « في السابع والعشرين من أيار ، أرسلت أنا نفسي البرقية التالية لحكومتي : « علمت من مصادر وثيقة الاطلاع أن الطيران الاسرائيلي سيهاجم مطاراتنا ومطارات الجمهورية العربية المتحدة ، قبل الرابع [2] من حزيران على أبعد تقدير [3] . »

بل ان احدى السفارات العربية في القاهرة كتبت الى حكومتها يوم السبت ٣ حزيران تقول ان المعلومات المتوافرة لديها تفيد أن المصريين يتوقعون الهجوم الاسرائيلي خلال ٤٨ ساعة ..

وصباح الخامس من يونيه ، بعد ما أعلن نبأ الهجوم الاسرائيلي ، كان كاتب معروف يردد : « لم نؤخذ على غرة » .

وسألته تفسير ذلك ، فقال انه بالأمس (٤ يونيه) طلب مقابلة الفريق صدقي محمود اليوم (٥ يونيه) فاعتذر له الفريق لأن « بكره يمكن يكون فيه ضرب » !

فإذا ربطنا بين هذه المعرفة اليقينية التي كانت لدى المسؤولين العرب ، وبين نظرية « الاهرام » : « خسرنا الطائرات والحرب والأرض ، وكسبنا الطيارين [4] » .. أليس من حقنا أن نتصور أن الأمر قد تم وفقاً لخطة موضوعة..

يعزز افتراضنا هذا ، الحرص على أن يتم ضرب الطائرات بأسرع ما يمكن ، وبأقل قدر ممكن من الخسائر لاسرائيل . فقد صدرت الأوامر للمدفعية المضادة للطائرات وقواعد الصواريخ بعدم اطلاق النار على أية طائرة في الجو .. الأمر الذي « شل عمل المدفعية المصرية الحديثة ، السوفياتية الصنع ، والتي

(١) المؤامرة ومعركة المصير ، ص ١٧٦ .
(٢) وحل المفهمين خارج باريس مراعاة فروق التوقيت .
(٣) حرب ويهود ، ص ١٧٠ .
(٤) إشارة إلى تصريح مشهور للنحاس باشا في الثلاثينيات : خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الانجليز ..

تطلق صواريخ من الأرض الى الجو [1] » بحجة أن المشير عامر سيركب طائرة في هذا اليوم ، فلا بأس من تدمير استقلال أمة بكاملها وضياع مستقبل مائة مليون عربي ولا تصاب طائرة السيد المشير ..

« وقد بقيت الطائرة في الجو ساعة ونصف ساعة قبل أن تتمكن من الهبوط في مطار القاهرة الدولي [2] » .. وتدمير سلاح الطيران المصري لم يستغرق أكثر من ساعة وربع ساعة ! ..

الدكتور يعيرنا بالغيبيات ، وينسى أن المسلمين لم يترددوا في ضرب « الكعبة » اذا ما احتمى بها خصم لهم ، يشكل وجوده خطراً على وجودهم أو سلطانهم .. أما الثوريون .. فقد أعلنوا مصر ، مدينة مفتوحة ، حتى لا يصاب المشير ..

وهكذا نرى أنه بعكس الضجة التي قامت ضد تفسير « الاهرام » ، وهو خسارة الحرب والطائرات ، وكسب الطيارين .. اقول انه بعكس ما ذهب اليه ناقدوه ، فإن هذا التفسير هو وحده الذي ينقذ الشرف الثوري .. اذ لا يعقل أن يكتفي المسؤولون ، باعلان أن اسرائيل ستضرب المطارات والطائرات يوم ٥ يونيه ، ثم ينامون ملء جفونهم ، ويسهر « مردخاي هود » جرّاهـا ويختصم ! فالمسؤول ليس منجماً او قارىء فنجان يكتفي بتحذيرك من مطب في الطريق ، وتنتهي مسؤوليته عند هذا الحد، بل ولا يعفيك من التقريع والمباهاة عندما تتحقق نبوءته المشؤومة !

ولو كان مسؤول ، يعرف حقاً ان المطارات ستضرب ، والحرب ستخسر نتيجة ذلك ، ثم لا يتصرف .. ثم لا يبيت سهراناً .. ثم لا يوقظ العالم كله .. فهو مسؤول متواطىء .. أو مهمل إلى درجة الاجرام .. وهو فرض

---

(١) الأهرام

(٢) الاهرام .

لا يمكن قبوله .. والاقرب للتصديق اذن هي استراتيجية هيكل :

بما أننا الحرب خاسرة لا محالة .. والطيران مفقود مهما فعلنا ..

فهل نخسر الجمل بما حمل.. ام نستعوض الله في الجمل وينجو الجمّال؟

إذن نترك الطائرات لكي تدمر على الأرض .. وهو المطلوب ! ..

وحتى اذا تركنا هذا المنطق الذي يشبه المزاح ، وما أثقل المزاح في مصير الأمم .. حتى إذا رفضنا هذا المنطق فإن نظرية « البيطار » مرفوضة .. لأن الدول الثورية ، لا تستطيع كما تؤكد كل التجارب أن تبقي طيرانها في الجو في حالة تيقظ باستمرار ، أو تحليق مستمر في الجو .. كما يقترح عليها الدكتور ، ظاناً أنه اكتشف خطة عبقرية لم تكن معروفة لدى العرب ! .

ابداً يا دكتور .. صحيح ان هذا هو الوضع الانسب عسكرياً .. ولكنه غير مناسب ثورياً !

لأنه قد ثبت ان الطيران الثوري ، اذا ما اعتلى متن الريح ، وكانت في جعبته ذخيرة كافية ، فهو يفضل دائماً قصف الاذاعة المحلية ، ومقر الاركان الذي يتبعه ! .

لذلك كان النظام المتبع في الدول الثورية ، هو منعه من الطيران نهائياً .. أو طيرانه بلا ذخيرة .. أو بوقود لا يكفي للاستمرار في الجو طويلا ... أي مدة تكفي لنجاح انقلاب ..

إن أي حل عسكري ، ما كان ليغير الوضع لسبب بسيط هو ان نية القتال غير متوفرة ، ان النصر في الحروب القومية ، في حروب المصير لا يكسب بمجرد قرار يتخذ فجأة ..

والانقلابيون الذين عبأوا قواهم من أجل كل شيء الا مواجهة اسرائيل كان يستحيل عليهم أن يتقمصوا روحا معادية لاسرائيل ، واعية بابعاد العداء الاسرائيلي .. قادرة على مواجهته والنصر عليه ، بمجرد وصول اخطار سوفيتي

بان اسرائيل قررت غزوهم ..

ان حالة التعبئة المفاجئة تصلح في بلدين :

بلد حقق تفوقاً صناعياً ساحقاً ، بحيث يستطيع خلال أيام أو حتى ساعات ، أن يحول طاقته الجبارة وامكانياته المدربة ، واجهزته ذات الكفاية التكنية العالية الى القتال ..

أو بلد يعيش للحرب في كل تفصيلية من حياته ، فإذا دق النفير ، كان كل شيء جاهزاً للقتال ..

واليهود يمارسون الحالة الثانية ، انهم يعيشون لقضية واحدة ، هي افناء العرب واحتلال أرضهم .. وانشاء امبراطورية اليهود العالمية فوق انقاض الوجود العربي .. فما من قضية أخرى تشغل بالهم ، وما من مسئول فيهم يسمح لنفسه ، أو يُسمح له ، بأن تشغله قضية أخرى غير هذه القضية .. ولكن من ذا الذي يزعم ان قضية فلسطين كانت حقاً تشغل بال المسئولين العرب خلال السنوات العشر التي تلت هزيمة السويس ؟ !

كان جل أمانيهم أن تتركهم اسرائيل وشأنهم ، سادرين في أوهام الضمانات والحمايات من الشرق والغرب .. ظنوا أن استقلال الأمم تحميه المعاهدات .. أو ان ارتباطهم بهذا المعسكر أو ذاك يحميهم من التنكيل الاسرائيلي ! ؟

غارقين في اطماعهم وخصوماتهم ، وتكالبهم على السلطة .. فلما جاءهم النذير ، احدثوا أكبر قدر ممكن من الضجيج المفيد للأهداف الاسرائيلية ، وتقدموا إلى الجبهة كأنهم يساقون للذبح وهم ينظرون .. ثم فروا دون أن يطلقوا طلقة واحدة .. ذلك لأن اسلحتنا وجيوشنا لم تعد أبداً لمواجهة اسرائيل .

٣

الاكذوبة الثانية ، هي القول ، بأننا دخلنا المعركة واصدقاؤنا كثر ! .. كفى خداعاً .. ولنواجه الحقيقة ولو مرة بصدق وصراحة ...

لقد بددنا قوانا ومزقنا وحدتنا جريا وراء وهم «صداقة المعسكر الشيوعي كله » .. إن صح أن يقال في كتاب يدعي العلمية ، ان هناك ما يسمى « بالمعسكر الشيوعي » .. وخلافات الدول الشيوعية أكثر حدة ، وأكثر عنفا في التعبير عن نفسها ، من خلافات المعسكر الرأسمالي .. وقواته تحتل بعضها بعضاً .. ودبابات الاخوة الكبار تشق طريقها إلى عواصم الاشقاء الصغار[1] ..

أيصح في كتاب ينسب نفسه للمنهاج العلمي ، أن يطلق تعبير « المعسكر الشيوعي » على مجموعة دول تضم روسيا والصين .. يوغوسلافيا والبانيا .. وتحية الصباح بينهم ، ليست أقل من « عميل » « متآمر » « امبريالي » « يساري تخريبي » « داعية حرب » ..

لقد غررنا بأنفسنا جريا وراء وهم ما يسمى بصداقة الدول الشيوعية والنامية .. لنستيقظ عشية الخامس من يونيه ، فنجد أنفسنا في حالة من الدهشة ، تثيرها عزلة لم تواجه أمة من الأمم في لحظة مصيرها ، كما جابهتنا .. حتى المانيا

(١) منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لم يستخدم الاتحاد السوفيتي قواته إلا ضد الدول الشيوعية !

الهتلرية كانت لها صداقات وتحالفات ، ولم تعدم انصارا هنا وهناك ..

ما من أمة وقفت تواجه عداء العالم ورفضه ، كما وقفت الأمة العربية عشية الخامس من يونيه بعد أن بددنا أموال الشعب العربي في ادعاء اننا نكتسب مكانة عالمية ، وبعد أن شغلنا بالنا بتسوية خلافات وشنطن وموسكو وحماية السلام العالمي ، ونزع السلاح ، وتحريم الأسلحة النووية ، ولم نبخل بجهد في افساد علاقتنا مع شتى الدول من أجل تصفية الاستعمار في العالم كله ..

كنا نقرأ ما تكتبه صحفنا عن مكانتنا العالمية ، ووزننا الدولي ، فنصدقها !. وننسى أننا قد أقمنا رقيباً في داخل كل صحفي ، وانا دمرنا كل امكانية لتسرب كلمة عاقلة .. وجريا وراء الشهرة .. اندفعنا فيما افترضنا انه رسالتنا العالمية ..

فماذا كانت النتيجة ؟

كل العالم ضدنا .. حكومات وشعوب .. بل والشعوب التي تعادينا أكثر من الحكومات ! ..

غالبية الدول النامية لا تكاد حتى تصوت ضد احتلال اسرائيل لأرضنا حتى بعدما وقع العدوان ، وتبين أي نمر من ورق كنا ، وأي حمامة رقطاء كانت اسرائيل !

تأمل كم صوت نال قرار التقسيم في ١٩٤٧ .. ونحن سبع دول رجعية .. ثم تأمل كم نلنا في ١٩٦٧ ونحن ١٣ دولة .. نصفنا تقدمي وله رسالة عالمية ! ..

غالبية الدول النامية لا تخفي عواطفها الموالية لاسرائيل قبل وقوع العدوان ، ثم يتضح عجزها الكامل عن فهم ، او اصرارها على عدم الفهم ، لدوافعنا ومطالبنا المشروعة العادلة .

أكبر أصدقاءنا في « المعسكر الشيوعي » يبلغنا ان اسرائيل تستعد بجدية لغزو سوريا ، فإذا اتخذنا الخطوة الوحيدة المنطقية للاستفادة من تنبيهه ، باعداد

العدة لهجوم وقائي ضد اسرائيل ، اقلق منامنا بعد منتصف الليل ليحذرنا من البدء بالهجوم .. ثم لا يقول لنا ما الذي يجب أن نفعله ما بين تحذيره من هجوم اسرائيلي ، وتحريمه علينا القيام بهجوم مضاد ..

وصحيح ان كل المعلقين السياسيين والعسكريين الرسميين ، يؤكدون الآن ان الحرب كانت خاسرة ، سواء ضربنا أو تلقينا نحن الضربة الأولى .. ولكن حتى أكثرهم تشاؤما ، لا ينكر أن الوضع كان سيختلف ، اذا ما ضربنا نحن الضربة الأولى .. أما نحن فنذهب الى القول بأنه لو تم الهجوم كما كان مقترحا يوم ٢٨ مايو لتغير وجه التاريخ ..

المعركة كانت ستدور داخل اسرائيل .. جنودنا كانوا سيموتون فوق أرض اسرائيل ، طائراتنا كانت ستُضرب في سماء اسرائيل .. مدرعاتنا كانت ستحترق مقبلة وليست مدبرة ..

معنويات جيش مهاجم تختلف كيفيا عن معنويات جيش منسحب مطارد ، قبل أن يقاتل ..

معنويات أمة مقتحمة تختلف كيفيا عن معنويات أمة مستسلمة ، تُضرب وهي نائمة ، تسمع بقرار قبولها وقف اطلاق النار ، قبل أن ترفع مدفعها وتستعد للاطلاق ! .. تسمع من الاذاعات انها هُزمت دون أن تعرف كيف ومتى حدث ذلك ؟ ..

كل شيء كان سيختلف لو اننا ضربنا الضربة الأولى .. ولكن هكذا أراد كبير الأصدقاء ..

ومهما تكن قوة الارتباطات التي تحتم علينا عدم المغالاة في نقد الاتحاد السوفيتي ، فإن المعلق العربي يتجرد من الشرف ، اذا لم تتوفر له الشجاعة والصدق ، ليحمل السفير السوفيتي مسئولية ما جرى .. استنادا الى ما أعلنه الرئيس جمال عبد الناصر ، من ان هذا السفير ايقظه الساعة الثالثة من صباح

يوم ٢٧ مايو ليطلب منه منع الهجوم الذي كان محددا له ٢٨ مايو .. ان السفير السوفيتي بهذا الطلب قد حدد مصير المعركة ..

لو ان الطلب تقدم لنا من أمريكا وحدها ، لما قبل أي زعيم تحمل مسئولية الاستجابة .. ولا آمن زعيم وطني لها .. فإن جميع تأكيدات « سيمور »[1] ما كانت لتمنع عرابي من سد القناة .. ولكن تأكيدات دلسبس صديق مصر ، هي التي غررت بعرابي ، وتسببت الى حد كبير في احتلال مصر سبعين عاما ..

ثم ما الذي حققناه من وراء صداقتنا مع الاتحاد السوفيتي ؟ لقد كان تأييده لنا في السنوات الماضية أقوى .. لقد عارض الاتحاد السوفيتي قبولنا البوليس الدولي في ١٩٥٦ ، وتساءل مندوبه دهشاً عن الأسباب التي تدفع مصر لقبوله .. ونبهنا الى أننا غير ملزمين بذلك ..

وقيل وقتها ان القبول لن يحدّ من سيادتنا ، وأنه تسوية سلمية شكلية ، ثم تبين بعد ذلك انه يحقق أكبر نصر لاسرائيل ، وهو فتح خليج العقبة لأول مرة بعد أن ظل ٨ سنوات مغلقاً في وجه الملاحة الاسرائيلية وكان فتح الخليج نقطة تحول كاملة في وضع اسرائيل سمح لها أن تقول انها تطوق العرب في افريقيا واسيا بدلا من أن يقاطعها العرب[2] .

كذلك كان تجميد الحدود الاسرائيلية المصرية عشر سنوات ضربة قاسية لنشاط الحركة الوطنية الفلسطينية .. وأخطر من ذلك كله ان هذه التسوية قد

---

(١) قائد اسطول الاحتلال البريطاني ١٨٨٢ .

(٢) نشرت مجلة « الحرية » خطاباً ألقاه « هودافريل » في الدورة السنوية لمنظمة « ادي ريجو » اليهودية العالمية في ١٩٦٧/٣/٢٣ قال فيه : « ان فتح البحر الأحمر والمحيط الهندي لحرية الملاحة الاسرائيلية قد سمح لاسرائيل بالظهور في مظهر جديد أمام حكومات البلدان الواقعة في جنوب وشرقي قناة السويس. قفزت حركة الشحن والتفريغ في ميناء ايلات من ٦٠٠٠ (١٩٥٦) إلى ٢٧٥,٠٠٠ طناً عام ١٩٦٦ ، عدا البترول ، مما دعا إلى انشاء خمسة خطوط بحرية منتظمة بين الميناء اليهودي الواقع على البحر الأحمر وبين البلدان الأسيوية وشرق افريقيا . إن العالم العربي الذي حاول ضرب الحصار الاقتصادي على اسرائيل ، انما يجد منطقته ذاتها محاصرة بامتداد المعاملات والمبادلات الاسرائيلية . »

رتبت أمراً واقعاً في العرف الدولي ، وهو مرور اسرائيل في خليج العقبة ، وأصبح الغاء هذا الحق ، يشكل « عدواناً » من جانبنا ، ويعطي انصار اسرائيل مبررا لتأييدها بحجة الدفاع عن الأوضاع القائمة .. والعالم الذي كان يقبل اغلاقنا خليج العقبة في ١٩٥٦ ، وعجز أنصار اسرائيل عن استصدار أية قرارات جدية بفتح الخليج لسفنها .. هو نفسه العالم الذي أيد اسرائيل في المرور بالقوة سنة ١٩٦٧ .. والسبب هو قبولنا التنازل في ١٩٥٧ ..

وعندما خسرنا الحرب في ١٩٦٧ لم يعد مرور اسرائيل موضع نقاش بل تطالب هي بوضع قوات اسرائيلية في شرم الشيخ ! .. بل ويقترح كبير الأصدقاء تسوية مسألة مرور السفن الاسرائيلية حاملة العلم الاسرائيلي في قناة السويس .. مع مشكلة اللاجئين باعتبارهما قضايا من مستوى واحد ، يجري الاتفاق عليهما في بروتوكولات ملحقة بالاتفاق الرئيسي الذي يتضمن التسوية الشاملة ! ..

أكنا بحاجة لصداقة الاتحاد السوفيتي لكي يجري لنا تسوية مع اسرائيل تشمل :

● الاعتراف بها أي الاعتراف بأنها وجدت لتبقى .

● انهاء حالة الحرب ومعناها الصلح وما يترتب على ذلك من انهاء المقاطعة ، وتحريم أي نشاط فدائي في أراضينا .. واسقاط العقوبة عن المتعاونين مع اسرائيل ..

● مرورها في قناة السويس وخليج العقبة ..

أهذه هي ثمرة الصداقة مع أقوى دولة في العالم ؟ .. قد كنا نستطيع الوصول الى تسوية بشروط أفضل .. وان كانت النتيجة واحدة وهي قبول الاستعمار الاسرائيلي للوطن العربي [1] ..

---

(١) قبول وقف اطلاق النار كان بناء على عرض من الاتحاد السوفياتي : =

سيقولون ان الاتحاد السوفيّي ليس مسئولا عن هزيمتكم .. اذن فلا أهمية لصداقته .. بل لقد خسرنا بهذه الصداقة ، بما جلبته لنا من عداوات ، ومـــا ألزمتنا به من مشورات خاسرة ..

فلو تنبهنا من أول يوم الى أن الذي سيحسم موقفنا مع اسرائيل هو قوتنا الذاتية ، لكنا قد سلكنا غير هذا السلوك .. وأكبر كارثة تنزلها باستقلالنـــا الوطني ، هي الجري وراء وهم الحماية السوفيتية أو ضمانة الدول الكبرى ، فنفرط في استقلالنا وحقوقنا ، ثم نستكين لهذه الضمانة ، ان جميع الضمانات الدولية هي مجرد تقسيم لمناطق النفوذ على ضوء توازن القوى الحالي ، بـــين الضامنين ، والمؤمن عليهم .. وأي اختلال جديد في مستوى القوى ، سواء بين امريكا وروسيا ، أو بين اسرائيل والعرب ، يعني اعادة التقسيم من جديد ..

واذا كان من الواضح أن النفوذ الروسي يتضاعف في المنطقة بنسبة طردية مع انتصارات اسرائيل وهزائم العرب .. فلا شك ان روسيا سترحب باستمرار وضع التفوق الاسرائيلي الحالي ، ان لم يكن زيادته ، حتى يندفع العربي الخائف الى أحضانها ..

ان روسيا ليست الا دولة كبرى ، وسيضيع استقلالنا لو تصورنا اننـــا يمكننا الاعتماد على قوتها بمجرد روابط الصداقة والمبادىء .. ولا حتى استنادا إلى تعارض مصالحها مع المصالح الامريكية ، فقد أثبت التاريخ ان هذا اللون من الصدام ينتهي دائماً بتسوية على حساب الصغار ، ولم يحدث ابدا ان وصل الى

= من المشير عامر إلى الفريق رياض :

عرض علينا الاتحاد السوفيّي مشروع ايقاف القتال على أساس رجوع الأطراف إلى خطوط الهدنة مع فتح خليج العقبة . قبلنا وقف القتال على هذا الأساس على أن يوقف القتال على الاكثر فجر اليوم بضمان الاتحاد السوفياتي » ١٩٦٧/٦/٨

يعني اننا تلقينا الضربة الاولى بمشورة الاتحاد السوفيّي .. والغينا هجومنا بمشورته .. وأوقفنا اطلاق النار بمشورته .. فأين هي ضماناته بالرجوع إلى خطوط الهدنة !

حد امتشاق الحسام لمجرد تحقيق مصالح الصغار !

أما عن المعسكر الشيوعي المزعوم ، فقد اعترف حتى الشيوعيون ، ان سيطرة الوجود الصهيوني والدعاية الاسرائيلية ، قد اخضعت الاحزاب الشيوعية والدول الشيوعية لسياسة اسرائيل ولو ضد الشيوعية ذاتها ..

بولندا .. رومانيا .. تشيكوسلوفاكيا ..

رومانيا التي ترفض حتى ادانة الاحتلال الاسرائيلي وتحتفظ بعلاقات خاصة مع اسرائيل وتوقع معها معاهدات اقتصادية ..

وبولندا واجهت ثورة عنيفة ، لأن جنرالاتها شربوا الانخاب احتفالا بالنصر الاسرائيلي ، مما اضطر رئيس الحكومة الى تنبيههم الى جنسيتهم البولندية !

وتشيكوسلوفاكيا التي خرجت من دينها الشيوعي وتعرضت للاحتلال السوفيتي .. لأسباب من أبرزها اجبار روسيا لتشيكوسلوفاكيا على قطع علاقتها مع اسرائيل !

بل ان الاحزاب الشيوعية في غرب أوروبا قد واجهت انقساما خطيرا حول إصدار قرار بادانة العدوان « الاسرائيلي » على مصر الاشتراكية ، وسوريا المبني — شيوعية — بينما اصدرت نفس هذه الاحزاب وبسهولة ، قراراً بادانة العدوان السوفيتي على تشيكوسلوفاكيا ؟ ! !

أهذه أحزاب شيوعية ؟ أم صهيونية ؟ .. لطالما قلنا أن الاحزاب الشيوعية خاضعة للنفوذ الصهيوني ، فهاجمنا الشيوعيون ، باعتبارنا اعداء للشيوعية .. فلما احتلت قوات روسيا تشيكوسلوفاكيا ، واحتاج احتلالها لدفاع ، اعترفوا بالحقيقة .. وهذا هو ناطق بلسان المصالح السوفيتية وفي جريدة صديقة وشبه رسمية يقول [1] :

(١) رئيس تحرير مجلة « الطليعة » الشيوعية والمقال نشر في الاهرام ٦٨/٩/٢ .

« الصهيونية : خطر مزدوج ضد التحرر الوطني والاشتراكية ..

على ان ثمة ملاحظة هامة ، ظهرت خلال المناقشات راحت تجذب انتباهي ، وهي توجيه أصابع الاتهام الى حركة الصهيونية العالمية ..

فهي جندت كل قواها وامكانياتها لتعميق الصراعات القائمة في المجتمع والحزب من أجل تخريب وتقويض النظام الاشتراكي في تشيكوسلوفاكيا .. انتقاما من الحزب الشيوعي والحكومة التشيكوسلوفاكية (قبل التغيير) اللتين ساندتا الشعوب العربية ضد العدوان الاسرائيلي .

وفي فرنسا عانى الحزب الشيوعي الفرنسي ، نتيجة موقفه المبدئي من ادانة العدوان الاسرائيلي على البلاد العربية في يونيه ١٩٦٧ من محاولات لاثـارة الصراعات الداخلية وتكوين قوة ضاغطة داخله من أجل تغيير موقفه . وقد تجسد ذلك في قيام عدد من اعضائه اليهود بالاستقالة من الحزب بعضهم تحت تغلب عواطفه اليهودية على ايدلوجيته الماركسية ، وبعضهم نتيجة روابـط مشبوهة مع الحركة الصهيونية . ونفس الوضع واجه الحزب الشيوعي الايطالي ولكنه استطاع التغلب عليه وكشف وعزل العناصر الصهيونية .

ولاحظ أحد المشتركين في النقاش وهو عضو في حزب شيوعي أمريكي لاتيني ، ان ثمة عناصر معينة من أصل يهودي في الاحزاب الشيوعية ، قد اثبتت الاحداث الأخيرة المتصلة بحرب ٥ يونيه ، انه في حالة تعارض الخط الماركسي اللينيني مع خط الحركة الصهيونية واسرائيل فانها تحاول بطريقة تلفيقية ، أن تعقد بينهما زواجا شاذاً وغريباً [١].. فان لم تفلح منحت ولاءها لخط الصهيونية واسرائيل .. »

وتساءل في النهاية ، عما اذا كان موقف رومانيا ، الذي شذ عن بقية الدول الاشتراكية التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل بسبب عدوان

(١) حفيت اقلام الشرفاء تنبههم لهذه الحقيقة ...

يونيه ١٩٦٧ ، لا يتغير اذا لم يكن « يون جيورجي ماورير » وهو من أصل يهودي رئيساً لمجلس وزراء رومانيا ؟

وفي بولندا انتهت اجراءات التطهير ضد الصهيونية الى فصل ٩٧ عضوا من أعضاء الحزب البارزين ، واستبعاد ١٤ وزيرا ونائب وزير فضلا عن ١٢ من مديري المؤسسات والمصالح الحكومية الكبيرة ، و ٣٠ من الذين يتولون مناصب قيادية في مجالات الفكر والجامعات. وحجم ونوعية من شملهم التطهير يعطيان تصورا عما كانت تملكه العناصر الصهيونية المتدثرة بقناع الاشتراكية من قدرة على الحركة المضادة وهي التي بدأت بحركة تمرد داخل اتحاد الكتاب.

أما عن تشيكوسلوفاكيا ، فيقدم المتناقشون العديد من الأسماء والشخصيات التي تهيمن على مراكز حساسة في الجامعة والصحافة والتلفزيون والاذاعة وبعض اجهزة الحزب وتخفي اتجاهاتها الصهيونية تحت رداء عضوية الحزب.

واستخدمت هذه العناصر نفس التكتيك الذي اتبع في بولندا من حيث اثارة الشباب والطلبة. واعتبار ان تشيكوسلوفاكيا لم تكن حرة في قطع علاقاتها مع اسرائيل وانها كانت خاضعة لضغط من الاتحاد السوفيتي الذي يكبح جماح حريتها وان الحرية هي مطلبنا الآن ، كما عبر عن ذلك « سوليتسي » احد كبار اعضاء الحزب من المشايعين للاتجـــاه الجديد (يهودي الأصل). ومن أجل ذلك نشطوا ايضاً في تكوين اللجان المدافعة عن انفصال بيافرا ضد نيجيريا (١)

وبلغ الأمر بهذه العناصر الى حد المشاركة في احتفالات اول مايو ١٩٦٨ رافعة على رؤوسها علانية « نجمة داود » شعار الصهيونية وعلم اسرائيل وهاتفة « تحيا اسرائيل المناضلة » وذلك امام المنصة الرئيسية التي كان يجلس بها

(١) الحـقـــ عرفتم إذاً أن نيريري المعترف ببيافرا يخدم المصالح الصهيونية.. وان أحمدو بللو لم يكن ـــ بل معادياً للصهيونية !..

« دوبشك » نفسه .

هذا فضلا عن اعادة اعتبار الكاتب مننتشاكو (زوجته يهودية الأصل) الذي هرب إلى اسرائيل اعلانا عن عدم موافقته على موقف بلاده من حرب يونيه ..

وتبرز في هذه الحملة اسماء عدد من الشخصيات، لم يكن من الصدفة البحتة انها جميعا ذات اصل يهودي ، وذلك مثل « ايرجي بليكان » مدير التلفزيون وأحد قادة الحملة من أجل الحرية والرئيس الحالي للجنة العلاقات الخارجية بالجمعية الوطنية ، « سيسارشي » الذي أصبح سكرتيرا للجنة المركزية رغم انه لم يكن عضوا بها . و « ادوارد جولد شتوكر » رئيس اتحاد الكتاب والمدير الحالي لجامعة شارلي ، أكبر جامعة تشيكية وأقدم جامعة في اوروبا كلها، وكان أول سفير لتشيكوسلوفاكيا في اسرائيل[١] .. وكريجل ، عضو مجلس الرئاسة ، واوتاسيك رئيس لجنة العلوم التشيكية ، وكوهوت احد كبار الكتاب المسرحين ومن قادة اتحاد الكتاب .

وأكد بعض المتناقشين في النهاية أن ثمة معلومات متوافرة الآن لدى عدد من الحكومات والاحزاب الشيوعية بأنه يتم عقد اجتماع دوري كل ثلاثة أشهر للعناصر الصهيونية داخل البلاد الاشتراكية في اسرائيل لتنسيق الخطط[٢]»

إنتهى والفقرة الأخيرة نشرتها الجريدة بالحروف السوداء .

هذه المعلومات لم تثر دهشتنا ، فهكذا كان تصورنا منذ سنين ، لسيطرة المخطط الصهيوني العالمي ، وأولى بالصحف التي تقدم لنا هذه المعلومات ان تراجع مواقفها خلال الفترة من حزيران الى احتلال تشيكوسلوفاكيا،لترى كم بددت من مداد في نفي وجود مخطط صهيوني عالمي .. بل لقد استطاعوا

(١) تأمل !

(٢) الاهرام ١٩٦٨/٩/٢ .

أن يمنعوا وزارة الثقافة من ترجمة كتاب لمؤلف سويسري يتحدث فيه عن سيطرة اليهود على سويسرا .. فلما اختلف الرفيقان ظهرت الصهيونية ..

أهذا هو « المعسكر الشيوعي » صديقنا ؟ .. أبعد كل ما نالته تشيكوسلوفاكيا من مغانم اقتصادية في بلادنا نحتاج للدبابات السوفيتية لكي نجبرها على قطع علاقاتها مع اسرائيل .. ويتظاهرون حاملين علم اسرائيل .. اين التربية الشيوعية أين الدعاية الشيوعية التي لم تستطع أن تقنع هؤلاء المتظاهرين ان اسرائيل ليست مناضلة ..

لقد عزلنا أنفسنا عن مصادر قوتنا ، وعن القوى المؤيدة لنا بحكم قوانين التاريخ .. جريا وراء من يتظاهرون لاسرائيل .

والانقلابي القادم من كندا ، وصاحب الديالكتيك النكساوي .. وديالكتيك النكبة [1] .. كان عليه أن يعرف ان كسب الاصدقاء لا يتم بالدعايات ، ولا بمجرد اعتناق مبادئهم .. لأن فرنسا تعتنق الفلسفة الرأسمالية مثل أمريكا ومع ذلك هي أقرب للصين منها لأمريكا .. بل وأقرب للصين من الصين لروسيا .. والحروب بين الدول الرأسمالية المتشابهة في النظام كانت السمة المميزة للقرن الأخير من « الثلاثة قرون الجميلة »[2]... والصين وروسيا ترفعان نفس الشعارات الشيوعية ، ورغم ذلك فالعداء بينهما أكبر من عداء روسيا وامريكا .

الصداقات تقوم على المصالح الحقيقية .. وقد اكتشف جيفارا انه لا وحدة مصالح بين دول العالم الثالث والدول الشيوعية الصناعية الكبرى ، بل أن الأخيرة تستغل الأولى . .

الصداقات تقوم على العوامل التي تكونت عبر التاريخ ، تقوم على وحدة المصير..

---

(١) كل الثوريين يأتون لنا بديالكتيك ثوري .. إلا هو يخترع لنا « ديالكتيك نكبة » ، وحقاً لكل من اسمه نصيب ..

(٢) كما يسميها هو .

ولكننا بادعاء دور عالمي ، وتحملنا مسئولية بناء الاشتراكية في العالم كله .. وبانحيازنا المطلق وسقوطنا في شرك المصالح والصراعات العالمية، قد نسفنا جسورنا مع القوى المرتبطة بنا تاريخيا وعقائديا والمتحدة المصالح معنا .. وأثرنا عداءات العالم أجمع ، عادينا امريكا اللاتينية من أجل كاسترو .. فلما جاء العدوان لم يضن كاسترو علينا بحكمه ومواعظه فقال«ان التقدميين لا يطالبون بازالة دولة، بل هم يعادون نظام حكم » .

فلم يكن التقدميون يطالبون بازالة المانيا وايطاليا بل النازية ، ولا يطالب الكوبيون الثوريون بازالة امريكا بل الامبريالية .. وهكذا ترى اننا مطالبون بتحرير الشعب الاسرائيلي من حكومته العسكرية ، لا ازالة اسرائيل !

بل وعندما ينعقد مؤتمر الثوريين في هافانا .. كان أقصى نجاح للاشتراكيين العرب في المؤتمر انهم استبعدوا قضية فلسطين من جدول اعمال المؤتمر حتى لا يصدر اصدقاؤنا الثوريون ، قرارا ضدنا !

وقد دفع هذا الموقف بعضا من كتابنا الى دعوتنا الى التخلي عن شعار ازالة اسرائيل او كتمانه بدعوى أنه لا الأعداء ولا الأصدقاء يوافقوننا على هذا الشعار ..

وذلك من التصور الفاسد ، والعقول الانقلابية التي تظن أننا يجب أن نرسم سياستنا ونحدد أهدافنا على ضوء ما يرضى عنه الأصدقاء .. بينما بديهيات السياسة هي تلك التي تحدد الأصدقاء والأعداء على ضوء موقفهم من اهدافنا القومية ..

٤

وهل من هزيمة دبلوماسية أكبر من أن تؤيد اسرائيل جميع الاستعماريات والحكومات العنصرية في افريقيا ، وتقف وحدها في الأمم المتحدة ضد أي قرار يدين البرتغال أو روديسيا أو جنوب افريقيا .. ثم نجد الدولة الافريقية السوداء ما أن تستقل حتى يكون أول قرار تتخذه حكومتها المستقلة هو تبادل التمثيل الدبلوماسي مع اسرائيل ، وارساء حجر الأساس في سفارة اسرائيل ، وارسال البعثات ، واستقدام الخبراء إلى ومن اسرائيل ..

بينما نخسر نحن علاقتنا مع بلجيكا والبرتغال ، ونقطع علاقتنا مع بريطانيا وجنوب افريقيا ونحرق سفاراتهم، ونضحي بمصالحنا التجارية من أجل مقاومة التمييز العنصري ، ودفاعا عن استقلال افريقيا .. فإذا بهذه الدول المستقلة لا تصدر حتى قراراً بادانة احتلال دولة كانت تظن نفسها زعيمة في المنظمة الافريقية .. بل يتبين ان من عوامل الافراج عن الطائرة الاسرائيلية ، هو ضغط ١٠ دول افريقية بزعامة وتحريض صديقنا الحميم هيلاسلاسي [1] .. ضغطوا على

---

(١) تبرع بعد العدوان مباشرة بـ ١٥٠٠٠ بقرة . واشترى الأسلحة التي غنمتها اسرائيل وافتتح بنفسه معرضاً اسرائيلياً اشتركت فيه ١٠٠ شركة اسرائيلية تعمل في اثيوبيا .. لا أدري لماذا لا تطبق قرارات المقاطعة عليه.. لماذا لا نستصدر من البطريرك قراراً بحرمان من يتعاون مع اسرائيل — كان المماليك في مصر يستفيدون من الصلة الدينية بين الحبشة والكنيسة المصرية في الضغط على الحبشة لحماية المصالح المصرية ، ورعاية المسلمين في الحبشة .. ويبدو أن العكس يحدث الآن ..

الجزائر ، وهددوا بمقاطعة مؤتمر القمة الافريقي ، اذا لم تفرج الجزائر عن الطائرة ..

إلى هذا الحد يسهل تحريكهم بواسطة الدبلوماسية الاسرائيلية من أجل طائرة ؟ .. ونعجز نحن عن إثارة عطفهم على طيراننا كله وأرضنا المحتلة وشعبنا المحروق بالنابالم ؟ ثم نقول أننا لم نهزم دبلوماسيا وأصدقاؤنا كثر ؟ ! ..

صحيح ان مبادئنا تحتم علينا أن نقف ضد الاستعمار ، وضد التمييز العنصري ، ولكن ذلك يكشف مدى عجزنا عن الربط بين مصالحنا ومبادئنا .. ومدى براعتنا في خسارة كل الأطراف ، وقدرة اسرائيل على كسب الطرفين؟!

نحن في افريقيا عادينا أو على الأقل تجافينا للجماهير المسلمة المرتبطة بنا ، بل والمتطلعة إلى قيادتنا وبعضها يحاول بكل جهده أن يكتسب الجنسية العربية ، تقربا للاسلام والمسلمين ، عاديناهم ، وتنكرنا لهم من أجل هيلاسلاسي ، ونيريري ، فلما جد الجد خرجت الغواصات من موانىء الحبشة لتضرب مصر ورفض ممثل الامبراطور أن يصوت في الأمم المتحدة ضد العدوان الاسرائيلي ، واشتغل جلالته لحساب شركة العال ..

أما نيريري التقدمي اليساري الذي سكتنا على حمام الدم الذي أقامه في زنجبار لأربعين ألف مسلم وعربي .. وقبلنا الزعم بوجود ٤٠ ألف رجعي في جزيرة ! .. وخرجت صحفنا تشيد بتقدميته .. والوحدة الاشتراكية التي أنجزها فوق جثث إخوتنا .. وإذا بنيريري التقدمي يكشف عن صليبيته والتقاءه مع المصالح الاسرائيلية فيعترف بانفصالي بيافرا .. عميلة امريكا والصليبية الغربية ، والتي يفتخر زعماؤها بأنهم من نسل اسرائيل .. وتخرس الافواه التي مدحت نيريري يوم ذبح أشقاءنا العرب.. وتختفي الاقلام التي شادت بالوحدة التنزانية.. تسكت فلا تقدم لنا تفسيرا لموقف هذا التقدمي البيافري ! ..

ولا غرابة فإن هذه الأقلام هي التي أبدت غبطتها باغتيال زعماء نيجيريا

المسلمين ، واتهمتهم بأنهم رجعيون .. ناسية ان الشمال المسلم هو الذي عارض قبول المعونة أو القرض الاسرائيلي .

وعادينا تركيا من أجل مكاريوس ، ونظمنا المظاهرات في سوريا في تموز (يوليو) ١٩٦٧ تطالب باللواء السليب الاسكندرونة بعد سقوط القنيطرة والعريش والقدس ونابلس ! ..

وتركنا ايللي كوهين يلقي محاضرة في جامعة دمشق يطالب فيها بعربستان .. وخضنا حربا مريرة ضد ايران بسبب ارتباطها باحلاف عسكرية ضد الاتحاد السوفيتي ثم اذا بعلاقات ايران مع روسيا تصبح أكثر نفعا لايران من علاقتنا نحن بروسيا !

لو اننا ارتبطنا بالجماهير الحقيقية المرتبطة بنا ، لو ان « فلسفة الثورة » التي وضعها عبد الناصر في الأيام الأولى من الثورة ، قد أتيح لها أن ترى النور وسارت مصر في الدائرتين ، العربية والاسلامية ..

لو أننا كنا حيث وضعنا الله والتاريخ وحيث ترجونا الشعوب ؛ قلب العالم الاسلامي ، وصوت الاحتجاج ضد أي عسف او اضطهاد يقع على المسلمين .. لو أننا في هذا الموقع حقاً ، أما كان هيلاسلاسي يرتعد رعباً منا ، ويعمل لغضبتنا ألف حساب ، طالما نستطيع أن نثير أغلبية الشعب الذي يحكمه ؟

تركنا الاغلبية المسلمة في أثيوبيا ، تنكرنا لثورة في اريتريا ، تعلن أنها عربية .. تركناهم ولهثنا خلف الامبراطور ، وخلفنا مرارة في نفوس الصوماليين ، المفتونين بحب مصر المسلمة .. فإذا بنا نحارب أي محاولة لهم للاحتماء بالعرب والاسلام .. حتى يضطر رئيس الجمهورية الصومالية إلى تهديد السفير المصري ليكف عن نشاطه ضد المؤتمر الاسلامي المنعقد في مقديشو !

تخلينا عن مصدر القوة الوحيد الذي كان سيجبر الامبراطور على اخفاء احقاده ومجاملتنا

لو اننا غضبنا لمسلمي زنجبار .. أما كان نيريري يكون أكثر احتراما لنا ، وكان كل قادة افريقيا ، حيث الاغلبية مسلمة ، وحيث تشير كل التقارير إلى انتشار الاسلام .. أما كان زعماء افريقيا وحكامها يحسبون ألف حساب لموقفنا.. اذا ما أخذنا مكاننا الحقيقي مدافعين عن الاسلام والمسلمين ..

كل ذلك اضعناه ثم نقول ان أصدقاءنا كثر .. أين هم ؟ !

ان دبلوماسيتنا عاجزة ، وسياستنا مُخربة معادية لمصالحنا .. وسياسة الانتماء التي ترديناً فيها جلبت لنا خسارة شاملة في جميع الميادين .. وأفضت الى عزلتنا حتى داخل المعسكر الشيوعي الذي انتمينا اليه في المجال العالمي ..

ان موقفنا هذا يثير حنق الشيوعية ، لأننا نرفض الشيوعية في الداخل ، الشيوعية كما تريدها موسكو أي تولي الحزب الشيوعي الحكم .. ولكن الدول « الثورية » لا تقبل ذلك ، وتظن أنها تستطيع كسب رضاء الدول الشيوعية بالسير خلفها في الميدان العالمي ، والسماح للفكر الشيوعي بالانتشار ، ونفوذها كدول بالاستشراء ، وتيسير احتكارها لأسواقنا .. ولكن الدول الشيوعية لا تستطيع أن تواجه جماهيرها بهذه الحقائق الأكثر نفعاً ، بل هي في الغالب تعتمد في الدعاية على اسطورة «المساعدات الأخوية للدول النامية » .. الخ مما يجعلها تبدو في صورة تضحيات بالنسبة لرجل الشارع في روسيا[1] .. لذلك يطالب رجل الشارع هذا بالثمن ، وهو لا يفقه الثمن الا في شكل مكانة سياسية للاخوة الشيوعيين العرب ..

وهكذا نرى اننا نقدم أنفسنا للغرب في صورة الشيوعيين ، فنضيف عاملا جديدا لكراهيته الأصلية ، والسابقة على اعتناقنا للشيوعية ، والمستمرة حتى لو

(١) رغم الربح الفاحش الذي حققته روسيا من بناء السد العالي والمكاسب السياسية النادرة ، فإن الاغاني والخطب السوفيتية جعلت بعض العمال الروس يتوقفون عن انتاج معدات السد خلال عام ١٩٥٩ قائلين : « لماذا نساعد نظاماً يعتقل رفاقنا الشيوعيين ! » .

عادينا الشيوعية .. ولكن صورتنا الجديدة تعطي وقوداً لنار الحقد الموروثة ..

وصورتنا هذه تفقدنا تأييد دوائر عديدة معادية للغرب .. ولكنها أيضاً معادية للشيوعية ، وتجرنا إلى خصومات داخلية لا شأن لنا بها ..

أما بالنسبة للشيوعيين فنحن نبدو لهم في صورة الانتهازيين الذين يحاولون اللعب على الحبل ، والاستفادة من متاعبهم .. والذين يحنون ابدا للتعامل مع الغرب ، لولا ان الغرب لا يريد [1] فيقبلون صداقة الشيوعيين على كره منهم ! لذلك هم لا يثقون بنا .. اضف إلى ذلك ما أشرنا اليه من تغلغل الصهيونية في الاحزاب والدول الشيوعية ونشاط هذه العناصر في اثارة الكراهية ضدنا والعطف على اسرائيل ..

ودعنا من تأثير هذه العناصر في اقتصادنا ، ودفاعنا الوطني خلال ثقتنا بهم ، واشرافهم على بناء قوتنا العسكرية ومشاريعنا الصناعية ..

اننا لم نستطع أن نربط بين مواقفنا ومصالحنا .. بل تقمصنا دورا عالميا لم نُهيء له ، وليس في طاقتنا ، تقمصناه لمجرد الاستهلاك الداخلي الرخيص .. وبقدر ما يبدو مضحكاً وهزلياً بيان حكومة تونس الذي يعلن قلقها لما يجري في تشيكوسلوفاكيا فهو أيضاً مفجع وهزلي أن تعلن دول عربية أخرى قلقها للسباق النووي أو حرصها على السلام العالمي .. بينما تقول ابنة دايان « إلى الجحيم بسلام العالم ، ما دام أمن اسرائيل مهدد[2] » :.

لقد هزمنا دبلوماسياً وسياسياً وعسكرياً ، لأن حكامنا لم يؤمنوا بأن قضية القضايا هي قضية فلسطين وان كل سياستنا يجب أن تتحرك في هذا الاطار وحده ، ولا تخرج عنه أبداً .. وان كل ما يخدم قضية فلسطين فهو حق وعدل

---

(١) لأن الشيوعية مكروهة من جماهير العرب . لذلك فإن أجهزة الاعلام الثورية لا تكف عن تكرار هذا الاعتذار .

(٢) يوميات جندي .

وهو معنا ونحن معه .. وان محك الصداقات والعداوات هو مدى ايمان الصديق والعدو بضرورة عودة فلسطين عربية .. وحجم مساعداتهم لنا على تحقيق هذا الهدف ..

من هنا فإن من حقنا أن نرفض السطور الأولى من الكتاب . فنحن قد هزمنا عسكريا ، ولأسباب عسكرية بحتة ، وهزمنا سياسيا ودبلوماسيا ، ونحن لا أصدقاء لنا في العالم الشيوعي .. ولسنا محبوبين في الدول النامية كما كنا نظن ..

قد عميت عيوننا عن أصدقائنا الحقيقيين .. المسلمين .. تركنا جماهيرنا المسلمة .. وجرينا وراء السراب .

هزمنا على جميع المستويات ، لأننا أولا وقبل كل شيء ، هزمنا في ميدان الفكر .. لأننا تركنا هذا الفكر ، الذي يعبر عنه الدكتور البيطار — يوجه مصيرنا فكانت النكسة الشاملة ..

إبادة الوجود العربي

٥

وبعد أن ينفي الدكتور البيطار الأسباب العسكرية والسياسية والدبلوماسية للنكسة ، يضعنا أمام الاختيار المصيري ، فيقول : « ان على العرب أن يفهموا أن عليهم أن يختاروا الغاء الوجود العربي التقليدي ، وبين بقاء الاحتــلال الصهيوني فيدركوا أن الغاء الأول هو شرط أساسي لالغاء الثاني »[1] ..

ولا أظن انه قد بقيت لنا فرصة اختيـــار ، فالاحتلال الصهيوني يقوم —ولا بد أنه مشكور من جانب الدكتور— بمهمة الغاء الوجود العربي التقليدي وعلى الوجه الأكمل ، ولم نر له أية جهود ناجحة في الغاء الوجود العربي الانقلابي .. فلا حاجة لزمرة الدكتور لضم جهودهم علانية ، إلى جهـــود الاحتلال الصهيوني في تدمير الوجود العربي التقليدي ، فإن جيش الدفـــاع الاسرائيلي يقوم بهذه المهمة بنجاح نادر ، لا يشبهه الا نجاح الغزاة الامريكيين في القضاء على وجود الهنود الحمر التقليدي ..

ولا شك أن الأسلوب الصهيوني هو أقدر الأساليب المطروحة لانجاز مهمة اقتلاع الوجود العربي التقليدي ، اذ لا يجدي الهتاف بسقوط الاسلام ، والفرار إلى كندا .. بل الأجدى ، أن يُحتل المسجد الأقصى بالدبابات ، وفي حماية

(١) ص ١٤ من النكسة .. إلى الثورة .

المدافع والطائرات يهتف الغزاة : « يسقط الاسلام »[1].

اسرائيل تدك البيت العربي ، والمدرسة العربية ، والكنيسة العربية ، وتبني فوق المسجد العربي كنيساً يهودياً .. وتحرق الأرض بالنابالم .. وتقتل الانسان « العربي التقليدي » .. وتقيم على أرضه مستعمرة لا تمت بصلة للوجود العربي.. فما الذي يخشاه الدكتور .. وأي اختيار بقي لنا .. والهدف يتحقق على نحو مثالي وهل هناك اقتلاع للوجود العربي التقليدي من الجذور في جميع ابعاده ، مثل ما يجرى حالياً ؟! ..

ما من امة قبلنا (باستثناء الهنود الحمر) واجهت خطر الغاء وجودها ، مثلما يواجه ذلك الخطر امتنا العربية .. ولكن ما من أمـــة ظهر فيها كتّاب يباركون ذلك الإلغاء ويزعمون أنه السبيل إلى الخلاص ! ..

لقد حاولت فرنسا بالحديد والنار .. بالثقافة ، بالغزو الفكري أن تدمر الوجود العربي التقليدي في الجزائر .. وانتصرت الجزائر ، وعاشت عربيـــة مسلمة ، لأنها تمسكت بكل ذرة من وجودها العربي التقليدي ..

أما الدكتور فيغرينا بابادة الوجود العربي التقليدي ، بزعم أنه البديل عن بقاء الاحتلال الصهيوني ..

ولما كان بقاء الاحتلال الصهيوني أو زواله ليس في نطاق اختيار الدكتور وفلسفته .. لذا فهو يفترض اننا اخترنا ابادة « وجودنا العربي التقليدي » ويتولى توجيهنا إلى أنجح الوسائل لابادة هذا الوجود ..

والوجود العربي التقليدي عند الدكتور ، هو الاسلام .. لذا فإن محـــور الكتاب هو الدعوة إلى محاربة الإسلام ، وإلى اكمال ثوريتنا بالمجاهرة بعدائه ..

وهو متفاءل بالنكسة ، وينذرنا أو يبشرنا بأن « التطورات والتحولات الثورية التي تمخضت عنها نكبة ١٩٤٨ ستعيد ذاتها بشكل أعم وأعمق إثـــر

(١) تسجيل منظمة فتح الذي قدمته إلى مؤتمر علماء المسلمين بالقاهرة .

النكسة ، لذلك لا أتردد بالقول : مرحى بالنكسة [1] » !

وإذا كانت هذه التحولات والتطورات الثورية ، التي تمخضت عنها نكبة ١٩٤٨ ، قد أفضت كما يعترف هو في أجزاء متفرقة من الكتاب إلى نكسة ١٩٦٧ ، فابشروا يا عرب بنكسة أعمق وأعم .. ما دامت التطورات المرتقبة أعم وأعمق من تلك التي أصابتنا بعد عام ١٩٤٨ .

بل ان ذلك هو ما يؤمله الانتكاسي .. فانه يرحب بهزيمة عسكرية أمام اسرائيل لأنها تفسح الطريق إلى الاشتراكية ..

ويسقط بذلك إلى مستوى أقل من مستوى الببغاء عندما يستشهد على ذلك بتمنيات « لينين » الشريرة للدولة الروسية خلال حربها مع اليابان ، ثم مع المانيا .. !

ولن نتعمق في تحليل الأسباب التي جعلت لينين والحزب الشيوعي الروسي يتمنون هزيمة القيصرية ، وطنهم روسيا لكي تفتح الهزيمة السبيل أمام الثورة الاشتراكية ..

ولن نشير إلى التأثيرات اليهودية في تكوين هذا الموقف .. بل يكفي أن نشير إلى الفارق الخطير والجوهري ، الذي يقضي على كل مشابهة ، وهو طبيعة الدولة الروسية وتأثير هزيمتها العسكرية في الوجود الروسي نفسه .

كانت حروب روسيا ، ذات طابع استعماري من اجل الامتداد،وهزيمة روسيا أمام المانيا أو اليابان .. تعني خسارة مستعمرات ، لا ابادة الوجود الروسي نفسه ، أو استيلاء المانيا أو اليابان على الوطن الروسي ذاته ..

من هنا يمكن تصور حزب معارض يتطلع لهزيمة عسكرية تقع بعيدا عند الحدود ، فتضعف قبضة الدولة ، وتمكن الحزب من الاقتراب من السلطة ..

أما في حالتنا نحن فإن كل هزيمة تعني استئصال الوجود العربي من بضعة

(١) ص ١٨ .

آلاف من الكيلومترات من الوطن العربي ، تعني ازالة الوجود العربي من مدن عربية وقرى عربية ، ومساجد عربية ، وكنائس عربية .. تعني ابـــادة تاريخ وثقافة .. تعني مئات الألوف من المشردين واللاجئين .

أيمكن إذن أن يكون عربيا ذلك الذي يبتهج باستيلاء اليهود على عكا وحيفا واللد والرملة .. ثم تزداد بهجته باستيلاء اليهود على العريش وبترول سينـــاء ومرتفعات الجولان ونابلس والقدس وغزة ؟!

أحقاً كان يحزننا أن ينتصر الملك حسين في يونيه ، ولو أدى ذلك إلى تقوية العرش الهاشمي ، وتأخر الثورة الاشتراكية في الاردن مليون سنة ؟!

أيبلغ بنا الحال أن نناقش هذا الفكر باعتباره فكرا عربيا ؟ ..

أليس من حقنا إذن أن نفترض ان كل هذه الحلول التي تقدم من جانبهم ، هي للحصول على هزيمة رابعة حاسمة تفتح الباب على مصراعيه لثورتهـــم الاشتراكية[1] .

ويزعم الانتكاسي أنه هو الذي سمى هزيمة حزيران : « نكسة » .. وليس نكبة : « على الرغم من انها في كثير من نواحيها أسوأ وأوخم من سابقتها » ..

وأصغر تلميذ يعرف أنه ليس الدكتور الذي أطلق على هزيمة يونيه لفظة نكسة .. ولا شك ان « غادة السمان » كانت أكثر ثورية من الدكتور رغم كل

---

(١) « الحركات الديموقراطية الثورية في روسيا تدل بشكل واضح على أن قواها كانت تنمو اثر كل فشل خارجي ، وكل انكسار عسكري ، حتى ان البعض كان يرى أن هزيمة عسكرية تصيب روسيا في الحرب الكبرى (١٤ –١٩١٨) هي الوسيلة الفعالة التي تفتح أبواب الثورة الناجحة ضد النظـــام . لينين وصحبه كانوا يمثلون ذلك الموقف ، وكانوا أول من نادى به ودعوا اليه ، في صحيفتهم « الدمقراطي الاجتماعي » التي كانت تصدر في سويسرا ، فقالوا بضرورة هزيمة روسيا العسكرية ، لأن تقدمها الدمقراطي يفرض تلك الهزيمة .. الكارثة العسكريـة كانت الأمل الوحيد الذي بنى عليه لينين خططه » ص ٣٥ من « الفعالية الثورية في النكبة .. » نديم البيطار .

ما يتلحف به من أردية الثوار منذ سبارتاكوس إلى جيفارا . .

لأنها رفضت تعبير « النكسة » وقالت ان معنى القول بنكسة هو اقرار المنهاج الذي كنا نسير عليه ، والذي انتكسنا عنه في الطريق .. بينما هزيمة يونيه تكشف اننا كنا نسير في طريق خاطىء وبأسلوب خاطىء ، فالذي جرى في يونيه هو نتيجة محتومة وطبيعية ، أفضت لها كل المقدمات التي سبقتها وليس نكسة مخالفة أو معاكسة لخط السير العام ..

وهذه النظرة تتطلب تغييرا شاملا في الهدف والأسلوب .. أما منطق النكسة ، فيدعو إلى الاستمرار في نفس التفكير وبنفس الأسلوب .

ومن منطق « النكسة » ، كان شعار « ازالة آثار العدوان » وليس « قهر العدوان » .. والفرق كبير .

ومن هنا نرى أن الانتكاسي عندما يختار « النكسة » بدلا من الهزيمة ، ويطالب بتدعيم وتعميق « الأسلوب الثوري » الذي تمخضت عنه هزيمة ١٩٤٨ ، انما يكشف عن موقف محافظ غير ثوري ولا انقلابي ، رغم كل الضجيج الذي يحدثه .. فالثوري لا بد له أن يرفض كل ما أفرزته السياسة العربية خلال العشرين عاما الماضية ، لأن محصلتها كانت هزيمة ساحقة .. لا بد أن يطالب بتغيير شامل ومن الأساس .. وليس مجرد تعميم وتعميق هذه التطورات التي انتقلت بنا من سيء إلى أسوأ .. ولكن ذلك غير مستغرب من داعية إلى إبادة الوجود العربي التقليدي [1] ..

---

(١) الدكتور يشهر بهذا الوجود ، بتاريخ وحضارة العرب بنفس العبارات التي يكتبها الصهيونيون ضد هذه الحضارة ، يقول الدكتور : « والدورة العربية الحضارية الأخيرة التي انطلقت من ايديولوجية غيبية ، حققت قواها وأنجزت جميع مجالات ابداعها في القرن الثاني عشر ، أو القرن الثالث عشر على أبعد تقدير ، ومنذ ذلك التاريخ جمدت وتحجرت وعجزت عن الابداع في أي صعيد » (ص ١٤٣) .

ويقول الصهيوني ارثر كوستلر في « لصوص الليل » : =

غير أن الصورة ليست قاتمة كما تبدو ، فلا شك ان لها جوانبها المشرقة ، وما كان الانتكاسي بالذي يمنعه التواضع من تبصيرنا بهذه الجوانب المشرقة ، فان كان للنكسة من فضل ، فهو اثباتها « صحة الديالكتيك الذي عينته » ..

وأما بنعمة ربك فحدث .. ولكنه مشفق علينا ، يخشى « أن يعجز الفكر الثوري عن متابعة ذلك الديالكتيك » الذي ركبه واخترعه الدكتور البيطار .. فتضل امتنا وتشقى.. لذلك وبكل تواضع وانكار للذات يقرر ان يشرح لنا – أيضاً – طريقة استعمال « ديا لكتيك النكبة » ..

وبذلك ننتهي من المقدمة لننتقل إلى الكتاب حيث نطالب بتجرع ديالكتيك النكبة .

وإذا شئنا أن نمضي في الكتاب فليس أمامنا إلا أن نضرب صفحا عن الاستعراض التقليدي الذي يغمرنا به كل مثقف انقلابي في بداية حديثه ، باستعراض كل ما قرأه في مكتبات الغرب ، وبالرغم من أنه يسجل من مظاهر انحرافنا ، وحاجتنا إلى ديالكتيك النكبة ، ان كتابنا العرب لا يشيرون إلى بعضهم البعض ولا يرجعون إلى أبحاث بعضهم .. ومع ذلك يقدم هو كتابا من ٣٠٠ صفحة استند فيه إلى ١٦٧ مرجعا (أي مرجع لكل صفحتين !) لا نجد من بينها كتاباً عربياً واحداً ! وكل مراجعه العربية هي مجلات .. وبالذات « الحرية والطليعة ودراسات عربية والأهرام والآداب والفكر المعاصر والكاتب ... » وفي كتابه اشارة إلى ٢٦٣ مفكراً أو مصدرا أجنبياً ، وورد ذكر اسم ماركس ٤٤ مرة ولينين ٢١ مرة وماوتسي تونج ١١ مرة.. وفي بعض الصفحات وردت أسماء ١٨ مصدرا أجنبياً في الصفحة الواحدة !

= « العرب لم ينتجوا شيئاً يستحق المشاهدة إلا كباريهات وكرتات بوستال حقيرة من طنجة إلى طهران ، في الألف سنة الأخيرة » . (في الادب الصهيوني – دراسات فلسطينية – ص ١١٦) .

وكم هو مؤسف أن نتصفح كتاباً عن النكسة ، وكيفية الخروج منها فنجد أن جميع مراجعه انجليزية وفرنسية ، مصفوفة في آخر الكتاب ، كشهادة المنشأ !

وكم هو هزلي أن يحدثنا عن تأثير نكسة ما بعد ثورات ١٨٤٨ في نفسية مازيني وهيرزن وكوموس ! .. ويحدثنا عن صراع الكنيسة الكاثوليكية مع الفكر الفرنسي العلماني ، ورأي اي جاسا في الحقائق البائدة .. ولا ينسى السوسيولوجية الامريكية ربما لأن نسيانها خطر فادح على تحصيناتنا في منطقة القناة ! ..

وربما يصبح علينا من أجل فتح قناة السويس وإخراج السفن المحتجزة فيها من جهة الشمال.. وتحرير سيناء ، وإخراج اليهود من كنيسة القيامة، ولا أقول المسجد الأقصى حتّى لا أصبح رجعياً أدافع عن الوجود التقليدي .. يصبح علينا كي نحرر الجولان أن نقول رأينا في حركة مدراس واشتراكية بارنانوس ، وسيلن ، بارديش ، دريو لاروشال ، براسياك ، وتياري مولينيه . !

إنها حالة الهذيان التي تصيب نقلة الفكر الاوربي ، فلنترك ذلك جانباً فقد سئمنا اجترار الفكر الغربي .. ولو أحسنوا حتّى قراءة من ينقلون عنهم ، لتعلموا كيف يكتبون لأمتهم .. إن الثورة الصينية العظيمة ، كان مرجعها طوال سنوات طويلة من الكفاح .. كتيب صغير [1] غير وجه الصين ، لا يزيد في حجمه عن فصل واحد من كتاب واحد من كتب الدكتور .. والأسماء غير الصينية فيه تعد على الأصابع .. ذلك لأن التراجمة لا يحررون أمة ولا ينشئون فكرا ثوريا ..

وهو يدلل على عجز الفكر الثوري بأن الحركة الثورية العربية لا تستطيع

---

(١) ديموقراطية جديدة

حتى الآن أن تدله على كتاب واحد يمكن أن يعتمد كدليل لها .. وهو اعتراف محمود ، بأن كتبه هذه لا تشكل الدليل بعد .. ولكنه لا يقول لنا ولا يعرف كيف يفسر عجز حركة ثورية عن افراز كتاب واحـد يعبر عنها ويـدل عليها .. ولعلها أول ثورة أمية ! ..

السبب أو بالاحرى هناك سببان :

الأول أنه ما من حركة ثورية قد قامت بعد في الوطن العربي .. بـل مسوخ واجهاضات وحركات غريبة المنبت مريبة التكوين ، في جانـب ، أو قل تطفح على السطح .. وفي الجانب الآخر أو في الأعماق تجري محاولات باسلة للتجمع ثم التعرف وبعده يأتي التعبير خلال محاولة التغيير ..

والثاني ان الذين يتنادون بالثورة في الوطن العربي لا يعيشون مـع الشعب العربي ، لا ينبتون من جذوره ولا يتغذون من تاريخه وثقافته ، لا ينتسبون إلى حضارته ، بل يتقممون سقط الفكر الغربي ، ويغلونه في قدر الماركسيـة الصدىء ، ثم يحاولون تغذية النمو العربي به ، فيصيبونه بالشلل ، ويصيبون أنفسهم بالعقم .. وعندما تعاد ترجمة هذا الخبث إلى اللغات الأجنبية يسخر منهم الفكر العالمي لأنه يتعرف في طعامهم ، نفايات موائده ..

ان الفكر المسمى بالثوري عندنا ، لا يمت لتطور هذه الأمة بصلة ، وما من فكر ثوري قد استورد من خارج ثورته ، وما من عقيدة قد نقلت من الكتب ..

وما من منصف يطالبنا بأن نرد على الفكر الغربي منذ عهد توماس الاكويني إلى المدارس الامريكية المعاصرة .. لذلك فنحن رغم مناقشتنا الدقيقة لكل فكرة يحاول انيقدمها ، فاننا لا نزعم اننا نناقش « من النكسة إلى الثورة » ككتاب .. لأننا لا نواجه كتابا موحد الفكرة والعرض ، فان كل فصل يتأثر بالمراجـع

الأجنبية التي يلخصها .. حتى لو تعارضت — كما سنرى — انه بحق يعد مخزناً لكل الفكر الفاسد الذي ساد الوطن العربي ، وعبثت فيه وبه حلقات وتشكيلات الانقلابيين خلال العشرين عاما الماضية ..

حسبنا اذن أن نقف هنا وهناك عند بعض الأفكار التي يتظاهر الانتكاسي بأنه مكتشفها .

***

الإشتراكية والوحدة

٦

يستعرض الدكتور محاولات البحث عن تفسير أو البحث عن مخرج من هزيمتنا الأولى أمام اسرائيل في ١٩٤٨ فيقول : «كانت التفاسير التي ظهرت حولها تعلن بشكل اجماعي تقريباً انها تعود إلى أسبـــاب سياسية وعسكرية وان الرد الحاسم يكون في معالجة هذه الأسباب ، أي التخلص من المسئولين الذين سببوها ، وبتسليح العرب تسليحاً كافياً . ثم تطور هـــذا التفسير ، فجعل المعالجة تشترط قيام نظم اشتراكية ثورية تضمن في تحققها ذاته ، ليس فقط تحرير الحركة العربية من الطبقات الرجعية المسئولة سياسيا عن النكبة ، بل قيام الوحدة والتغلب على التجزئة ، أهم عثرة في معالجة النكبة [1] » .

ثم يصل بنا سيادته إلى حكمة يتصدق بها علينا بسخاء دون أن تبصر يده اليمنى ما تفعله يده اليسرى ، فيقول : « **فالاشتراكية تفرض في ذاتها وعفوياً الأسباب الموضوعية التي تخلق الوحدة بشكل حتمي** » .

والمفروض في الدكتور القادم من كندا ، والداعية إلى الالحاد والكفـــر بالاسلام ، المفروض انه لا يقع فريسة الغيبيات والفلكلور والخرافات الـــتي أصبح ترديدها يبعث على السأم بعد أن فقدت حتى قدرتها على الاضحاك أو

(١) صفحة ٧

التشويق .. فضلا عن أن يتحدث رجل علماني انقلابي عن العفوية ...

عفوا .. واسمح لنا أن نتساءل اين فرضت الاشتراكية الأسباب الموضوعية التي تخلق الوحدة بشكل حتمي ؟

هل وحدت الاشتراكية بين روسيا والصين ؟ .. ألم تكن علاقات ابن السماء بالقيصر أفضل أحياناً منها اليوم بين القادة الاشتراكيين في بكين وموسكو ؟

هل وحدت عشرون عاما من الاشتراكية بين موسكو وبراغ ؟ ألم تكن الدبابات أفعل وأجدى وأحسم في « خلق الأسباب الموضوعية للوحدة » داخل حلف وارسو الاشتراكي .. شرط أن لا يتم ذلك عفوا ، بل بتدبير وإحكام ومباغتة تذهل كل المراقبين ..

هل وحدت الاشتراكية بين يوغوسلافيا والبانيا .. أليست السوق الاوروبية المشتركة بين عتاة الرأسماليين أكثر اتحادا من الكوميكون ، الذي تعود اليه تشيكوسلوفاكيا صاغرة بعبارات تقطع نياط القلب ، لولا صهيونية قائليها ..

ليست الاشتراكية تلك التي تنطق في تصريحات موسكو بأنها لن تسمح باخراج احدى دول حلف وارسو .. لا ليست الاخوة الاشتراكية ... انها الصيغة الاشتراكية لمبدأ مونرو .. وحق سيادة العصا الغليظة في منطقة النفوذ .. أساسها الوحيد الطاقة العسكرية للاتحاد السوفيتي .. فهي وحدها القادرة على فرض المصالح الروسية ..

أين وحدت الاشتراكية ؟ ... فنحن قوم لا نؤمن حتى نرى ..

بل تعال أيها الانقلابي القادم من كندا إلى تجربتنا نحن المريرة ، ألم تتحد مصر وسوريا قبل الإشتراكية ؟ .. واتحدت الاردن والعراق في ظل العرش الهاشمي ، بل اتحدت يمن حميد الدين مع الجمهورية العربية المتحدة .. ثم ألا تجمع كل التحليلات التقدمية على أن السبب المباشر (إلى جانب شتى المؤامرات) في وقوع الانفصال هو الاشتراكية .. وان الاشتراكية هي التي منحت المناخ

المطلوب لكل القوى المعادية للوحدة كي تتحرك ؟ ..

اذن يمكن أن نقول ان « الاشتراكية تفرض في ذاتها وعفويا الأسباب الموضوعية التي تخلق الانفصال بشكل حتمي » .

ألا تكون حكمتنا نحن أقرب لوصف واقع الحال من حكمتك يا دكتور !

ثم بعد سقوط عهد الانفصال الرجعي في سوريا وقيام عهد الاشتراكيين التقدمي .. الذين لا جدال في انقلابيتهم فهم يفوقون حتى بهلوانات السيرك في قدرتهم على الانقلاب وسرعتهم في ممارسته .. هل تحققت الوحدة على أيديهم ؟

هل الدول العربية الاشتراكية الثورية التي يحصيها أقرب إلى الوحدة أو سائرة إليها أو حتى تتمتع بأفضل علاقات فيما بينها ؟!

هل نذكرها بأسمائها .. ؟! ..

اليمن الثورية الشمالية ، والأخرى الشعبية الجنوبية والعراق وسوريا ومصر .. ولندع الجزائر جانباً من أجل الله ورسوله .. من أجل مليون شهيد ، لم تبل عظامهم بعد ارفعوا أيديكم عن الجزائر ، دعوها تدبر أمورها وتستكمل مقومات وجودها العربي .. قبل أن تعملوا معاول الهدم فيها ..

يكفي عبء خمس دول ثورية ..

ان قيام حكم انقلابي اشتراكي تقدمي ينسب نفسه إلى نفس التشكيل الذي اخترع تعبير الانقلابي والانقلابيه ، ان قيام مثل هـذا الحكم في كل من بغداد ودمشق لم يثمر وحدة بل أدى إلى نسف الحزب الانقلابي واعتقال مؤسسه ، والوصول بالعلاقات بين دمشق وبغداد إلى أسوأ وضع وصلت اليه منذ العباسيين .. وما بين ردة تشرين ووثبة تشرين المباركة .. تمزقت حتى الروابط التاريخية بين سوريا والعراق ..

وقيام الوضع الانقلابي الثوري في عدن وصنعاء لم يحقق الوحدة بين اليمن جنوبها الشعبي وشمالها الثوري .. ألم يكن الامام أحمد ، رغم تخلفه وبؤسه

لا يعترف بانفصال جنوب اليمن ، ولكن الانقلابيين تبادلوا الاعتراف والتمثيل الدبلوماسي والأزمات والخلافات والمذكرات .. واحتفظ كل حكم بعلم خاص ونشيد خاص ووزير خاص لشئون الوحدة مع الآخر ! ..

ولا شك أن المزيد من الانقلابية سيفضي « عفويا » إلى خلق الأسباب الموضوعية للقتال بين انقلابي عدن وانقلابي صنعاء ..

ورغم العلم الواحد لكل من العراق وسوريا وما يسببه من ارتباك للعالم المتمدن الجاد .. هل العلاقات بين انقلابي العراق ، وانقلابي سوريا تبشر بوحدة او اتحاد ؟! ..

يفاجئنا الانتكاسي بعد ذلك ، بسطور ، بتقرير الحقيقة أو البديهية التي وصل اليها الانسان العربي فيقول : « فهذه النظم عجزت عن تحقيق الوحدة ، وعن تحرير فلسطين ، كما انها عجزت عن حماية الأرض العربية التي لم يمتد اليها الاحتلال سابقاً ، فكانت النكسة الأخيرة أسوأ من النكبة السابقة من نواحي عديدة .. ان النكسة تكشف وتفضح اذن جميع تلك التفاسير وتعلن فشلها كما انها تعلن عجز أشكال الفكر والتنظيم الثوري التي برزت طيلة عشرين عاماً » .

ونحن معه على طول الخط ، حتى لنوشك أن نطمع في اسلامه ، ولكنه يدرك أنه بذلك ينفي كل نظريته وانقلاباته ويلغي مبرر تأليفه الكتاب، فيسارع في نفس الصفحة بتصحيح الموقف باجراء مساومة مع أصحاب التفاسير ، فيعلن ان تفاسيرهم : « كانت سليمة في المدى الذي ذهبت اليه ، ولكنها كانت عاجزة خائبة فيما أهملته فلم تمتد اليه ، فقد وقفت في « نصف الطريق » .

فالاعتراض اذن ليس على قاعدة : الاشتراكية تخلق الوحدة ، وبوحدة الاشتراكيين نسحق اسرائيل .. بل الاعتراض على حجم الجرعة التي أجبر الشعب العربي على تجرعها .. والمطلوب هو مضاعفة الجرعة الاشتراكية ..

فليس الحل « كما تقول الاصوات الرجعية والانهزامية ، الرجوع عن الاشتراكية والثورة أو تمنين الاثنين .. بل هو المزيد من الثورة ومن الاشتراكية » .

كان من الممكن أن نبدأ نقاشاً معقولا ، لو قال ان ما جرى في العالم العربي حتى الآن لا هو بالاشتراكي ولا الثوري ، بل هو عربدة عصابات عسكرية من الطبيعي أن وسيلتها الوحيدة للاستيلاء على ثروات البلاد هي اعادتنا الى النظام المملوكي .. فتعتبر الأرض ومن عليها ملكا للسلطان ، أي ملكية شخصية لها .. فالاشتراكية في مفهوم المؤسسات العسكرية هي تملكها ثروات البلاد .. وهي كما اغتصبت السلطة بالدبابات ، وفرضت استمرارها فيها بالدبابات والسجون ، وسحقت كل ارادة شعبية .. لجأت الى نفس الأسلوب في نزع ثروة الأمة ..

وكما اطلقت على عملية التآمر واحتلال عاصمة بلادها : ثورة وتحررا .. أطلقت أيضاً على عملية السطو المسلح التي قامت بها على ثروات البلاد : تأميماً ، واشتراكية ، ونقل الثروة للجماهير الكادحة التي ازدادت فقرا وتعاسة ، وفقدت حقها في الشكوى، بل أصبح عليها في عهد «المماليك الاشتراكية» لا مجرد الدعاء للسلطان بالنصر كما كان يُطلب من اسلافها في عهد المماليك البرجية والبحرية .. بل ويلهجون بالحمد والثناء للسلطان الجديد الذي قضى على الاستغلال ! ..

كيف أمكن أن تبتذل الألفاظ على هذا النحو .. وتمتهن الثورة والاشتراكية ..

إن ذلك يرجع إلى العقلية التي يعبر عنها الانتكاسي في شرح أسباب اختياره لقب انقلابي بدلاً من ثوري ..

فهو يقول : «انني أفضل كلمة انقلابي بدلاً من ثوري لأنها أكثر جذرية وتفي بالغرض الذي أقصده أكثر من الكلمة الثانية . فمن ناحية المعنى اللفظي المحض ، انقلب الشيء يعني تغيرت قواعده ومعالمه الأولى تماماً ، وهذا يوحي

أكثر بنوع التمرد الذي يرافق المراحل الانتقالية الكبرى في التاريخ .. أما كلمة ثوري ، فهي مشتقة من كلمة « ثار » ، وهي كلمة تعني من ناحية لفظية تمرداً ضد شيء أو واقع ما وهو معنى يمكن انطباقه على الرجعي أو المحافظ »[1] .

هذه شعوذة لفظية ، لأن الألفاظ لا تستمد معناها من القواميس .. وبالذات الالفاظ السياسية ..

إن الثورة بمعناها السياسي المتعارف عليه والذي لا يمكن فصله عن الكلمة ، هي تغيير من ذات المجتمع وبعناصره ، وهي لا تتحقق إلا بارادة وتنفيذ الجماهير

هي تغيير يحل قيما جديدة محل القيم المنهارة ،ويحل القوى القادرة على تجديد حيوية المجتمع ، محل القوى التي تفسخت وأصبحت عبئاً على مجتمعها وخارج حركة التاريخ .

الثورة عمل من صميم المجتمع وبعناصره .. أي ليست دخيلة عليه ، ولا تتخذ شكل مؤامرة ، مهما كان شكل الوصول إلى السلطة ، فان تغيير السلطة رغم أنه يستحوذ على انتباه المؤرخ عادة ، إلا انه مجرد جزئية لا تحدد أبداً طبيعة التغيير .. فإن ملامح الثورة تكون واضحة ملموسة ولسنوات عدة قبل سقوط الفئة المنهارة .. تبدو في ظاهرة صحة وفتوة وقيم شامخة ، وبطولات تُضيء ليل النظام المنهار ..

من ذا الذي ذهب إلى دار ابن الارقم أو إلى المدينة ، وعجز عن أن يرى ملامح النظام الإسلامي ، والفتوة الإسلامية ، والقيم الإسلامية ، في سلوك وايمان هؤلاء الثوار الذين كانوا يمثلون عالماً كاملاً في جميع تفاصيله .. ويتفوقون على معاصريهم بأحقـــاب سحيقة كأنهم من كوكبين مختلفين .. ورغم ذلك فهم من صميم المجتمع ..

---

(١) ص ٢٠٣ .

هذه هي الثورة .. كالجنين .. من صميم الأبوين .. كل خلية فيه تحمل بصماتهما .. ولكنه كائن منفصل تماماً .. ظهوره يلغي وجودهما .. ويؤكد في نفس الوقت استمرارهما ..

أما قلب الأشياء رأساً على عقب ، فذلك فعل الأطفال والمخربين .. جعل الأسفل الأعلى ، هو مجرد تطلع فئات من السلطة إلى نصيب أكبر هناك عند القمة ..

تلك هي المؤامرة التي اتقنها ضباطنا ، وربما كان اختيار حزب البعث (وليس الدكتور) لتعبير انقلاب وانقلابي .. مسئولا إلى حد ما عن استشراء اسلوب الانقضاض على السلطة ..

فلو كان هؤلاء الضباط قد رُبوا على فهم حقيقي للفرق بين الثورة والانقلاب .. بين الثوري والانقلابي .. لما فكروا يوماً ان الثورة تتحقق في المجتمع بانقضاض الضباط على محطة الاذاعة .. أو ان شعباً من الشعوب يمكن أن يحاط علماً بأنه انجز ثورة ، وحقق الاشتراكية ببلاغ يذاع عليه فجأة .. ويجري اعداده ليلاً ..

لو أجيد تثقيفهم ، لعرفوا أن الثورة يجري اعدادها أولا في ضمائر وعقول الجماهير التي ستبني المجتمع الجديد ، والتي ستستعذب الموت في سبيل هذا المجتمع .. الجماهير التي ستفرز سلطته كما تفرز ثقافته وقيمه ، وان جر الجماهير بسلاسل إلى جنة الاشتراكية لا يفضي إلا إلى وقوع السلطة الانقلابية في جحيم الاستعمار والارهاب ..

ان «المماليك الاشتراكية» ، الذين ادخلوا في روع الجماهير ، من فرط يأسها ، ان الثورة والتحرر يمكن أن يباغت بهما الشعب ببيان يذاع في الفجر .. من الاذاعة ! .. فيستيقظ الشعب ، وإذا به قد انجز او قل « أحدث » في الليل ، ودون أن يدري .. ثورة ! ويصبح الخط الفاصل بين الثوري والرجعي ، هو

ميكرفون الاذاعة .. الذي يقف خلفه اشتراكي ثوري ، والذي نزع منه أو فشل في الوصول إليه ، رجعي عميل متآمر مع الاستعمار ..

وبنفس الاسلوب عالجت الاشتراكية ، فتفاجىء الجماهير .. باعلان انجازها للثورة الاشتراكية ! وكالوريث السعيد في لندن عندما تفتح وصية عمته الأمريكية فيرث الثروة والغنى .. وينتقل من طبقة البروليتاريا إلى طبقةالمالكين .. كذلك كانت الجماهير في بلادنا تجلس في بلاهة وسعادة فاغرة فاها .. تنتظر خطاب زعيم العسكريين ، يفاجئها بانتقال ثروة الرأسمالية اليها ، وتملكها لوسائل الانتاج ..

ان العسكريين حكموا على الشعب بالجمود والخروج من الحياة السياسية ، وعزلوه عن تقرير مصير بلاده .. وتولوا هم انجاز كل شيء ! ..

ان أي نقاش يبدأ بوصف سلوك العسكريين في الوطن العربي بالاشتراكية والثورية ، هو نقاش غير علمي ، غير أمين ، لا صلة له بما هو متعارف عليه ، عن معنى هذه الألفاظ .

كان النقاش يمكن أن يكون موضوعياً قدر الامكان لو أن الانتكاسي صمد ولو بضع صفحات ، عند قراره بخطأ هذه التفاسير ، لو أنه رفض أن يسمي هذا الذي ارتكب في بلادنا بالاشتراكية والثورية !! .

أما ان يقول ان الحل هو المزيد من ذلك الذي جرى .. مزيد من اشتراكية الدبابات ، وثورية المتآمرين الانقلابيين فإن النقاش يفقد كل أساس موضوعي ، أو علمي ..

فليعذرنا القارىء إذا اكتفينا بفضح هذا الفكر الانتكاسي وتعريته وتوضيح أهدافه ومراميه ..

الحربُ القوميَّة

١

ان هزيمة حزيران (يونيه) ١٩٦٧ .. قد أكدت ثلاث حقائق طالما كان العقلاء يشيرون اليها .. ولكن ارهاب الشعارات ومنطق الدبابات المفحم ، كانا يمنعان الجماهير من التعبير بصراحة ويشلان حقها في المطالبة بانتهاج اسلوب عمل يحقق أهدافها ..

هذه الحقائق الثلاث هي :

● ان الغزو الصهيوني ، هو العدو الأول والرئيسي .. بل هو العدو الذي يشكل الخطر الأكيد ضد وجودنا . وان الدول العربية التي حملت مسئولية مواجهة هذا الخطر ، وفرضت زعامتها ، كثمن لمسئوليتها هذه..عاجزة عجزاً مطلقاً عن مواجهته ، بل تشكل بسياستها ونظمها ، أكبر ثغرة في الدفاع العربي.

● الحقيقة الثانية .. هي ضرورة المواجهة القومية ، لهذا الخطر القومي .. أي ضرورة قيام الجبهة الوطنية العربية ، جبهة تضم كل القوى العربية بصرف النظر عن اختلاف البرامج الاجتماعية أو السياسية ضد الغزو الصهيوني .. جبهة فوق كل خلاف .. فبدون هذه الجبهة لا يمكن مواجهة الغزو الصهيوني ، بل سيُبيد المحتل الصهيوني ،الوجودَ العربي كله لا فرق بين الملوك والبروليتاريا..

● الحقيقة الثالثة .. التي اتضحت على ضوء عزلتنا قبيل وخلال الخامس من يونيه .. وتخلي الجميع عنا .. ثم ما تجلى من روح صليبية تحرك الحقد ضدنا

والعطف على اليهود ، من مظاهرات في باريس تهتف : « قاتلوا المسلمين » ... الى مظاهرات في براغ تهتف : « تحيا اسرائيل المناضلة » ثم غضبة الشعوب الاسلامية لنا ، ومحاولتها التعبير عن غضبتها هذه بقدر ما وسعها ، بل بقدر ما نسمح نحن لشعور اسلامي بالتعبير ، حتى ولو كان مؤيداً لنا ..

أدى ذلك إلى تأكيد الحقيقة التي تقول ، ان العالم الاسلامي هو العمق العالمي الوحيد الممكن لهذه الجبهة العربية ، في مواجهة الغزو الصهيوني ..

وعلى ضوء ما جرى في الخامس من يونيه ، تأكدت الجماهير ان العقيدة الوحيدة القادرة على خلق روح المقاومة ، واحراز النصر هي الاسلام .. بعدما تبين ان كل العقائد والايدلوجيات التي فرضت لم تثمر الا الهزيمة والاستسلام ، ولم تنجب الا خونة عملاء او انهزاميين جبناء ..

هذه الحقائق ، كانت في وعي الجماهير ، قبل الخامس من يونيه ، وكان الكثيرون يطالبون بها ، وينبهون اليها .. ولكنها لم تصبح قط بمثل هذا الوضوح الا بعد هزيمة يونيه ، وفي ظل انهيار السيطرة العسكرية أمكن أن ترتفع بعض الأصوات فتطالب باستراتيجية تعتمد هذه الحقائق كأسس لها ..

ومسايرة لصوت الجماهير ، وبفعل ذهول النكسة ، بدأت حتى بعض الأصوات «الثورية» تعترف بجانب من هذه الحقائق ، فيما سمته بنقد الذات ..

ولذلك تحركت العناصر التي صنعت نكسة يونيو ، والتي تواصل سعيها من أجل نكسات أخطر .. تحركت لمواجهة خطر فرض الجماهير لارادتها ، تحركت لتدمير امكانيات الفهم التي لاحت ، تحركت بمخطط له ثلاثة أهداف مضادة ..

● الاستمرار في السياسة التي تزعم أن الثورة العربية ، مهمتها تحقيق الاشتراكية **أولا** وأساساً .. وهي اذا كانت تعادي اسرائيل ، فلأن اسرائيل تعترض طريق الاشتراكية ..

ولذا يدافع هذا المنطق عن النظم التي سلكت هذا الطريق المدمر ، وبددت قوى الشعب العربي وسلمته فريسة سهلة للمحتل الصهيوني ..

● رفض الجبهة القومية ، والاصرار على الصراع الطبقي .. أي استمرار ما يسمونه بالثورة العربية لتصفية الاستعمار والرجعية في الوطن العربي هذه التصفية التي تتم بالحرب ضد دول عربية ، وليس ضد اسرائيل ..

ولأجل التغرير بالجماهير يطرح لها ، كشعار بديل ؛ وحدة مزعومة بين الدول العربية الثورية .

● محاربة الاسلام ، لكي يتحقق عزل الأمة العربية في حربها المصيرية ، ولكي تجرد الجماهير العربية من سلاح الايمان ، ولتدمير معنوياتها ، والقائها فريسة لكل الطامعين .. لذلك يرفض الفكر الانتكاسي ، شعار الحرب القومية .. والانتكاسيون هنا ، ملكيون أكثر من الملك ، يعترضون على تصريح الرئيس جمال عبد الناصر عندما خطب في العمال العرب :

« وحينما نتكلم عن الوطنية العربية أو القومية العربية يجب أن ننسى في هذه المرحلة مفاهيم أخرى كثيرة . الوطني اليميني كالوطني اليساري . لأن اسرائيل حينما احتلت الضفة الغربية للأردن لم تفرق بين الوطني اليميني وبين الوطني اليساري طالما كان كل منهما وطني » ..

كما يرفضون شرح هيكل ، عندما قال : « التطبيق العلمي يفرض على القيادة الثورية العربية المعاصرة ، ومن موقعها الاجتماعي الراهن ، ان تحرك تجمعا قوميا عربيا فعالا يواصل المعركة » « ان الدفاع عن أية بقعة من الأرض العربية ، هو مسئولية كل العرب ، مهما اختلفت مذاهبهم الاجتماعية ، وظهور الاختلاف والتباين جائز بل ونافع في ظروف السلم ، ولكن التركيز على الاختلاف والتباين غير جائز بل ضار في ظروف الحرب » .

« هيكل » يرى ، ولو في مجال القول فحسب ، ان ظرف الحرب مع

اسرائيل يحتّم على الثوار العرب أن يؤجلوا حربهم الطبقية أو الاجتماعية ، ويدعوهم إلى إخفاء الاختلاف في المذاهب الاجتماعية .. وتكوين تجمع قومي عربي فعال يواصل المعركة ..

والملك حسين يقول :

« اني مؤمن ، أكثر من أي وقت مضى ، بأنه علينا أن نحجب خلافاتنا الشخصية لئلا تؤثر ، بأي حال من الاحوال ، على المصالح القومية ذات الأهمية الحيوية » .

ومع اعتراضنا على رأي « الاهرام » لعدة أسباب ، أهمها أنه يعكس التفكير الذي أفضى الى النكسة والهزيمة المريرة وهو اعتبار « الحرب » تبدأ من ٥ يونيه .. وأنهم كانوا منذ ١٩٥٧ في ظروف سلم ، تسمح لهم بشن حروب خاصة ، واثارة حرب طبقية .. بينما تعتبر اسرائيل نفسها في حالة حرب دائمة .. وكذلك معظم الجيوش العربية فيما يتعلق بالامتيازات والبدلات والاستبداد بالمدنيين ..

إلا أن الانتكاسي كما قلنا ملكي أكثر من الملك ، لذا فهو يرفض دعوة عبد الناصر ومنطق « هيكل » ، بالرغم من أنه قد سبق له قبيل رفضه هذا بسطور ، أن وافق على أن « العامل القومي » هو في ظروف الخطر الخارجي أقدر العوامل وأفعلها .

ولكن يبدو أنه رغم كل مطالعاته الماركسية ، لم يستوعب جيداً تعاليمها بشأن القومية ، والحرب القومية أو الوطنية ، فهو يفهمها — على ما يبدو — باعتبارها : « حب الوطن » !

وحتى بهذا المعنى الدارج .. فما من ماركسي أصيل يعرف العامل القومي باعتباره « أقدر العوامل » على تحريك «الشعب» .. فالماركس هو الذي قال : « ان البروليتاريا لا وطن لها » .

أما الانتكاسي فيقول : « ان ما ذكره المقال حول العامل القومي صحيح – فقط – بالنسبة للشعب بشكل عام ، وليس بالنسبة إلى طبقاته العليا الحاكمة » .

إن كان هذا فهمه .. فمؤكد أنه صفر على عشرة في الماركسية .. والحقيقة التي أشرنا اليها أكثر من مرة ، هي أن هؤلاء يستعيرون المنهاج الماركسي بقدر ما يخدم الهدف الأساسي ، وهو محاربة الإسلام ، اما لو تعارض المنطق الماركسي مع هذا الهدف ، فسرعان ما يتخطون الماركسية ..

انه وهو يدعي فهم الماركسية وترويجها في الوطن العربي ، يجبرنا على أن نشرح له وجهة نظر الماركسيين في « العامل القومي » :

عندما يرفع الشيوعيون أو الماركسيون ، شعار « العامل القومي » في مرحلة من المراحل ، فذلك يعني بوضوح تنحية الصراع الطبقي الداخلي ، إلى المؤخرة ، وقبول التحالف ، وأحياناً قبول قيادة الطبقات العليا الحاكمة المالكة .. التي لا تدخل في حصر طبقات الشعب بطبيعة الحال ..

الشعب عند الماركسيين ، ثوري مائة بالمائة .. هو في وضع ثوري دائم ضد الاستغلال والمستغلين والمالكين ، أي ضد الطبقات المالكة الحاكمة الداخلية .. ومن باب أولى فهو ضد المالكين المستغلين الأجانب .. بل هو أساساً ، كما تقول التحاليل الماركسية يعادي الاستعمار (١) بسبب طبيعته الاستغلالية ، ولأنه أيضاً يمكن للطبقات المالكة أن تستمر في استغلالها ، فالأصل في الشعب أنه يقوم بثورة داخلية ضد الطبقات العليا ..

أما متى يرفع الماركسيون شعار « العامل القومي » أو « الحرب القومية » أو « الحرب الوطنية » .. فمن دراسة تاريخ الماركسية نجد أن الحرب الوطنية أو « الجبهة الوطنية » كما يفهمها « هيكل » ويدعو لها تأتي في إحدى مرحلتين :

---

(١) نحن نتكلم عن الفكر النظري البحت .

مرحلة وجود استعمار مقيم ، يفرض حالة من الاستعباد على معظم طبقات المجتمع الشعبية وغير الشعبية ، عندئذ يدعو الشيوعيون – باعتبارهم الممثلين الوحيدين للشعب – إلى التحالف مع الطبقات العليا غير الشعبية في جبهة واحدة ضد الاستعمار لتحرير الوطن من الأجنبي .. حتى تخلو الساحة للمتصارعين من أبنائه ، فيديرون أسلحتهم ضد بعضهم .. وامكانية قيام هذه الجبهة تستند إلى وجود مصلحة حقيقية للطبقات العليا في الاستقلال بموارد وسوق البلاد ،والاستئثار بحكمه ، وحماية مصالحها ..

ومثالها الجبهة الوطنية ، التي دعا اليها الشيوعيون في الهند ومصر ، مدة الاحتلال البريطاني ، في فجر الحركة الوطنية ، وغالباً ما تتميز هذه المرحلة بقيادة غير شيوعية للحركة الوطنية ..

الحالة الثانية ، هي تلك التي تكون فيها الحركات الشيوعية مشغولة بحربها الخاصة ضد الطبقات العليا المالكة أي تشن فعلاً ، الحرب الأهلية ، سواء سلمياً أو بشكل كفاح مسلح .. ثم يطرأ عامل جديد ، هو غزو أجنبي لأرض الوطن . وإلى ما قبل ظهور مرحلة الغزو السوفيتي ، كان الاستعماريون الغربيون يحتكرون هذا العمل .. وبالطبع فإن الغزو الأجنبي سيسحق الحرب الأهلية ، سيسحق الثورة ، سيسحق الطبقات الشعبية التي تدعي الاحزاب الشيوعية تمثيلها .. لذا يرى الشيوعيون ضرورة توجيه الأسلحة ضد هذا الطارئ الجديد ..

ويرون أن الغزو الأجنبي يهدد أيضاً الطبقات العليا لأنه سينتزع منها السوق والسلطة ، وعلى أفضل الأوضاع سيشاركها في ثروات البلاد .. ومن هنا تقوم أرض مشتركة يمكن أن يتم عليها اللقاء .. فيدعو الشيوعيون إلى وقف الحرب الأهلية ، والاتحاد ضد العدو الأجنبي سواء تحت زعامة الطبقات العليا أو تحت قيادة الشيوعيين وفقاً لنسبة قوتهم .. ذلك ما حدث في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية ، وفي الصين عند وقوع الغزو الياباني ..

وواضح من هذا التحليل أن شعار « الحرب القومية » يرفعه الشيوعيون مرتين ، مرة كبداية الطريق نحو مهمتهم ، أي مواجهة الاستعمار القائم فعلاً تمهيداً لنقل المعركة بعد ذلك إلى أرضية الصراع الاجتماعي ، وشن الحرب الاشتراكية ، حربهم الخاصة .

والمرة الثانية عندما يواجههم الغزو الخارجي ، بعدما يكونوا قد قطعوا شوطاً في حربهم الخاصة ، أي انهم يجبرون على العودة إلى القتال في مرحلة سابقة ، وبالدقة ، انها تشكل نكسة لمسيرتهم ، لأنه يصبح عليهم العودة لمرحلة خلفوها وراءهم ..

وتلك هي « المرحلة » التي « يحكي » عنها هيكل ، وبعض الكتّاب المتأثرين بالماركسية ، ولا نقول يدعون لها .. ففضلاً عن القاعدة الخاطئة التي تقوم عليها ، وهي اعتبار الغزو الصهيوني عاملاً طارئاً بدأ في الخامس من يونيو .. فانه ما من تصرف جدي قد اتخذ حتى الآن من جانبهم ، يمهد الطريق لقيام الوحدة الوطنية .

نرجو أن نكون ، بهذا العرض ، قد أوضحنا أن الماركسي لا يعرف معنى للحرب القومية الا على أساس التحالف والوحدة مع الطبقات العليا غير الشعبية .. فكيف يقول الانتكاسي ان شعار العامل القومي ، صحيح ، ولكن بالنسبة للشعب فقط ؟

لأن الانتكاسي لا يستند إلى منطق متكامل ، ولا حتى المنطق الماركسي ، إلا بقدر ما يخدم ذلك ، الفكرة التي يبشّر بها ، وهي تحطيم الوجود العربي التقليدي وإبادة الإسلام . لذا فهو يرفض وحدة المقاومة العربية للغزو الصهيوني ، ويبادر إلى بث الشك بين جميع الاطراف .

فهو يعلن أن المرحلة التي نمر بها ، تضمن ، بقوة ديالكتيك تحولها المستقل « الغاء سيادة وخنق الطبقات العليا العربية » (من جانب الثورة العربية طبعاً وليس من جانب اسرائيل !) .

ويؤكد أن تاريخ هذه الطبقات « يدل على خروجها على العامل القومي والمتاجرة به ، وخيانته في كل منعطف من منعطفات نضالنا الطويل فمن نكبة ١٩٤٨ إلى حرب السويس ، إلى نكسة حزيران ، ومن حلف بغداد إلى الحلف الإسلامي .. الخ كانت هذه الطبقات تتآمر باستمرار مع الاستعمار ضد الوطن العربي ، فتدل بذلك ، أنها خسرت إحساسها القومي ، لأنها خسرت علاقتها مع تحولات التاريخ الحديث »[١] .

والدليل الذي لا يدحض ، الذي يقدمه الدكتور هو « مراجعة صفحات الاهرام ، ومقالات هيكل نفسه في السنين الماضية » .

ولكن « هيكل نفسه » نقد نفسه واعترف أن اغفال الطابع القومي هو الذي أدى إلى نكسة حزيران ..

و « هيكل نفسه » اعترف في « بصراحة » ، وإن يكن ليس بصراحة كاملة ، أن العديد من مقالاته هذه ، وصفحات الأهرام هذه مسؤولة ، إلى حد كبير ، ومباشر عن النكسة .

إن التيار الذي يحاول أن يشق طريقه وسط الاكاذيب والأضاليل ومتاهات العمل العربي ، التيار الذي يؤمن أن خطر الغزو الصهيوني يفوق أي خطر تعرضت له أمة من الأمم ..

هذا التيار الذي يحاول أن يقنع الثوار اليساريين بوضع القضية العربية على قدميها ، بدلاً من وقوفها على رأسها طوال السنوات العشرة الماضية ، يحاول أن يقنع هؤلاء الثوار ، انهم إن كانوا حقاً يساريين ، فإن عليهم أن يحموا الوطن الذي سيقيمون عليه الاشتراكية .. لأن الاشتراكية لا يمكن أن تقام في مخيمات اللاجئين ..

---

(١) ص ٩٢ .

هذا التيار يحاول أن ينبه الطبقات الحاكمة إلى أن خطر الغزو الصهيوني ، يفوق أي استعمار عرف قبل ذلك ، فهو يحمل الابادة الجسدية للعرب كل العرب .. لا فرق بين من يملك ، ومن لا يملك ، وانه إذا كان من الممكن لطبقات مالكة أن تعيش في كنف الاستعمار القديم وحمايته ، فإن الاستعمار البشري الصهيوني لن يسمح بذلك .. فهو ينزع ثروتنا ويدمر ملكياتنا .. ويقتل المالكين والمعدمين .. ليشيد ملكه هو ..

بهذا المنطق وحده يمكن جذب طبقات واسعة إلى المعركة ضد الصهيونية ..

والمدهش أن الطبقات الحاكمة تبدو في غير حاجة إلى اقناع ، بل للأسف ، انها هي التي تتولى وعظ اليساريين بالوحدة من أجل الوطن! فتبدو بذلك انها ليست فقط الاكثر حرصاً على حماية الوجود العربي ، بل والاكثر ثقة في المستقبل[1] ..

---

(١) يقول الملك حسين : « ومعنى هذا ان الخلافات القائمة بين العرب تصلح للاستهلاك داخل المعسكر العربي فقط . وبالنسبة إلى الاسرائيليين ، ليس هناك أي فرق بيننا ، فكلنا في نظرهم عرب ». (حربنا مع اسرائيل ، ص ٣٠) .

٢

وفي كل معركة يحرص كل من الطرفين المتقاتلين على حشد أكبر طاقة ، وأكبر قدرات ، إلى جانبه .. أفليس مريباً أن نرى حرص هؤلاء على «تطفيش» أكبر عدد ممكن من قوى العرب !

أهناك مجال للشك في خطورة الغزو الصهيوني على وجود وثروات الطبقات العربية المالكة ، التي يعدّدها الدكتور : « الاقطاعيين ، وأمراء وملـــوك ، ومشايخ ، ورأسماليين وكبار رجال دين » ، وفي موضع آخر يضيف اليهم « البورجوازية » .

أيمكن إذن ، أن يكون عربياً ، ذلك الذي يأتي ونحن نخوض هذه الحرب المصيرية ، فيقول لكل هؤلاء :

الاقطاعيين
الأمراء
الملوك
المشايخ
الرأسماليين
رجال الدين ..

يقول لهم : لا عليكم إن اتخذتم موقفاً وطنياً أو لم تتخذوا ، لا عليكم إن

قاتلتم الصهيونية أو قاتلتم العرب .. بل لعلكم إن حالفتم الصهيونية تتاح لكم فرصة أكبر للنجاة !.. لأنه بموجب « الديالكتيك اللعين » ستخنقكم الثورة العربية !..

إذا كان الانتكاسي ، يرى أن هذه الطبقات : « لا تزال تشكل الدولة والسيادة السياسية في معظم الاقطار العربية » أفتراه يعمل حقاً لقضية مواجهة الغزو الصهيوني ، عندما يحرض هذه القوى التي تشكل الدولة والسيادة السياسية في معظم الاقطار العربية ، يحرضها على الخيانة ، ويوجد لها المبرر ، لكي ترفض الجبهة الوطنية ، ويثير رعبها من الحركة الوطنية ضد الصهيونية ، فيعلن أن هذه الحركة ستلتهم تلك الطبقة ، التي هي تشكل في اعتقاده ، «الدولة والسيادة في معظم الاقطار العربية» !...

أعداء الأمة العربية قد أفزعهم بغير شك صدور أصوات تحاول شجب الماضي الخاطئ ، وحماية المستقبل ، بالدعوة إلى تكوين جبهة عربية قومية ضد الغزو الصهيوني ، وما يمثله من خطر إبادة ، جبهة يجد الملوك والأمراء والرأسماليون والعمال والفلاحون ، مكانهم فيها ، يبذل كل منهم ما يطيق ..

جبهة تثبت الأيام كل يوم امكانية وجودها .. وأننا بددنا قوانا في تمزيقها ، وانها هي الحل الوحيد الممكن ..

إن القوى غير الماركسية في الوطن العربي ، لم تخن قضية فلسطين بانصرافها إلى مكافحة العسكريين ، والانقلابيين الماركسيين والمتمركسين .. إلا بقدر ما نقول إن القوى الانقلابية ، خانت قضية فلسطين ، بانصرافها إلى محاولة قلب القوى غير الماركسية ، التي هي «صاحبة الدولة والسيادة في معظم الاقطار العربية.. »

وليس ثورياً ولا علمياً ، ذلك الذي يقعد ليفتش عن من كان البادئ بشن الحرب الطبقية .. فالمهم هو من الذي يحدد أرض المعركة ، ويستطيع أن يفرض

معركته على جميع القوى .. وكل وطني شريف لا يجد له اليوم ، معركة ، إلا معركة المواجهة ضد الغزو الصهيوني :.

وبقدر ما ننجح في جذب كل القوى لخوض هذه المعركة بقدر ما ننجح في حماية الوطن العربي ، حماية الوجود العربي ، حماية الإنسان العربي .. حماية بقاء واستمرار الشعب ..

ليس هذا فحسب ، بل بقدر اخلاصنا في قيام هذه الجبهة ونجاحنا في تكوينها ، والتزامنا بأهدافها ، بقدر ما يصبح لصوتنا من وزن في تقرير مصير هذا الوطن ، وتحديد شكل النظام الذي يسوده بعد التحرير ، وخلال عملية التحرير الطويلة ، والتي تحمل من احتمالات التغيير ما لا يمكن التنبؤ به ..

إن الطريق الطبيعي ، لكل من يحمل برنامجاً لمستقبل الوطن العربي ، هو الدفاع عن وجود واستقلال هذا الوطن ، هو حماية حاضره من الفناء ، بالدعوة إلى وحدة قومية ضد العدو الغازي .. وخلال حرب التحرير ترتفع درجة حرارة التطور ، وتتساقط كل الاجزاء الهشة التي لا تريد أن تقاتل العدو .. أو لا تستطيع أن تقاتله بمستوى كفاءة المعركة مهما يكن اسم هذه القوى الخائنة أو العاجزة ، وبصرف النظر عما يخلع عليها من صفات تقدمية أو رجعية ..

إن الواثق من معدنه حقاً هو الذي يقبل امتحانه في حرب التحرير المقدسة ، فهي تحرق كل غش وخداع وزيف ، وتصقل كل معدن أصيل ..

إن شعار الحرب الوطنية ضد اسرائيل ، فضلاً عن كونه المهمة العاجلة ازاء غزو واقع ، فهو أيضاً الشعار الذي تجمع عليه الجماهير ، ويستحيل على أية قوة معارضته والافلات من قصاص الجماهير .. فإذا كان أصحاب التحليلات الماركسية على ثقة من سلامة تحليلهم ، وعلى يقين ، أن الرجعية لن تقبل الحرب الوطنية ضد اسرائيل ، فما الذي يمنعهم من مواجهتها بهذا الشعار ، ولو لتعريتها أمام الجماهير في الميدان الذي لا خلاف عليه ؟!..

ولكنهم لا يفعلون .. لسبب بسيط ، هو أن الحرب ضد اسرائيل ليست بالهدف الأصيل عند اليساريين العرب أو العقائديين .. بل هي ليست أكثر من تكتيك في خدمة استراتيجية أبعد وأصيلة .. بعضهم يهدف لاقامة النظام الشيوعي ، ولو كان هذا الهدف يتحقق بالصلح مع اسرائيل ، أوحتى بمساعدة جيش الدفاع الاسرائيلي ، لما ترددوا في قبول المعونة الأخوية .. وقد كان هذا الأمل يخامرهم ، عند قيام اسرائيل ، وكان ذلك سر استبشارهم وبهجتهم بقيام دولة مستقلة «ديموقراطية تقدمية في الشرق الاوسط».. هي اسرائيل !.. التي تقوم على جثث شعبهم وخرائب تاريخهم ، وانقاض وجودهم !

وبعضهم يعمل لحساب اسرائيل مباشرة أو من خلال المخابرات المركزية ، وبالطبع فإن هؤلاء يريدون حرباً في أي مكان إلا في اسرائيل ، وثورة ضد أي قوة إلا ضد الاحتلال الصهيوني ، هؤلاء ينادون بتحرير كل شبر في الأرض العربية حيث يوجد العرب .. إلا الأرض التي تحتلها اسرائيل !

أما تجار العقائدية من الأحزاب والعسكر ، فهم لا يريدون إلا الاستمرار في السلطة ، وقد عرفوا من خبرتهم العسكرية ان الخطر الحقيقي على استمرارهم في السلطة ، هو خوض حرب حقيقية ، بعجزهم الفاضح ، ضد اسرائيل .. لذا هم يفضلون القتال في أي جبهة أخرى ..

هذه هي الدوافع الحقيقية ، لرفع شعار الثورة الاجتماعية الآن ، والمجتمع كله مهدد بالفناء ..

أما الثوار الحقيقيون .. أما الشرفاء الوطنيون ، فهم يفهمون جيداً ، انه بغير وطن ، لا تبقى أرض يدور عليها الصراع الاجتماعي ، وبغير أرض لا يمكن أن تشاد الانظمة الاجتماعية معلقة في الهواء .. ولا مجال للحديث عن خلاف إجتماعي أو عقائدي والاعصار الاجنبي يبيد الجميع ، ويقتلع الوجود كله يمينه ويساره ..

إن الاستراتيجية الوحيدة المعقولة هي الجبهة الوطنية التي توحد الصف العربي بكل امكانياته ، حول مواجهة الغزو الصهيوني بحيث تصبح هذه المواجهة هي وحدها الخط الفاصل بين مَن هو وطني ، ومَن هو خارج العمل العربي الذي يتحتّم أن تسحقه الحركة العربية ، سواء أكان يتستّر في خيانته خلف شعارات الواقعية ، أو اليسارية ..

الانتكاسي يرفض استراتيجية الوحدة القومية ، ورغم ان السلطة المصرية ، بعد النكسة ، اعترفت إلى حد ما بخطأ استراتيجية « تحرير الجزيرة العربية » أو ما سماه « هيكل » ؛ تعجل الثورة الاجتماعية .. ورغم أن « هيكل » — كما قلنا — دعا إلى طي أعلام الثورة الاجتماعية ورفع أعلام الوحدة الوطنية ..

وبالرغم من ذلك فإن الدكتور يريد أن يعيدنا إلى طريق الخطيئة فيقول :

« إن عبد الناصر كان القائد العربي الثوري الوحيد ، الذي أدرك موضوعيا ، أبعاد معركة فلسطين الاستراتيجية التي تتطلب عملاً طويلاً شاقاً ، وانه كان يتبع في السنوات الأخيرة خطاً استراتيجياً كان أحسن ما يمكن في أوضاعنا ، أي تحرير الاقطار العربية ، وخصوصاً البترول العربي في الجزيرة عن طريق ثورة اليمن ، ومن ثم ثورة الجنوب والالتفاف — كما يلوح لي على الأقل — بطريقة غير مباشرة نحو فلسطين ، انه كان باستمرار ينبه إلى ذلك الطريق الشاق الطويل ، بأن المعركة يجب ألا تفرض علينا في زمان ومكان ينتقيهما العدو ، بل يجب علينا نحن أن نعين ميعاد المعركة ، بأننا يجب ألا نبدأ شيئاً لا نستطيع إنهاءه ومتابعته حتى النهاية ، كما أنه كان عندما يزايد عليه أشخاص كأمين الحافظ وجماعته من المراهقين بأنهم يستطيعون بثلاث ساعات وضع خطة لتحرير فلسطين ، كان عبد الناصر يجيب بما يميز القائد من مسؤولية : ليس عندي سوى خطة واحدة لتحرير فلسطين وهي الاستعداد ، ثم المزيد من الاستعداد .. »

(يعني انه لم يقل بتحرير الجزيرة العربية كما يزعم الدكتور الانتكاسي !)

« إن عبد الناصر كان حتى أيار الماضي يحاول بكل جهده تأجيل معركة مباشرة مع اسرائيل ، والتركيز على الثورة الاجتماعية في الاقطار العربية الأخرى طريقاً إلى هذه المعركة . إنه كان حتى ذلك التاريخ يحاول تجنب كل ما من شأنه أن يقود إلى هذه المعركة التي كانت تعمل لها اسرائيل منذ سنين والتي كانت الولايات المتحدة تدفع اليها وتريدها لحماية نظمها الرجعية — وخصوصاً في الجزيرة — وانهاء الثورة هناك عن طريق ضرب مساندة القاهرة لها » .[1]

نعترف انه حقاً ، طريق طويل جداً جداً لتحرير فلسطين .. وهو أيضاً طريق قصير جداً لضياعها ، وضياع كل الوطن العربي ..

تحرير فلسطين عن طريق ثورة اليمن .. ثم اليمن الجنوبية ، وأخيراً الالتفاف بطريقة غير مباشرة — كما يلوح للانتكاسي — من عمان ، إلى الامارات المتصالحة فالسعودية والكويت .. والاردن ، ثم قفزة إلى ليبيا فتونس والمغرب انعطافاً إلى السودان .. فإذا أصبح العمري والأخ فهد في كل مكان .. زحفنا زحفة انقلابي واحد إلى فلسطين ...

لا بأس ! .. فطولة العمر تبلغ الأمل .. ولكن نقطة الضعف الوحيدة في هذه الخطة ، هي عدم التزام اسرائيل بها ! وعدم التزامها بأصول اللعبة .. ورفضها انتظار مصيرها المحتوم ..

فنحن من جانبنا كنا شرفاء إلى أقصى حد في ممارسة الالتفاف . والتحرير غير المباشر ، فقد كنا على استعداد لمواصلة النزيف اليمني إلى الأبد ، لولا أن تدخلت اسرائيل وأجبرتنا على وقف المذبحة ولو لفترة .. وتبين أن الجمهورية اليمنية يمكن أن تستمر في القتال ، بغير ٥٠ ألف جندي مصري ، وخيرة معداتنا ودعك من مال قارون الذي انفق هناك .. من شتى الأطراف .. والذي كانت الأمة العربية بأمس الحاجة اليه .. وتبين أن طاقماء سجن القلعة ، سيواصلون نفس مهمتنا هناك ..

---

(١) ص ٢٨٨ .

وكنا على استعداد لذبح آخر يمني جنوبي في صراع الوطنية ضد الخيانة ، ثم صراع الوطنية التقدمية ضد الرجعية ، ثم صراع اليسار الوطني ، ضد اليمين الوطني .. ثم انقلاب اليسار المتطرف على اليسار المعتدل .. ثم اليسار المغامر على اليسار المتطرف .. الخ ...

لكن اسرائيل الغادرة ، ما عادت تطيق الانتظار لذلك وجدت نفسها مضطرة للتدخل ، ووقف سير اللعبة ، قليلاً ، ريثما تقتطع من اللحم الحي ، قطعة شهية ، وحتى يتم التمزيق والبلع والهضم .. ها هي الصفارة تطلق من جديد لأهل ليليبوت لكي ينصرفوا إلى حروبهم الخاصة السخيفة ..

أهذه خطة .. أهذا التفاف ؟.. نحن نعيذ عبد الناصر من هذا الفهم .. بل نرجو أن تكون مغامرة اليمن ، ومأساة الصدام مع السعودية ، من تدبير المؤسسة العسكرية ، ومخابرات صلاح نصر ، وانزلقت اليها السياسة المصرية بتأثير الاستفزاز المسعور الذي كان يُشن ضدها بعد الانفصال وشتورا .. حيث استغل خصومها قضية تيران لإحراج القاهرة والكسب الحزبي ..

وأيضاً بتأثير تأزم الوضع الداخلي ، وصراعات مراكز القوى ، والعجز عن حل حقيقي لمشاكل الجماهير .. وبتأثير تقديرات خاطئة ومضللة قُدمت عن أبعاد الحملة اليمنية وتكاليفها ، وبذكاء نادر ، جرى جذب الرِجْل المصرية أكثر فأكثر ، حتى وجدت نفسها غارقة فيها تماماً .. ولعب العناد دوره في استحالة تدارك الموقف .. فكان النزيف [١] .

وما معنى تأجيل المعركة ضد اسرائيل ؟..

هناك استراتيجية اسرائيلية ثابتة ، وهي الضرب في اللحظة التي يصل فيها الوضع العربي إلى أقصى درجات التردي ، على صعيد التضامن العربي ، وداخلياً في الاقطار العربية المحيطة باسرائيل أساساً ..

---

(١) قبل النكسة حاولنا بقدر ما نستطيع أن ننبه لذلك بالحديث عن حرب اليمن التي أدت إلى دمار تركيا قبيل الحرب العالمية الأولى . (راجع القومية والغزو الفكري)

من هنا فإن رفض الصدام مع اسرائيل هو سياسة نعامية نادرة ، فرغم كل النوايا الطيبة عند النعامة في عدم الصدام مع الصياد .. وتفضيلها أن تحدد هي زمان ومكان وسلاح الصدام .. فإن الصياد لا يلتزم بهذه الرغبة ، بل يحدد هو ويضرب هو ويفوز هو دائماً ..

إن جعل « الحرب مع اسرائيل » هو محور العمل العربي ولا شيء غيره لا يعني اننا كنا مطالبين بدخول الحرب فوراً ضد اسرائيل .. بل يعني أن نتبع نفس الأسلوب الذي تتبعه اسرائيل ، إلى حد ما ، فاسرائيل لم تعلن أبداً أن لديها خطة لاقامة اسرائيل الكبرى ، وهي لا تهاجمنا إلا مرة كل ١٠ سنوات ،ولكنها لم تتخل أبداً عن استراتيجية قهر العرب ، وما من تصرف صغير أو كبير في سياسة الدولة الاسرائيلية داخلياً وخارجياً لا يخدم مباشرة ، الهدف الاستراتيجي العام وهو الحرب ضد العرب ..

إن اسرائيل لا تشغل نفسها بقضية أخرى ..

فاعتناق استراتيجية الحرب ضد اسرائيل ، لا يعني دخول الحرب فوراً ، بل العمل ليل نهار لها ، واخضاع كل تصرفاتنا لخدمة هذه الاستراتيجية،ورفض فتح أية جبهة أخرى ، وتحت أي شعار ، ضد الدول العربية ..

بل لو كان الجهد كله موجهاً ضد اسرائيل ، ما وجدنا أنفسنا منساقين إلى معركة انتحارية في أيار ١٩٦٧ .. إن كل ما اتخذ من اجراءات كان بتأثير الاستفزاز العربي ، وتوتر العلاقات العربية ..

من أعداء كنا نشن ضدهم حرب إبادة ، ولم يكن أمامهم إلا معايرتنا بالتخاذل أمام اسرائيل ، وفتح خليج العقبة لسفن اسرائيل ..

وأصدقاء ألداء يزايدون علينا ويدعوننا للانتحار إما للاحراج.. أو تنفيذاً لمخطط ستكشف الأيام عنه ...

لو كان التضامن العربي في خدمة الحرب ضد اسرائيل ، كنا نستطيع ،

ما دام قد فرض علينا ، قبول الضربة الأولى ، كنا نستطيع أن نضع الجانب الرئيسي من طيراننا في ليبيا أو السودان أو السعودية ..

ولكن الطيران المصري ، بفضل استراتيجية التطويق هذه ، كان طيراناً معادياً في كل هذه الدول ؟

أما الدول التقدمية ، فقد رفضت دخوله وما زالت .. وحتى اليوم لا تقبل سوريا التقدمية وجود عسكري مصري فوق أراضيها .. حتى ولو كان البديل هو ضياع استقلال مصر وسوريا !

وصلنا إلى وضع أصبح الثوار يفضلون دخول جيش اسرائيل دمشق عن دخول جيش عبد الناصر !..

ورغم ذلك لا يرى الدكتور الانتكاسي أن شيئاً ما قد تبدل !.. فيعلن « ان الأمر لا يزال على حاله الآن ، اننا نرى ضرورة هذه المجابهة للاستعمار في السعودية ، والخليج ، وليبيا ، وتونس ومراكش وغيرها من الأقطار العربية ولكن حركة الثورة العربية لا تجد ، رغم النكسة ، القوى والتنظيمات التي يمكن لها متابعة تلك المجابهة ، وتحقيقها بشكل فعّال ، على الرغم من الحاجة الملحة القاهرة لها (أي للمجابهة) في معركة تحرير الأرض المحتلة .. »[1]

وقد عرفنا أن الأرض المحتلة في مفهوم الدكتور هي الجزيرة العربية ، والحرب الوحيدة التي يفكر فيها هي غير الحرب التي تشغل بال كل وطني ، كل عربي شريف ، لا ... الحرب ضد اسرائيل لا تشغل بال فيلسوف الانقلابية الجديد ..

بل الحرب في الداخل لا عند الحدود .. تحرير الأرض العربية من الحكم العربي .. لا تحرير الأرض المحتلة من الحكم الصهيوني !

---

(١) ص ٦٥ .

٣

ثم يصل الهوس والتخريب إلى ذروته في الصفحات الأخيرة من الكتاب .. وتتكشف حقيقة الحجم الذي تشغله اسرائيل في استراتيجية هؤلاء الثـــوار المتنكسين ، بل حقيقة إحساسهم بما جرى في الخامس من يونيه ..

فالانتكاسي يحذرنا من نكسة أشد من نكسة يونيه ، وأول ما يخطر ببال اللورد رسل ، أو جونسون .. أو أي طفل في الوطن العربي ، عندما تقول ان العرب تهددهم نكسة أشد من نكسة يونيه ، يخطر بباله دخول ديان القاهرة .. تنفيذه للتهديد الذي أشارت اليه الأهرام بأنه يفكر في دخول القاهرة وهدم كل ما فيها ثم يخرج[1] !.. أو أن يزحف اليهود إلى عمان .. أو حتى ينطلقون إلى المدينة لأخذ ثأر خيبر .. كما يصيحون !..

لا .. إن كل هذه المخاطر لا تشغل بال الدكتور .. هو يحذر من نكسة أشد من نكسة حزيران تقلق منامه حتى ينطلق كالنذير العريان[2] محذراً :

(١) وهو تهديد أخرق ، فإن ديان يعرف جيداً انه عندما يتخطى القناة لن يقاتل دولا ولا جيوشاً بل الشعب المصري ، وعندها تتغير صورة الوضع تماماً .. وتزول خرافة العسكرية الاسرائيلية.

(٢) هو يطالب بأن « يخلع الإنسان جميع ثيابه التقليدية ، ويقف بذات عارية أمام التاريخ ، هو المنطلق الثوري الصحيح الذي كان منطلق الانقلابيين الكبار .. »

ويمكنه أيضاً أن يجري عارياً في الطريق ، فلن يثير انتباه أحد وسط حالة العري الشامل والجنون المطبق الذي فرضته دبابات العقائديين .

« انني لا أشك مطلقاً بأن الامبريالية الاميركية والرجعية العربية —وخصوصاً السعودية — ستتابعان الحرب بشتى الطرق — وأهمها شراء القبائل وبعض قادة الثورة — خطة تدمير الثورة بأي ثمن كان . نجاحها هذا يعني أيضاً تخريب وقتل ثورة الجنوب العربي ، وذلك يعني نكسة قد تكون أشر وأوخم بكثير من نكسة حزيران ، لأنها تعني سد الطريق الاستراتيجي الصحيح ، على الأقل في المدى القريب ، نحو تحرير فلسطين . فطريق هذا التحرير هي طريق اليمن أو من اليمن (!) أي انها طريق تفرض تحرير البترول العربي ، وتدمير النظم الرجعية وابادة طبقتها الحاكمة ابادة نهائية .. لذلك يجب أن تسرع الجزائر بالقيام بدور الجمهورية العربية المتحدة في الجزيرة ، فتخف مهما كلف الأمر إلى نجدة ثورة اليمن عند ظهور أية دلائل تهدد وجودها .. أي تلكؤ في هذا الشأن يهددنا بشرّ مستطير »[1] .

إذن ، فعودة الرجعية إلى اليمن ، تعني نكسة أشد من نكسة حزيران !...

ورؤية الإمام البدر يجلس في صنعاء مكان الايرياني .. = سقوط جولان + احتلال الضفة الغربية + احتلال سيناء والاستيلاء على ٤٠ بالمئة من موارد مصر البترولية ، والاعلان في الصحف الاسرائيلية عن بيع منجنيز وفوسفات مصري. يطلب من مصلحة المعادن الاسرائيلية ! + إقامة مصانع في العريش ،ومستعمرات في البردويل والجولان وهدم مساجدنا في الخليل والقدس ..

= وقف اطلاق النار في ثلاث دول بلا قيد ولا شرط ، واختفاء الجيش المصري خلال ٣ أيام ، وتدمير الطيران المصري في أقل من ثلاث ساعات !

استغفر الله .. إن عودة البدر إلى صنعاء لا تساوي كل هذا .. بل هي أشر وأوخم !..

---

(١) ص ٢٩٥ .

والطريق إلى تحرير فلسطين هي « طريق اليمن أو من اليمن » .

وأي استفزاز رخيص للدول البترولية ، لكي تخون قضية فلسطين ، إذا كان تحرير فلسطين يبدأ بإبادة طبقاتها الحاكمة إبادة نهائية ..

أي شر مستطير ؟.. واليمن هكذا منذ قرون ؟..

أي شر مستطير .. ويهود اليمن هم جنود المظلات الذين احتلوا جولان .. ونحن أضعنا أعظم محاربين عرفهم التاريخ ، أبطال اليمن الذين فتحوا الدنيا في صدر الإسلام .. سلحناهم ودفعنا لهم أجر ابادتهم لبعضهم البعض ..

ما التغيير الذي طرأ على الوضع العربي ، باحلال البيضاني محل الإمام ، ثم السلال محل البيضاني ، ثم الايرياني محل السلال ؟.. ما الذي جرى ؟.. أي ثقل جديد أضفناه للوزن العربي ؟

شر مستطير ؟!.. الشرُ هنا في سيناء .. في الأردن .. في جـــولان .. في فلسطين ...

تحرير البترول العربي ؟.. كيف ؟.. لماذا لا يعطينا الثوار في العراق درساً في تحريره ؟..

تحرير البترول العربي ، يا منتكسون ، يبدأ باسترداد آبار سدر في سيناء ، والأنابيب التي تمر في جولان المحتلة ، وتتعهد سوريا بمنع أي نشاط فـــدائي ضدها .. ومؤكد أن اسرائيل تستوفي حاجتها منها ..

نقسم بكل مقدساتنا انه فور تحرير البترول العربي في سيناء وجولان ، تحريره بالدم العربي ، لا بالتفريط في الشرف العربي والحقوق العربية ... عندئذ سنقدم ورقة على بياض عليها توقيع كل «الرجعيات» البترولية ، تملون فيها شروطكم وطلباتكم لتحرير البترول العربي ... أما قبل ذلك ، فلا تتحدثوا عن إبادة الطبقات الحاكمة في الجزيرة العربية ، اتركوها تدفع فواتير الأسلحة التي نرجوا أن تُستخدم ضد اسرائيل ..

إن رفض شعار الوحدة القومية ، إنما يعني بكل وضوح ، رفض الحرب ضد اسرائيل .. والدكتور لا يضطرنا إلى هذا الاستنتاج ، انه يصل اليه بكل صراحة ووضوح ، وعبر تحليل ديالكتيكي انقلابي ، فيعلن نظرية : « أضعف الحلقات » ، محيطها بكل الضجيج الممكن في محاولة لاخفاء مضمونها الاستسلامي والانهزامي .

انه يدعو إلى وقف الحرب ضد اسرائيل واشعالها ضد الدول العربية والبترولية بالذات ..

إنه منطق العسكريين الجبناء ، منطق زمرة « ايلي كوهين » الذين كانوا لا يريدون محاربة اسرائيل ، إما بسبب العمالة ، أو بسبب عجزهم عن توفير متطلبات المعركة ، هذه المتطلبات التي لا تشكل المعدات العسكرية أهم بنودها ، بل العيش في جو الصراع القومي ضد اسرائيل ..

إن هذه المؤسسات التي نهبت ثروات الشعوب العربية ، وتفاقم جبنها ازاء العدو الاسرائيلي ، بتفاقم طغيانها الداخلي ضد شعوبها ، وضد خصومها السياسيين .. بحثت عن ميادين أرخص وأسهل تسجل فيها بطولات وانتصارات. فاخترعت حكاية ان عليها مصارعة امريكا في كل أنحاء العالم .. وان اسرائيل ليست إلا رأس جسر استعماري .. مجرد ظل لأمريكا .. فإذا سقطت أمريكا زال الظل.. والمدهش أنه فرض حقيقي.. وهو في نفس الوقت أكبر تزييف، وتضليل وتغرير عرفه التاريخ .. كلمة الحق التي يراد بها الباطل ..

ولأن هؤلاء الذين انتدبوا أنفسهم لتصفية الامبريالية الامريكية وازالتها .. لا يستطيعون ، طبعاً ، مقاتلتها ، في فيتنام ، حيث يدور قتال حقيقي ، لذا فقد اختاروا مقاتلة أمريكا في السعودية واليمن والخليج ، وأجلوا الصدام مع اسرائيل ولكن اسرائيل لم تؤجل ، بل واصلت التهام بلادنا ، وإبادة شعبنا ، وتدمير مقومات الوجود العربي ..

وها هو الانتكاسي الجديد يقدم الفلسفة النظرية التي تبرر هـذا الموقف الخياني ..

يقول :

« فمعركة تحرير الأرض المحتلة ، هي فقط جزء من معركة شاملة ، لأجزاء الوطن العربي ، نجابه فيها الاستعمار بقيادة الامبريالية في كل مكان » .

(لاحظ أننا تقدمنا خطوة إلى الوراء .. فالعسكريون الانهزاميون كانوا يقولون إن تحرير أجزاء الوطن العربي الأخرى هي جزء من معركة تحرير فلسطين .. ولكن بالمنطق الجديد، أصبح تحرير فلسطين جزءاً من المعركة الشاملة .. والجزء يمكن تضحيته في سبيل الكل) ..

يقول :

« ولهذا يجب أن نتصدى له في كل بقعة من بقاع هذا الوطن » ..

لا بأس .. وابـدأ بنفسك ثم بمن تعول .. أو حصيرة البيت تحرم على الجامع .. اذن فلنتصدى للأمبريالية في فلسطين .. في سيناء .. في جولان .. لا ..

يقول :

« ان مراكزه الأخرى هي أضعف من مركزه في فلسطين ، وتشكـل الحلقات الضعيفة في الطوق الذي يضربه حولنا ، ولذلك يجب التركيز على ضربه في هذه الحلقات ، فنوجه ضده هجوماً منسقاً ، لا هوادة فيه ، وكفاحاً مسلحاً لا توقف فيه (يا أسد ! !) في كل مكان تمتد إليه هذه الحلقات (الضعيفـة أرجوك !) أن المفاهيم التي توحي بأن معركتنا مع اسرائيل تقتصر على الأرض المحتلة مفاهيم خطرة ، اذ يعني الابقاء على المصدر الذي يغذي الاحتلال . فالحرب ضد الامبريالية الامريكية يجب ان تمتد امتداد هـذه الامبرياليـة وخصوصاً في الوطن العربي ، فتحاول اقتلاع جذورها وقواعدها بالكفاح المسلح » .

اترانا بحاجة الى تعليق ؟! ..

اسرائيل ليست اضعف الحلقات ، لذلك يجب الا نصطدم مع الامبريالية الامريكية فيها .. بل يجب ان نضرب في اضعف الحلقات ، التي هي البلدان العربية غير الثورية .. هل هناك دعوه للاستسلام للغزو الصهيوني أوضح وأصرح من هذه ؟ ..

هذه الببغاوات لا تفهم حتى ما تقتبسه ! .

ان نظرية « أضعف الحلقات » هذه ، المقتبسة من كتاب ستالين عن « أسس اللنينية » .. بعيدة تماماً عن فهم ما قاله ستالين .. فستالين لم يقل أبداً بهذا المنطق الشديد الجبن ، الذي يحدد قوة الحلقة أو ضعفها بقوتها العسكرية « فيتشطر » على الجيش الأضعف !

ان ستالين وهو يشرح نظرية الثورة العالمية ، قال إن العالم كله نضج للثورة الاشتراكية ، والامبريالية كنظام عالمي أصبحت نظاماً منهاراً .. فلم يعد على الثورة الاشتراكية أن تنتظر نضج الظروف المحلية في كل بلد .. لأن الظرف العالمي ككل .. أصبح ناضجاً .. انما عليها أن تختار أضعف الحلقات لتضرب ضربتها وتفصلها عن السلسلة الامبريالية .. وضرب على ذلك مثال الروسيا .. انها لم تكن بالمقاييس الماركسية البلد النموذجي للثورة الاشتراكية ، ولكنها كانت أضعف الحلقات ، ثم وضع احتمال انفصال الحلقة الثانية في الهند .. باعتبارها أضعف الحلقات ، تماماً كما كان ماركس يتوقع المانيا كأول بلد ينفصل عن السلسلة الرأسمالية ..

فقضية أضعف الحلقات .. يحددها نضج القوى الثورية .. وأهم هذه القوى ، مدى استعداد الجماهير للقتال ضد الوضع القائم هناك . ومدى تأزم التناقضات التي تحتم انهيار هذا الوضع .. أي مدى قدرة الثورة على تعبئة الجماهير من أجل إزالته .. أي أن يكون هذا الوضع يتمتع بأكبر قدر من كراهية

الجماهير واستعدادها للقتال والموت في سبيل ازالته ..

ولو كان ضعف الحلقة يقاس بعجزها العسكري لكانت لوكسمبرج أضعف الحلقات ، ولركز ماركس وبعده لينن على مواجهة الامبريالية فيها .. ولاختار ستالين افغانستان بدلاً من الهند ! .

ولكن ماركس حدد المانيا .. ولها أكفأ قوة حربية في أوروبا ..

ولينن حدد روسيا وكانت أضخم قوة عسكرية في أوروبا ..

وستالين اختار الهند وهي أكبر مركز استعماري وقتها وبها أكبر جيش احتلال في العالم ..

ولكن ستالين حدد من اسباب ضعف الحلقة الاستعمارية في الهند ، وجود الاستعمار البريطاني كعدو مكشوف ، يتمتع بكراهية الجماهير ، بل الأمة كلها ، بالاضافة الى الوضع الداخلي ، وضعف البورجوازية .. الخ ..

بهذا المنطق الماركسي ، فان اسرائيل هي أضعف الحلقات .. لأنها هي التي تجمع الأمة العربية على ازالتها وتجمع الجماهير العربية على شعار الصدام معها ..

اسرائيل اضعف الحلقات ، لأنه فيها تتجمع تناقضات النظام الامبريالي ، من استعمار إلى عنصرية .. وهي التي يتجمع ضدها سخط كل القوى العربية واستعدادها للقتال ..

ليست حكومة البدر هي أضعف الحلقات.. ولا الدول البترولية..إن ضعف الحلقة يقاس بمقدار الضغط الممكن تجميعه ضدها من أجل كسرها .. واسرائيل هي أضعف الحلقات رغم قوتها العسكرية ، بل وبسبب هذه القوة العسكرية .. لأن هذه القوة التي بدت واضحة في ٥ حزيران ، قضت على أية أوهام لدى الأمة العربية بجميع طبقاتها في امكانية التغاضي عن الخطر الاسرائيلي .. كذلك فإن احتلال الأراضي العربية في سوريا ومصر والأردن قد جذب الى الصراع

فئات واسعة جعلها تنسى كل استفزازات الثوار العرب .. وتجلى ذلك في نجاح حركة فتح في كسب امراء عرب الى صفوفها !

وبذلك أصبح الجو مهيئاً أكثر من أي وقت مضى لحشد جميع الطاقات العربية وتركيزها في بؤرة واحدة هي الصدام مع اسرائيل . .

ولهذا ظهرت تلك الدعوات التي تنادي بتأجيل الصدام مع اسرائيل .. بدعوى انها ليست أضعف الحلقات ومن ثم يجب الانصراف الى أضعف الحلقات .. الى الحرب ضد الدول العربية !!

ان مثل هذه الدعوة في زمن الحرب تندرج تحت بند الخيانة العظمى ..

٤

ان تدمير الوحدة القومية ، والدعوة الى رفض مقاتلة اسرائيل تم بأسلوبين :

● اسلوب « الواقعية » الذي يعلن اننا لا نستطيع ان نقاتل اسرائيل ، وانها حقيقة واقعة ، وما من قوة عالمية حتى الاصدقاء ، تقرنا على مواصلة حالة الحرب والسعي الى ازالة اسرائيل .. لذا فإن الأفضل هو قبول الأمر الواقع ، واهتمام كل دولة عربية بمستقبلها وقضاياها الخاصة ..

هذا هو المنطق الذي تروج له جبهة تضم البورقيبيين .. الى ما سمعناه عن تيار زعين والشيوعيين ، الذين يقولون إن هدف العدوان كان منع التنمية في سوريا ! .. فالاستراتيجية الذكية ، لكي « نغيظ » اسرائيل هي الانصراف عن حربها الى التنمية ! ..

هذا المنطق أثبتت التجربة أنه غير قادر على تضليل الجماهير ، وانه لا يحتاج لجهد كبير في فضحه .. وهو على أية حال يستمد قوته الاقناعية من انتصارات جيش اسرائيل !

● المنطق الآخر ، والأكثر خبثاً ، هو ذلك الذي يحاول أن يصل الى نفس النتيجة ولكن تحت ستار من الدخان الثوري . . ووسط ضجيج طبل الثوار ! ..

هو يرفض وحدة القومية، ولكن ليس على أساس خلود الكيانات ..

بل لأنه يطرح شعار وحدة الثوريين وحدهم ..

يرفض الحرب ضد اسرائيل .. لا لأنها أقوى منا ، بل تحت ستار ، الحرب الشاملة ، التي تصفي الاستعمار الأمريكي من اركان المعمورة الأربعة ..

هذا هو المنطق الذي يمارسه العسكريون منذ أن أجهضوا التطور العربي .. فتحت شعارات رفض هزيمة ١٩٤٨ صنعوا لنا نكبة ١٩٥٦ .. وكارثة ١٩٦٧ .. وقبلوا ، وساوموا واستجدوا ما كانت الجماهير ترفضه بازدراء في ١٩٤٨.. بل ما كان أعتى الرجعيين لا يقوى على ترديد احتمال التفكير في قبوله ..

وبزعم الوحدة العربية .. ثم الوحدة الثورية ، خلقوا من أسس الانفصال ، ودعموا في الكيانات ما لم تسمع به الأمة العربية في أحلك عصورها .. وانحصر جهدهم في سبيل الوحدة في نكتة السفر بدون هوية !

والدكتور الانتكاسي لم يزد عن أن « نظّر » هذا السلوك العملي فهو يعلن :

« الدولة الثورية الواحدة هي طريقنا .. الى الانتصار على العدو ، طريقنا الى دخول القرن العشرين ، لذلك لا بد من الاسراع ما أمكن بتحقيق دولة واحدة بين الاقطار العربية الثورية » (١)

وبذلك يكشف انه لا يقدم جديداً .. وأنه مجرد تكرار ممل لذلك الفكر الذي صنع هزيمة يونيه .. ذلك الذي خلع صفة الثورية على كل دولة اغتال فيها أو قلب عقيد السوء سيده !

اليمن الجنوبية .. اليمن الشمالية .. العراق .. سوريا .. الجزائر .. مصر .. ما الصفة الثورية المشتركة بينهم ؟ .

لسوء حظه .. العراق أعلنت أن دستورها مستمد من الاسلام ، أي مثل

---

(١) ص ٢٨٦ .

السعودية ! .. والمؤتمر القومي في مصر ، ارتفعت فيه الأصوات المنادية بالرجوع الى الدين .. واليمن مهما بلغت ثورية حكامها ، فهم يعلنون التزامهم بالاسلام .. وبيان جبهة التحرير الجزائرية ينادي « بالجهاد » شرط ألا يتحول الى حلف !

لماذا اذن تكون هذه الدول ثورية ؟ .. ثم ما الذي يمكن عمله لكي تتوحد هذه الدول الست ؟ . هل نكتب لها استرحام ؟ من الذي يمنعها من الوحدة ؟ ..

هل هناك مفكر جاد يتصور امكانية وحدة سوريا والعراق ومصر ؟! .. أو وحدة الثلاثة مع الجزائر .. أو حتى وحدة اليمن الشمالي مع اليمن الجنوبي ؟ طالما ظلت مقاليد السلطة بيد كل هؤلاء الثوار الوحدويين ؟! .

إلى متى هذا التفكير الصبياني ، والاحلام البائسة التي تتساءل ، لماذا لا يعيش « بابا وماما » في بيت واحد .. والأم متزوجة غير الأب ، المخادن لغير الأم ؟!

ها نحن معشر الرجعية العربية نتقدم بكل خضوع واسترحام ، طالبين من الدول الثورية .. أن تتحد ..اتحدوا وخذوا كل ما تملكه الرجعية .. البترول والعروش .. وحتى الحياة ..

اتحدوا وافعلوا بنا ما شئتم .. ليت هنداً انجزتنا ما تعد ..

ولكن كفى جرياً وراء الأوهام .. إن وحدة اي دولتين عربيتين ، اقرب منالا وتصوراً من وحدة دولتين يحكمهما العسكر .. وما من عقبة جدية في سبيل الوحدة العربية الا وجود العسكر والحزبيين في السلطة ..

يقول الدكتور « إن النظم العربية الرجعية لا يمكن لها أبداً أن تخلص من قريب أو بعيد لقضية الدولة الواحدة ، فهي ، على العكس من ذلك ، تشكل حرباً دائماً عليها . ان معالجة هذا الوضع لا تكون بالاقناع والتبشير بالاخاء العربي .. الخ بل بالعنف الثوري الذي يدمرها .. »

ومن ثم : « ان الدولة الواحدة — يجب أن تقتصر — أو هي بالفعل تقتصر — على الأقطار التي حققت إلى درجة معينة تحولها الثوري وهذا يعني مصر ، والجزائر ، وسوريا ، والعراق ، واليمن ، واليمن الجنوبي .. »

لقد سئمنا الحكم والقواعد المقررة في السياسة كجدول الضرب ..

قولوا لنا ما هي الشواهد ، او حتى القرينة التي تثبت اخلاص الدول غير الرجعية ، أي الدول الثورية للوحدة ؟ . . واذا كانت مخلصة فما الذي يحول بينها وبين الوحدة ؟ .. وماذا نسمي هذا الالحاح عليها ، الا تبشيراً واقناعاً بالاخاء العربي .. الخ .. من باب أولى ان غير الثوريين يحتاجون لمثل هـــذا الاقناع أو اسلوب تسول الوحدة ..

ما الذي يمنع الدول الثورية من الاتحاد ؟ .. وعلى أي اساس يفترض أن دولة الوحدة قاصرة على هذه الدول ؟ ومن منهم يسعى حقاً للوحدة ؟ ومن الذي يرفض .. ومن أين ضُربت الوحدة المصرية السورية ؟ سيقول ان الدول الرجعية مولت وحرضت .. الخ .. ولكن من الذي نفذ ؟ .. ومن الذي حكم ومن الذي ما زال يحكم .. أليس الدولة التقدمية التي حققت الى درجة معينة تحولها الثوري ؟

من الذي مزق ميثاق ١٧ نيسان إرباً ومحاه بالدم ؟ أليس « الحكم التقدمي الذي حقق درجة معينة من التحول الثوري » في سوريا والعراق ؟

ما الذي يحول دون وحدة اليمن الشمالي والجنوبي ؟ ..

ان تاريخ الدول التي حققت درجة معينة من تحولها الثوري (ومرة أخرى ارفعوا أيديكم عن الجزائر) أبرز ما فيه ،، هو صراعها الدموي ضد بعضها البعض وخلافاتها الحادة ، وتأصيلها للانفصال وتكريسها للحدود والاقليمية .

أما بالنسبة للوحدات الحقيقية في تاريخنا ، فاننا نستطيع ان ندعي ، انها لم تتحقق إلا على يد القوى « التي لم تحقق درجة معينة من تحولها الثوري » .

ان الدولة السعودية كان يمكن أن تكون الآن ثلاث او أربع دول عربية تحتل مقاعدها في الجامعة العربية .. ومن المؤكد أن اكتشاف البترول كان سيكرس هذا الوضع . ولعلنا كنا سنجد دولة الظهران التي لم تنجز تحولها الثوري .. ودولة جده التي انجزت تحولها الثوري .. لولا الحركة الوهابية وسيوف الاخوان .. وأيضاً لولا أن حاصرت القوى الاستعمارية الحركة الوهابية ، ووقفت في وجه قدرات عبد العزيز .. فربما استطاع هذا العملاق أن يوحد الجزيرة كلها ، وأعفى المصير العربي من تمزقات لا حصر لها ..

ولولا بطولة واصرار يحيى حميد الدين لما توحدت اليمن — ولولا أن استنزفت قواه في الحرب ضد تركيا ، وانه كان مطوقاً ببريطانيا العظمى ، أقوى جهاز عسكري في التاريخ ، قبل ظهور الدينا صور الأمريكي — فربما استطاع ان يحقق ما عجز عنه الانقلابيون ، ووحد اليمن الجنوبي والشمالي ..

على أية حال ان التمزق الواضح حالياً بين الزيود والشوافع ، والذي يصل الى حد التذابح وتحويل المدافع لضرب العاصمة واستخدام الأسلحة التي يجود بها الاصدقاء لقتل الملكيين ، استخدامها في تقتيل الجمهوريين شوافع وزيود ..

هذه الظاهرة المفجعة ، اختفت في ظل الامام يحيى ، وكبتت في ظل ابنه ، أحمد ، ولكنها تتفجر الآن وتترك آثارها الرهيبة المتفاقمة في ظل الانقلابيين ! .. الذين استحقوا ألقاب القومية والثورية .. لمجرد أن ضباطاً استولوا على الاذاعة ، وذبحوا أكبر عدد ممكن من رجالات اليمن ومثقفيها ؟ .. ثم أشعلوا حرباً أهلية تلتهم الكيان اليمني ؟

ان التقدميين في بيروت، كانوا يعارضون توحيد ليبيا ويفضلونها ثلاث ولايات .. ومملكة متحدة وتعدادها اقل من مليون ! ..

ان الحديث عن هذه الدول الخمس كأنها تمثل مستوى ثورياً خاصاً ، لا يستند لأي أساس ..

فما هو القاسم الثوري المشترك بينها ؟ .. لا نجد الا وقوع الانقلاب العسكري ، وان السلطة فيها في يد ضباط ، يحكمون استناداً الى القوة المسلحة .. لا إلى تنظيم سياسي جماهيري ، ولا إلى ارادة — حرة التعبير — للجماهير ، كما اعتادت الأمم ان تعبر عن ارادتها ، وليس بأسلوب حشد القطيع ، وتصوير خواره على أنه ارادة حرة بالاختيار والموافقة ؟!

هل اليمن اشتراكية ؟ هل العراق اشتراكية ؟ حتى بالقياس المضلل الذي يجعل مجرد التأميمات في مصر وسوريا دليلا أو فعلا اشتراكياً ؟!

ما وجه الشبه بين هذه الدول ، إلا العامل الذي أشرنا اليه ، وهو وجود العسكر في السلطة ؟

أنذهب بعيداً عندما نقول ان المقياس الوحيد لثورية الدولة وتقدميتها — عند هؤلاء — هو وقوع الانقلاب العسكري بها ؟!

وهو مقياس مرفوض بحكم التجربة التاريخية العالمية ، فإن الجيش لا يتحرك الا عند وجود الفراغ الثوري ، وانعدام أي قوة جماهيرية حقيقية قادرة على انجاز مهامها التاريخية .. ثم بتجربتنا الذاتية ، فإن الجيوش عندنا لم تنجز ثورات بل ضربت الثورة وأجهضتها ، وسرقت انتصارات الجماهير .. واصابت مجتمعاتها بفقر دم ثوري وشلل في تطورها ، وانهيار لكل القيم وتعطيل لكل الطاقات ..

وقد سقطت التفسيرات التي حاولت أن تخترع دوراً خاصاً للجيوش في الدول المتخلفة .. فقد ثبت أنه بصرف النظر عن قراءات ، وانتماءات قادة الانقلاب العسكري ، فإن الجيش ، كأحد مؤسسات الدولة ، لا يفهم أبداً حتمية ولا كيفية ، تدمير أجهزة الدولة الرجعية .. بل يحكم بها ، ويتسلل إليها فتمتصه بدورها ..

وهو يعود في صفحة ٢٩٢ فيجري حسماً أو خصماً على حدود دولة

« الوحدة المنتظرة » أو ارم ذات العماد التائهة في غياهيب الزمن ! فيقترح أن تعلن وحدة العراق وسوريا ومصر .. ويدعو « القيادات الثورية في سوريا والعراق الى الاسراع باتخاذ الخطوة الأولى نحو التوحيد . وهي الاعتراف بعبد الناصر رئيساً للدولة الجديدة بينها وبين القاهرة » .

ويرى نفسه مضطراً الى الوقوف مرة أخرى لينبه « الى أن هذه الدولـة الواحدة ، أو ما أخذنا تسميته بدولة « الطوق » هي ضرورة استراتيجية لا مفر منها في معركة تحرير فلسطين » .

« أما الشروط القريبة لهذا التحرير ، فهي عسكرة المجتمع العربي في مصر وسوريا والعراق عسكرة تامة جامعة ، تحول كل فتاة وشاب الى جندي ، فيكون التدريب العسكري نشاطاً يومياً رئيسياً يعمل على تحويل العربي الى جزء لا يتجزأ من الآلة العسكرية الحديثة ويخضع كل مظهر من مظاهر الحياة الى هذه العسكرة » .

ولا يفوته بهذه المناسبة ان يلطع الكليشه التقليدي الذي يردده كل الخائفين والانهزاميين ، ودعاة التسوية السلمية ، فينبه إلى ضرورة « عدم تحميل العمل الفدائي أكثر من طاقته »

ولو انصفوا لقالوا « أكثر من طاقتنا » .. فالعمل الفدائي يكشف كل يوم عن طاقات لا حد لها .. وما عادت تطيقها قوى عديدة من تلك التي تنسب نفسها للثورية !

ومأساة هؤلاء الانتكاسيين ، انهم لا يتمتعون بلحظة صدق ، أبداً ، ولو مع أنفسهم .. لذا ترى دولة الطوق تشمل سوريا ومصر وتقفز لتضم العراق ولكنها تستبعد الاردن .. فالاردن ليس من الطوق ! وهو بالطبع لا يشير الى لبنان !

فلا بد من عسكرة الشباب في العراق ومصر وسوريا ، وربما وقف

الاعمال العسكرية في ... اما لبنان حيث تعلن اسرائيل ، والبرافدا ان لاسرائيل مطالب ... أرضه ..

(ولو .. دحيك ... تكتب فيه آراء ثورية ، وننفق ريعها فيه !)

لا داعي لعسكرته ... شبابه ! .. ما رأيك في تحييده يا دكتور ؟!

أهذه الدولة ... ولبنان .. أم لاسرائيل ؟! .. ما هي احتمالات الوحدة بين سوريا والعراق ... وما هي مدى الجدية في دعوة صلاح جديد لقبول رئاسة جمال عبد الناصر ؟

وما هي الضمانات التي ... أن وحدة ثلاثية أخرى كتلك التي تمزقت في عشرة أيام وسط ... نهايتها .. يمكن أن تقوم وتستمر هذه المرة .. وفي المرة الماضية كان ... دمشق وبغداد ، واليوم يفصل البعث بين دمشق وبغداد ؟

لماذا تستبعد الأردن ... أبدت استعداداً مدهشاً والحاحاً مزعجاً على التعاون الى حد أنها ... الوحيدة التي قبلت وضع جيشها تحت قيادة ضابط ثوري ، ... من رجال عبد الناصر ؟! .. رغم تدهور العلاقات الى حد ... في أول لقاء بين الرئيس والملك ، هو تهديد الرئيس باحتلال ... ! ..

وهل ثمة خطر ... على الأردن .. فلماذا أعفيت من قانون « العسكرة » ؟ .

ولكنه يعود ... في الفصال – فيضم الجزائر إلى دولة ... ! على أن ... واليمن الجنوبي ، في أول طائرة !

وحدة الدولة ... أعداء ألداء للوحدة العربية .. وبالطبع

---

(١) انظر كتابنا ...

فإن الوحدة العربية – كما قلنا – يمكن نسفها بطريقتين : طريق الدفاع عن استقلال وكيان كل من الشارقة وعجمان.. وهو منطق غير جذاب ، وغير قادر على خداع الشباب العربي المتعطش للوحدة .. لذلك فهم يلجأون للمنطق الآخر وهو الدعوة إلى الوحدة الشاملة ، ورفض أو سد الطريق على جميع الوحدات الطبيعية .. فعبر التاريخ كله ، كانت الوحدات الثنائية تمهد للوحدة الكبرى .. ولكن هؤلاء بلغ من فجورهم انهم اعتبروا كل وحدة ثنائية ، عقبة في طريق الوحدة الشاملة لما تخلقه من محاور وتضخيم للكيانات ! لذلك اعتبروا وحدة وادي النيل دعوة رجعية ! .. لأنها بديل عن الوحدة العربية ؟ لماذا ؟ .. ما الذي سيجعل مصر والسودان ، تعارضان الوحدة مع ليبيا ومراكش والجزائر .. اذا ما اتحدت مصر والسودان ؟!

لماذا لا تكون وحدة المغرب العربي خطوة حاسمة في طريق الدولة الموعودة ؟

لماذا لا تتحد سوريا والعراق .. وسوريا والاردن .. العراق والاردن .. الاردن والسعودية .. اليمن شماله وجنوبه والسعودية ..

لأن هذه الوحدات الطبيعية المعقولة ، هي التي يمكن أن تخلق كيانات عربية ذات وزن طبيعي متقارب .. مما يسهل الوحدة الكبرى ، أو حتى وحدة العمل ، لذلك تحارب هذه الوحدات ، وتنطلق دعوات الوحدة الشاملة ، من المحيط إلى الخليج فوراً .. أو وحدة الأماني والشعارات ..

مصر تقفز فوق ليبيا وتونس لتتحد مع الجزائر !

واليمن تعبر قارة افريقيا لتتحد مع الجزائر..وتقفز فوق السعودية والاردن لتتحد مع العراق .. ولكنها لا تتحد مع مينائها الطبيعي عدن ! ..

دفاعٌ عن الحكم العسكري

وفي معرض الخرافات والشعوذة ، يزعم الدكتور أن الدول العربية الانقلابية تتميز عن غيرها أو عن النظم العربية المحافظة والرجعية بشكل كمي ، « بما تقيمه من انشاءات اقتصادية تقدمية ونظم اشتراكية توزع الثروة توزيعاً عادلا ، ومن زيادة في الأجور ورفع مستوى المعيشة ، ومن تعميم الديموقراطية الشعبية [1] »

من حقنا أن نصرخ كما فعلت كليوباترا ، وانطونيو يلفظ أنفاسه منتحراً : من قال ذا .. من زعما ؟ ..

أقسمت عليك يا دكتور بحق سجن المزه الديموقراطي الشعبي ، أن تأتي لتنعم بكل هذه المنجزات في سوريا .. وان كان الدكتور يرفض الرضا بهذه الامتيازات ، بزعم انها لا تساوي شيئاً ما دامت تغفل مهاجمة الدين والدعوة الى الكفر .. فإننا نقول « للثوري الزائر » ان العكس هو الحاصل ، فالكفر متوفر ، والحمد لمن اختص بالحمد على المكروه .. والمساجد ضربت بالمدافع . واذا كان من الامثال الشعبية في مصر الدالة على وصول الأمر الى مالا يمكن تصوره هو قولهم : « الخيل دخلت الأزهر » اشارة الى فعلة نابليون ، في

(١) ص ١١٥ .

محاولته سحق الثورة الوطنية، فإن خيول الانقلابيين ودباباتهم دخلت العديد من مساجد سوريا ، والدعوة الى الكفر بالله والآخرة وملائكته ورسله ، نشرت علناً في صحيفة جيش الشعب في سوريا بأوضح وأصرح عبارات ، بل وأكثر سفوراً مما يحاول الدكتور أن يدعي لنفسه .

ولكن لا شيء من « الامتيازات السطحية » فليس عند الانقلابيين انشاءات اقتصادية تقدمية، بل دمروا المنشآت القائمة، حتى قالت النكتة الشهيرة أن طياراً اسرائيلياً ضرب مصنعاً عربياً في دولة « تقدمية » فعوقب في اسرائيل لأن المصنع يخسر مليون جنيه في السنة !

الانهيار الاقتصادي قاصر على دول الانقلابيين وهي وحدها الغارقة في الديون ، وهي وحدها التي تشهد نزيفاً في رأس المال ، ونضوباً في موارده الجديدة .

وليس عند الانقلابيين توزيعٌ عادلٌ للثروة الا اذا قصدنا بين كبار العسكر ، وحتى هذا ليس عادلا تماماً .. بل وفقاً لحجم مراكز القوى . أما ثروات البلاد فقد نُهبت وبُددت وهُربت الى الخارج ..

أما القول بان مستوى المعيشة يرتفع والديموقراطية الشعبية تعمم ، فهو ان دل على شيء فعلى قدرة قائله ، إما على الجهل ، أو على الافتراء .. وقادة الدول الانقلابية انفسهم لا يزعمون انهم حققوا لشعوبهم ديموقراطية او ارتفاعاً في مستوى المعيشة .. وأقصى ما يفخرون به ، انهم يلهثون لابقاء مستوى المعيشة عند وضعه الحالي ، بمحاولة حل المعادلة الصعبة ، بين تفوق عجز السكان عن تحديد نسلهم ، على عجز الدولة عن توفير القوت لرعاياها .. !

ولكن لأن انصار « العسكرية الثورية » يواجهون موقفاً تعساً للغاية بعد أن حققت هذه العسكرية خزياً نادراً في التاريخ .. وهو هزيمتها العسكرية القاضية، ثم استمرارها ، بتبجح نادر ، في السلطة ، واستمرارها في ادعاء انها هي التي

تحمينا من شر ما يُدبر لنا .. نظراً لهذا الموقف التعس ، فإن المنظرين والمفلسفين يحاولون تبرئة ساحة العسكر من الهزيمة ، تبرئة نظامهم وأسلوب حياتهم وما أقاموه من « نظم اشتراكية » اقتسموا بها ثروات البلاد فيما بينهم ..

لذا نرى « الانتكاسي » يرفض التفسير الذي يرجع الهزيمة المخزية للعسكريين أمام الغزو الصهيوني ، إلى تحول هؤلاء إلى طبقة مالكة تدير البلاد لحسابها ، وتستغل الجماهير في صنع رفاهيتها ومستوى المعيشة المغرق في انحلاله المفرط في ترفه والذي لم تعرفه البلاد حتى في أزهى عصور الترف الاقطاعي .. مع تجردهم من كل أصالة ومن كل مظهر ثقافي أو حضاري ، مما كان يتمتع به المماليك في عصور الازدهار .. فلم نجد في «المماليك الاشتراكية»،شجرة الدر أو بيبرس أو قطز أو قلاوون .. ولا حتى الغوري ..

فيكفي الغوري فخراً ، أنه كان على رأس جنده يدافع عن استقلال المملكة التي يستغلها ، فلما رأى الغلبة لعدوه ، انفجر كمداً وبصق دماً ، ثم سقط من فوق صهوة جواده ، وضاع تحت أقدام الغزاة وسنابك خيل العدو .. أما الفرقاء فما منهم من أصيب ولو حتى في دبره ، كما كان العرب يعير بعضهم بعضاً . . لقد محا الفرقاء أو المماليك الاشتراكية ، السمعة الاسطورية لشجاعة العرب ، وسمحوا لأذلاء الأرض ، أن يتبجحوا بالحديث عن جبن العرب ..

المماليك الاشتراكية ، نسوا صناعة الحرب ، وغرقوا في ترف انحلالي ، فلم يكن بوسعهم أن يقاتلوا وسواعدهم مثقلة بالامتيازات ، وثروات البلاد .. ولم يكن بوسعهم أن يعدوا جيشاً مقاتلاً ، لأن مثل هذا الجيش يفترض قيادة سياسية مخلصة ونزيهة في نفس الوقت ، أو على الأقل قادرة على أن تقدم للجنود فلسفة تقنعهم بالموت دفاعاً عن هذه السلطة التي تتمتع بالامتيازات .. وذلك

لا يتأتى ببراعة الدعاية كما يُظن .. بل بالدور التاريخي الذي تؤديه هذه الطبقة ..

ولأن طبقة العسكريين ، هذه ، بلا مبرر تاريخي ، فهي عاجزة عن تقديم مثل هذه الفلسفة ، ومن ثم كان من المنطقي والطبيعي أن يتطلع كل ضابط لأن يحل محلها ، ويتمتع بما تتمتع هي به ما دام الأساس الوحيد الذي تبرر به وجودها هو استنادها إلى الدبابات في مواجهة خصومها بالداخل .. ومن هنا كان فزع هذه الارستوقراطية العسكرية من قوة جيشها ، وحرصها على تجريده من كل ضابط له شخصية استقلالية أو طموح .. وهؤلاء الضباط بالذات هم الذين يجيدون القتال ، ثم حرصها على تجريد الجيش من السلاح ، ومع وقوعها في التناقض بين مواجهة جماهيرها المتعطشة للسلاح ، والتي تم خداعها ، بزعم أن تكديس السلاح ، مجرد تكديسه ، وتبديد الميزانية في شرائه يكفل النصر .. وبين فزعها من اقدام ضابط مغامر ، على استخدام هذا السلاح ، لخلعها من السلطة وتبديل نعيمها بؤساً ، وملكها حبساً .. اكتفت بتكديس الدبابات ، والطائرات ، وحظرت عليها حمل الذخيرة الحية ، ونشأت استراتيجية عدم الجمع بين الأختين .. فلا يجتمع تحت سقف واحدة ، السلاح وذخيرته !... حتى لا يحدث اخصاب .. أي لكي لا تنفرد قوة واحدة بالقدرة على التحرك والضرب .. واستبعدت نهائياً فكرة المناورات والتدريبات بالذخيرة الحية .. وقد ثبت بعد النكسة أن الجيش المصري لم يجر أية تجارب بالذخيرة الحية منذ سنوات ، لنفس السبب وهو خوف المنظمة العسكرية (عامر — بدران — نصر) من وقوع انقلاب ضدها ، وخلعها من السلطة ..

وقد ثبت انها كانت تخشى من انقلاب يطيح بها ، في اطار النظام نفسه ، ولكن من مركز قوى آخر .. فما بالك بالخوف من قوى تعمل خارج النظام !..

وأبرأ التفسيرات التي قيلت عن أسباب تقاعس الطيران السوري عن الاشتراك في المعركة يوم الخامس .. هو التخوف من قيام هذا الطيران بانقلاب ضد الحكومة .. فحتى في هذه اللحظة الحرجة ، تخشى الحكومة طيرانها .. فمتى تأمنه . . وكيف يمكن لمثل هذه الجيوش أن تحارب فضلاً عن أن تنتصر ..

ولا شك ان أقلية حاكمة ، تتوقع انقلاباً من جيشها ستهتم ، حتماً ، بمراقبة هذا الجيش ، وسيحاول أفراد هذه الاقلية الحاكمة تشكيل تنظيمات داخل هذا الجيش تدين بالولاء لهذا الفريق أو ذاك العقيد عند القمة ، فسمعنا وزير الحربية يتبجح في المحاكمة بأنه يستطيع أن يقوم بانقلاب من منزله ! وسمعنا بتنظيم شمس بدران ، وتنظيم المشير .. وتنظيم .. وتنظيم .. وما خفي كان أعظم .

ولا شك أن جيشاً يعج بتنظيمات سرية ، قد يكون جيشاً ثورياً يبشر بانقلاب نظام الحكم ، إذا ما كانت هذه التنظيمات معارضة للسلطة القائمة ، أما إذا كانت هذه التنظيمات تتبع عناصر موجودة فعلاً في السلطة ، فهو جيش بوليسي جيش الجاسوسية ، يتجسس أفراده على بعضهم ، وتنتفي فيه أخوة السلاح .

وهو بالتأكيد وفي الحالتين ، جيش لا يصلح ، وغير مهيأ لمواجهة العدو الخارجي ..

لقد كان من الاسئلة المثيرة والمحيرة التي تلح على الجماهير ، والشرفاء من المثقفين ، هي لماذا تقوم حكومة بتشكيل تنظيمات سرية ؟ لماذا يكون للاتحاد الاشتراكي تشكيل سري في بلد يحكمها الاتحاد الاشتراكي ؟ لماذا يعج الجيش بالتنظيمات التي يراقب بعضها بعضاً .. وكل التفاسير التي قيلت غير صادقة ، والتفسير الوحيد المعقول هو أن هذه التنظيمات كانت تعكس توجس وصراع الطبقة الحاكمة ضد بعضها البعض ، وهو ما سمي بعد النكسة ، بمراكز القوى .. ثم توجس وخوف هذه الطبقة ، ككل ، من المجهول .. شبح الضابط المغامر الذي سيقود فجر يوم ما الدبابات ، ليطيح بها وينهي ترفها ، ويكشف زيفها

ويلقيها إلى أنياب الجماهير ، المتعطشة للفتك بها .. مصحوبة بنص البيان الذي أذاعته هي عن العهد البائد ، ليلقى اقتناعاً أشد من الجماهير ، بصدقه ، هـذه المرة !.. ثم يبدأ الضابط الجديد ، وصحبه الكرام ، عهداً جديداً من الترف ، واستغلال الجماهير .. عهد متعة الرأس التي حملها على كفه صبيحة الكذا من شهر كذا مخلصاً أمته من ليل الطغيان .. الخ .

هذه الوضعية هي التي أحدثت النكسة ، هي التي جردت الجيش مـن السلاح ، وجردت الجيش من الضباط المقاتلين الشرفاء ، وأوجدت هوة خطيرة بين الجيش والشعب ، بين السلطة والجماهير ..

ولكن الدكتور الانتكاسي يرفض تفسير انحلال الطبقة العسكرية وتفسخها بتأثير استئثارها بثروات البلاد.. ويرد علينا ، من اعمال الرسل، فيقول أن : « الطبقة الحاكمة في روسيا كانت تستمتع بامتيازات كبيرة بالنسبة إلى الجماهير. ولكن هذه الامتيازات لم تجعلها خائنة ومنحرفة ومتاجرة ، بل كانت قيادات تحملت مسؤوليتها الثورية بكل ما في هذه الكلمة من معنى أمام الغزو النازي . لماذا ؟ ان السبب الأساسي يعود إلى توفير أيدلوجية انقلابية التزم بهـا ذلك القسم »[1] .

إن هذه الفتوى ، هي التي تسربت من تحتها كل انحرافات الحكم الثوري .. عندما زعموا أن الاستئثار بالامتيازات على حساب بؤس الجماهير ، لا يقلل من ثورية القيادة !.. وهو أيضاً يكشف أي انتهازية جشعة تختفي خلف صوفيـة الدكتور الانقلابية ، وهو أيضاً يتناقض مع زعمه بعد ذلك أن الانقلابي الحقيقي يصير انساناً جديداً ، ويتجرد من الأهواء والمصالح الشخصية .. الخ .

إلا أنه تفسير عجيب ، وتبرير غريب لانحلال وانحراف وانتهازية الفئات

(١) ص ٧٦ – ٧٧ ولأن هذا الفكر لا يلتزم بصدق ولا بمنطق نراه ينفي ذلك في ص ٢٥٥ «ولذلك كانت مراكز الحزب العليا وقفاً على جماعة من المتقشفين الذين نذروا حياتهم لقصد واحد : القضية الثورية » !!

الحاكمة . فالامتيازات لم تكن من نصيب قيادات الجيش بل كان الجيش الروسي ، رغم كل ما يقال ، جهاز قتال محترف .. تحققت في داخله المساواة إلى أقصى حد ممكن ، بل وبإفراط أحياناً ..

ولكننا سمحنا لفاجرة كابنة موشي ديان، بأن تعيّرنا بالتفرقة الطبقية داخل جيوشنا الاشتراكية ! ![1]

إن الجيش الروسي قاتل دفاعاً عن روسيا لأنه جيش محترف،قد هيىء للقتال وأبعد بكل عنف عن السياسة وعندما اضطرت ظروف الصراع ، داخل العصبة الحاكمة إلى الاستعانة بالجيش ، سرعان ما أُبعد الجنرال وألقي إلى النسيان ، لكي تنتهي اللعبة ، وخوفاً من أن تتطور ... ان وجود طبقة تتمتع بامتيازات ،ليس بخطورة أن تكون هذه الطبقة ، هي قيادة الجيش ..

أما الشعب الروسي فقد قاتل دفاعاً عن وطنه أساساً لا دفاعاً عن النظام .. ولا أظن انني بحاجة إلى التدليل على ذلك ..

فليس من الضروري أن يتمتع المرء بايدلوجية انقلابية لكي يدافع عـــن وطنه .. والموجيك الروسي لم يكن يتمتع بهذه الايدلوجية ، لا هو ، ولا القيصر

---

(١) « الآن ، وبعد ستة عشر عاماً من قيام الثورة ، وبعد أن تدرب الضباط في روسيا ، وبعـــد قدوم الخبراء الروس إلى مصر أين هي روح اشتراكيتهم .. كان الضباط على درجة مـــن النظافة والاناقة بينما ملابسهم مصنوعة من نوع من أنواع الحرير ، لقد أعطونا مناديل نظيفـة عندما هممنا بتعصيب عيونهم . أما الجنود فكانوا طوال الذقون وعلى درجة القذارة وكانت ملابسهم عبارة عن خرق ممزقة . وكان جنودنا يعرفون أن الجنرال أريك شارون وسائقه يورام ، يرتديان نفس بذلة الميدان « الباتل دريس » ونفس الأحذية . انهم يعرفون أيضاً ان قائد فرقة المشاة والمدفعجي يأكلان نفس الطعام في الميدان ، وأن الجنود يخاطبون ضباطهم ، وينادونهم بأسمائهم الأولى .. » (يوميات جندي . يائيل ديان ..)

أي خزي ! .. وأي عار أن نبرر ذلك ونفكر في استمراره !

عندما قاتلا بشراسة ضد نابليون ، وضد الاتراك من قبل ومن بعد ..[1]

ولماذا قاتل الفلاحون المصريون خلف عرابي .. ولماذا قاتلوا في ١٩٤٨ .. ولماذا فر الفرقاء في ١٩٥٦ وفي ١٩٦٧ .. لأن الفرقاء أو العصابة العسكرية انحصر وطنها في امتيازاتها ، وكان واضحاً أمامها أن الوسيلة الوحيدة للتمتع بامتيازاتها هي المحافظة على حياتها ، والعودة بأسرع ما يمكن إلى القاهرة حيث لاح خطر اعادة تقسيم الامتيازات من جديد ..

أما الفقراء فلم يكونوا قد أعدوا للقتال، بل انتزع منهم كل ايمان بالوطن والاستشهاد ، فقد كان يجري تثقيفهم بالاشتراكية الإنسانية ، والسلم العالمي ، والاخوة بين الشعوب .. ويجري شحنهم ضد الرجعية العربية ، وتعبئتهم ضد مؤامرة خبيثة تهدف إلى تجميع الدول الإسلامية في العالم أجمع .. في حلف إسلامي لضرب الحكم التقدمي في صنعاء .. ودمشق والقاهرة ، ومنع قيامه في عدن ! !

وكل مصيبة كانت تنزل بالأمة العربية ، كانوا ينسبونها لا إلى اسرائيل بل للرجعية .. وراجعوا الصحف من سنة ٦١ إلى ٦٧ .. وأحصوا عدد السطور الموجهة ضد بعضنا البعض .. ونسبتها إلى السطور الموجهة ضد اسرائيل . لا أظنها تقل عن ألف إلى واحد !

الجنود كان قد تم افساد وعيهم الغريزي ، وجرى تدمير معنوياتهم تحت وطأة البؤس العنيف ، الذي أصبح أكثر حساسية وايلاماً بالحديث المثير عن الاشتراكية ومكاسبها ، ومساواتها .. مما فتح العيون أكثر على ترف قياداتهم ، وتمتعها بما لم يسبق لأي قيادة عسكرية أن أغرقت فيه على هذا النحو ..

---

(١) مات للاستعمارية الامريكية ٤ جنرالات في حرب فيتنام .. الجندي المحترف لا يحتاج لايدلوجية انقلابية كي يمارس مهنته ، ويموت ، ولو تحت أخس راية وفي سبيل أبعد الأهداف عن الشرف والعدل .. انه ملزم بتنفيذ تعهده عندما التحق بالجيش أن يموت أو ينتصر.

إنها حالة نادرة ، لطبقة ، لها كل ثروة البلاد ، ومحظور عليها أن تدخر .. حالة المجتمع المثالي عند الاقتصاديين الرأسماليين : الكل ينفق كل دخله !.. وعلى الاستهلاك .. لأن الادخار ممنوع ، فهو يثير الشبهات ، ثم لا وجه لاستثمار المدخرات ..

كان الجنود يعيشون في مجتمع « اشتراكي » بكل معنى الكلمة .. وكانوا محرومين من كل قوة شرائية .. مطالبين في نفس الوقت بأن يتغنوا بفضل المجتمع الاشتراكي ، وما حققته الاشتراكية بنقلهم من النار إلى الجنة ..

وليس من الضروري أن يعيش الناس في نظام اشتراكي ليقاتلوا دفاعاً عن وطنهم ، ولكن لا بد من أحد أدنى من الكرامة والمساواة ، بين المقاتلين عند خط المساواة المطلقة .. خط النار .. وفي لحظة الموت .. مساواة بين الضباط والجنود ، وأيضاً ، وبنفس الأهمية ، مساواة في ضريبة الدم ، فلا بد من وجود أبناء الطبقة الحاكمة بين صفوف الجند وتحملهم نفس المخاطر والمصير الذي يواجهه الجنود من أبناء المحكومين ..

وهذه المساواة هي ما كانت تفتقده الجيوش الثورية بالذات ..

هذه هي النظم التي يدافع عنها الثوري القادم من كندا ، بل ويمعن في اذلال الفكر العربي عندما يطالبنا بتبادل الانخاب ، بمناسبة فشل الامبريالية الامريكية وأداتها اسرائيل « في مقاصد الحرب الأولى أي الاطاحة بالنظم الثورية فيحق لنا أن نستبشر بالأمر ونفرح به »[1].

أبشري يا أمتنا العربية بسقوط الجولان وسيناء وفلسطين كل فلسطين ... وبقاء « صلاح جديد » !!

افرحي يا أم العناكب والخنازير وأولاد القردة والافاعي .. فقد أضاعوا كل شيء .. وبقوا هم فرحين مستبشرين !!

---

(١) ص ٢٨٧ .

الدّينُ هوَ التخلّف!

١

اذا كان رعاع اليهود وقادتهم قد استطاعوا أن يهتفوا بسقوط الاسلام في المسجد الأقصى [١] .. محتمين بمدافع جيش الدفاع الاسرائيلي ، وفي ظـــل مساندة وغبطة أصحاب الأحقاد الصليبية .. فإن بعضهم هنا في بلادنا ، يهتفون بسقوط الاسلام ، منتهزين فرصة النصر الاسرائيلي ، مستغلين حالة الذهول التي تسود العالم العربي ، مستندين الى دبابات الانقلابيين .. اعداء الاسلام ..

ان الغزاة اليهود يدركون ان الحرب موجهة في صميمها ضد الاسلام .. فالاسلام هو الخطر الأكبر على الاحلام اليهودية .. وفي معارك ١٩٤٨ كان اليهود يخشون بالذات ، « المتعصبين » المسلمين ..

واسرائيل تعلم أن المسلم « المتعصب » لا سبيل الى مهادنته ، أو مسالمته ، أو إقناعه بأخوة الشعوب .. أخوة القاتل والمقتول ..

اسرائيل تعلم ان الاسلام هو وحده العقيدة القادرة على خلق المقاتل القادر على تحرير بيت المقدس .. هو وحده القادر على تحريك ٦٠٠ مليون مسلم وتعبئتهم من أجل تحرير الأرض المقدسة .. لذلك يهتف ابناء اسرائيل بالعبرية : « يسقط الإسلام » ..

---

(١) تسجيلا قدمته منظمة فتح إلى مؤتمر علماء المسلمين بالقاهرة، اكتوبر ١٩٦٨ .

ويهتف أصدقاء اسرائيل بالعربية : حاربوا الاسلام .. لا تقدم الا باعلان الكفر والمجاهرة به .. والثورة ضد الاسلام ..

فالتخلف سببه الاسلام ! .. والتقدم يبدأ بنبذ الاسلام ..

بل ان الانتكاسي يحذرنا من الاستناد إلى المسلمين بل ويسخر من دعوة الجهاد !

يقول : « ليس هناك ما يدعو الى الاشفاق في موقفنا الثوري أكثر من تلك النداءات الى « الجهاد » والاعتماد عليها . وهي تخرج من العواصم « الثورية » والنتيجة كانت ما تستحقه هذه النداءات : اصداء بئر خاوية »[1] .

يا للشماتة !

هذا هو مصدر الرعب الحقيقي .. ان الغرب الصليبي لا ترعبه الا صيحة الجهاد .. انها موجودة في القاموس الغربي jihad ، بحروفها وكما ينطقهـــا. المسلمون .. قد تجمدت في عروق الصليبي الغربي ، فلم يجد وقتاً حتى لترجمتها

هذه الصيحة التي حطمت أحلام الغرب في القرن الحادي عشر ، وأدت الى فشل الحروب الصليبية الأولى .. وهي التي ظل يخشاها منذ اواخر القرن التاسع عشر عندما بدأت تراود رجال الدولة العثمانية وبالذات قادة الأمـــة العربية التي كانت تتعرض للغزو الغربي الجديد .. فكرة استصراخ المسلمين ومواجهة أووروبا الصليبية الاستعمارية ، بثورة اسلامية عامة تجتاح اسيا وافريقيا والمناطق الاسلامية وقتها من أوروبا .

وكانت من المهام الاستراتيجية للاداة الحربية في بريطانيا وفرنسا خلال الاعداد للحرب العالميةالأولى ، مواجهة احتمال قيام حركة جهاد .. وكان أسلوب مواجهته هو خلق حركات اسلامية موالية ، ونشر حركات ومذاهب معادية للاسلام ، وبالذات في المنطقة العربية تحت شتى الأسماء والشعارات ..

---

(١) ص ١٥٦ .

واليوم فإن أخطر ما يواجه الغزو الصهيوني، هو دعوة «الجهاد».. تلك التي تحرك تضامناً اسلامياً بين ٦٠٠ مليون مسلم ، مهما تكن بئرهم خاوية ، فإن دعوة جادة جديرة بأن تنتح من هذا البئر ، ما لا يقل غزارة وعذوبة عمـــا جمعناه من التضامن العربي .. بل لعلها جديرة بأن تجعل هذا التضامن العربي أكثر غزارة وايجابية .

وما من محاربين جادين ، حريصين على تحقيق عزلتهم قبل دخول المعركة، ولا يمكن أن يكون في صفنا ذلك الذي يدعونا الى القتال ، على أن نبدأ بعزل أنفسنا عن العرب الذين يسيطرون على القيادة السياسية في معظم الدول العربية لأنهم رجعيون .. ثم عن الجماهير المسلمة في اسيا وافريقيا ، لأنه لا يليق بالثوار أن يستصرخوا عاطفيين عليهم باسم الدين .. وما حيلتنا اذا كان الاخوة البروليتاريون ، توجههم الصهيونية !! .. ثم ما الضرر .. هب أن المسلمين لن يتجاوبوا ، مثل تجاوب اليهود .. الذين يستصرخهم روتشيلد ، مذكراً أن الشريعة اليهودية تطالبهم بدفع عشر أموالهم .. ما الضرر في أن نصل ولو الى واحد في الألف او حتى واحد في المليار من تأييد اليهود لاسرائيل ؟ أليس ذلك قوة تضاف الى رصيدنا ؟

ما العيب في أن نرد نحن على دعوة روتشيلد لليهود باسم الشريعة .. بدعوة المسلمين لمؤازرتنا باسم الجهاد ..

ما الضرر ؟ ..

هل يسيىء إلى حركة الفدائيين العرب ، أن ينضم اليها باكستاني أو اندونيسي أو نيجيري ؟ .. انا اؤكد للانتكاسي ان هناك مليون شاب على الأقل من بين شباب الدول الاسلامية على استعداد للاستشهاد من أجل قضية فلسطين .. من أجل تحرير بيت المقدس .. وأن العنف الحاد في رفض طلبهم ، لا يخدم الا اسرائيل ..

ما الضير ؟ لماذا نقبل فدائيا فرنسيا ؟ بل ويهوديا كما ينصحنا التقدميون .. ونرفض آخر يأتي بدافع ديني لتحرير مسجده المقدس وتضامنا مع اخوانه العرب ؟! . الا ّ إن كنا نحرص على العزلة ، لكي يتم النصر لاسرائيل ؟!

عجيب أمرك يا انتكاسي .. هل انت ماركسي انقلابي ، ثوري .. أكثر من السوفيت ؟!

ها هو ممثل المسلمين السوفيت في مؤتمرعلماء المسلمين يعلن — والعهدة على جريدة الأهرام — « وهنا طلب الشيخ ضياء الدين بابا خانوف مفتي طشقند ، الكلمة ، وفيها طالب باتخاذ اجراءات ، جدية وسريعة ، لانقاذ المقدسات الاسلامية وأرض فلسطين ، وأكد ان مسلمي روسيا ، يتطلعون الى قرارات هذا المؤتمر ، ويحذرون من مجرد اصدار القرارات التي لن تردع الاستعمار »

صحيح ان بابا خانوف كان متعجلا لاحباط دعوة ترددت تطالب الدول الاسلامية باعلان « كومنولث اسلامي » لتحرير القدس .. ولو أقر هذا القرار لأدموا أذنيه عندما يعود للاتحاد السوفيتي ، لأن معنى ذلك أن ملايين المسلمين في روسيا سيكون لهم وجود خارجي مستقل ..

ولكن على أية حال نحن نستنتج من حضور بابا خانوف وكلمته الحقائق التالية :

- يوجد مواطنون في الاتحاد السوفيتي باسم « مسلمي روسيا » .. اذن فما زال هناك مسلمون ، وروسيا التقدمية الانقلابية لا تضم شعباً ملحداً على الأقل فيما يختص بالمسلمين ..

- ان هؤلاء المسلمين ، خاصة ، دون سائر شعوب الاتحاد السوفيتي يشكلون وضعاً متميزاً فيما يتعلق بقضية فلسطين .. وذلك نابع من اسلامهم .. ولأن فلسطين بها مقدسات المسلمين ..

- ان هؤلاء المسلمين يتطلعون إلى قرارات مؤتمر يضم علماء المسلمين

من دول عديدة ليست اغلبيتها شيوعية ، ولا اشتراكية ، بل وبعضها يحرم الشيوعية ..

اذن فمن الممكن أن يعقد المسلمون اجتماعاً دون أن يكون لصالح الاستعمار ، ومن أجل الاحلاف .. ومن الممكن أن يجتمع المسلمون بوصفهم مسلمين فحسب .. بل ويتوقع ممثل روسيا ، ان تصدر من اجتماعهم هـــذا قرارات ضد الاستعمار .. بل ويتطلع المواطنون السوفيت (المسلمون) لهذه القرارات .. إذن فليست دعوة « الجهاد » دعوة استعمارية [1] .

● ان مسلمي روسيا يقلقهم وضع الاماكن المقدسة في فلسطين ، وهم على أحر من الجمر في انتظار قرارات من مؤتمر علماء المسلمين ، تخلصها ..

إذا كان هذا هو حال مسلمين يجري تطويرهم ، ونشر العلمانية فيهم منذ نصف قرن بأعنف الوسائل التي اكتشفها الارهاب البشري.. أليس الأحرى أن المسلمين خارج روسيا ، أشد شوقاً للعمل وأكثر ألماً ، لما جرى على الاماكن المقدسة ؟ .. فلماذا نخيب آمالهم ، ونتنكر لآلامهم ونزجرهم ، بزعم أن الثوري لا يستصرخ

---

(١) بل المدهش ان أول دعوة « للجهاد » وجهت للمسلمين بعد سقوط الدولة العثمانية .. كانت من « لينين » إله الانتكاسي ، وصنمه المعبود كما يدعى .. عندما وجه لينين في عام ١٩١٧ نداءه : يا مسلمي الشرق ، من فرس ، وأتراك ، وعرب ، وهنود ، ان الاستعباد لا ينتظركم من جانب روسيا وحكومتها الثورية ، بل من جانب ضواري الاستعمار الأوروبي ، الذين حولوا أوطانكم إلى مستعمرات .. والآن يهب حتى مسلمو الهند ولا يمكنكم أن تسكتوا . فلا تضيعوا الوقت » .

هكذا لم يجد لينين غضاضة ولا نكراً في مناداة المسلمين .. ورغم ماركسيته وعلميته ، وجد عاملا مشتركاً بين الفرس والأتراك والعرب والهنود المسلمين .. حلف اسلامي صريح .. أليس كذلك !...

يجب أن نعرف أن هؤلاء ، مهما تشدقوا بشعارات ماركسية ، فهم عملاء الغزو الفكري الصهيوني الاستعماري ، وهم لا يترددون في خيانة الماركسية والتنكر لها لو تعارضت لحظــة واحدة ، مع المخطط الأصيل .. تدمير الوطن الإسلامي ، وتسليمه للمستعمرين .

المسلمين ! .. لماذا .. الا اذا كنا نحرص على بقاء هذه المقدسات في يد غير المسلمين .. ونخشى تأثير دعوة الجهاد على نشاط المبشرين الكنديين ؟! .

واذا كانت القيادات الثورية قد اضطرت لاطلاق صيحة الجهاد تحت ضغط جماهيرها ، وبفعل لحظة الصدق التي تتفجر في مواجهة الموت ، فإن الانتكاسي يهرع من القارة الامريكية ، ليحذرهم ويسخر منهم ويحول دون أن تصبح برنامجاً سياسياً .. ويعيرنا بأنها اصداء بئر خاوية ! نعم ! بفضلك وفضل أمثالك ممن حرصوا على تجريدنا من مصدر القوة الوحيد ؛ الاسلام . وعزلونا عن جماهيرنا الطبيعية ؛ المسلمين ..

اصداء بئر خاوية ؟ وأي بئر جاوبتكم ؟ .. الوحدة الافريقية ، وقد فشلنا وما زلنا في استجداء ولو استنكار منهم لاحتلال بلد افريقي !

دول عدم الانحياز .. مؤتمر شعوب القارات الثلاث ؟ .. المعسكر الاشتراكي .. أي بئر جاوبتكم حتى ترفضون نداء البئر الذي تجافيتم له ؟ ..

ويتابع الانتكاسي أساه على ما وصل اليه تخلفنا .. فمن أسفه على تردي القادة الثوريين الى حد دعوتهم « للجهاد » ، الى نماذج يقدمها لنا لبعض الاقوال التي قيلت في التعليق على النكسة ، مدللا بها على تخلفنا .. محملا هذه الأقوال مسؤولية ما جرى !

« فأحد قادة الفكر الديني في لبنان ، كتب في احدى الصحف ، يطمئن العرب على مصير المعركة الحربية مع اسرائيل . فقال ما معناه ان الملائكة التي نزلت في غزوة الخندق ، لتحارب الى جانب النبي محمد وجماعته [1]، ستنزل الى جانبنا اليوم وتؤمن لنا النصر ، في معركتنا مع العدو ، وبعد أن انقضت الجولة الأولى من الحرب ، وعرفنا بالنكسة التي منيت بها الأمة العربية ، قام أحد الملوك العرب ، ليبررها ويفسرها فقال بأننا تحولنا عن الله ، فتحول الله

(١) لاحظ بذاءة التعبير « النبي محمد وجماعته » !

عنا ، فكانت النكسة [1] .. »

وفي حملة تشهير عامة ، يفاجئنا بعد ذلك بمقال للشيخ صالح بن **عثيمين (؟!)** ضد مساواة المرأة بالرجل .. ولا ندري ما علاقة ذلك بالنكسة ؟

وهل وجود شخص .. اقسم انني لم أسمع باسمه قبل هذه قط ، يعارض مساواة المرأة بالرجل ، هل يعني ذلك اننا يجب ان نشن حرباً صليبية ضد الاسلام .. ام أن القضية « حدف طوب » ؟ وهل من المنهاج العلمي « تصيد الطرائف » ؟!

هل مقال فضيلة الشيخ صالح بن عثيمين .. يلزم المسلمين ، ويقرر موقف الاسلام من المساواة ؟ وهل هذا المقال هو الذي سبب النكسة ؟ ..

ان في اسرائيل احزاباً كاملة تعادي مساواة المرأة بالرجل .. ولم تنتكس اسرائيل .

ثم يستعرض لنا نماذج من الفكر الديني المتخلف .. « وبعد العدوان الاسرائيلي على العرب بقليل ظهر التعليق التالي على طبيعة الحرب ضد اليهود : انهم لا يقدرون على مقاتلتكم مجتمعين متساندين ، يعني اليهود والمنافقين ، إلا بالخنادق والدروع [2] .. »

« وبعد المعركة الأخيرة نشر الوصف التالي لجندي المشاة المثالي تحت عنوان « بطل المشاة » ليحتذي الجنود في سيناء حذوه ويقتدوا بمثاله : « وكان سلمه من أمهر الذين يقاتلون مشاة ، ويرمون بالنبال والرماح .. وكانت طريقته تشبه طريقة بعض حروب العصابات الكبيرة التي تتبع ، اليوم ، فكان اذا هاجمه عدوه ، تقهقر دونه ، فإذا أدبر العدو أو وقف يستريح هاجمه في غير هواده . وبهذه الطريقة استطاع أن يطارد وحده القوة التي أغارت على

(١) ص ١٥٣ .
(٢) ص ١٥٤ لعله يجهل أن هذا تحليل سمعناه من مصادر عسكرية ..

مشارف المدينة بقيادة عيينة بن حصن الفزاري في الغزوة المعروفة بغزوة ذي قرد . وخرج في إثرهم وحده ، وظل يقاتلهم ويراوغهم ويبعدهم عن المدينة حتى أدركه الرسول في قوة وافدة من الصحابة . وفي هذا اليوم قال : «خير رجالاتنا — أي مشاتنا — سلمة بن الأكوع » .

« إن الملك حسن الثاني كان له أيضاً تفسيره الخاص للنكسة : « ان الهزيمة انما هي عقاب الهي على اهمال شعائر الدين ، اما جابر الأحمد الصباح ، فقد رأى « ان الله ، جل شأنه ، لحكمة لا يدركها الا هو ، اراد أن يبتلينا بما ابتلانا به لنطهر أنفسنا ونصلح من أخطائنا ، ونسجد لقدرته بعد أن كدنا نكون عنه غافلين » [1] .

ويستدل من ذلك على أننا ما نزال نتحرك « بعقلية بدائية » .

ويصعب علينا التعرف على البدائية ، أو أوجه العار،في هذه النصوص ..

رجل يبشر الجند بأن الملائكة ستقاتل معهم ، هل حدث أن ترك المسلمون خيولهم مقيدة على مرمى سهام العدو في غزوة الخندق اتكالا على وجود مظلة ملائكية ؟ .. أبداً .. حفر المسلمون خندقاً لأول مرة في الجزيرة العربية .. وكان النبي يحفر فيه بنفسه لكي يمنع اقتحام فرسان العدو .. ولكن القيادات العلمية والخبراء السوفيت تركوا الطائرات على الأرض ، وناموا مطمئنين الى وعود جونسون وكوسيغين !

ايهما أكثر صوفية وغيبية ، وأكثر اضراراً بالأمة العربية ، الشيخ الذي لا يملك الا أن يرفع معنويات الجند ، بان الملائكة تقاتل مع المؤمنين [2] .. أم

---

(١) ص ١٥٥ .

(٢) ما الفرق بين هذه البشرى ، وبين قول هرتزل : « لم يكن الله ليبقينا على قيد الحياة طيلة العصور الماضية ، لو لم يتبق لنا دور لنلعبه في تاريخ البشرية » . هل أفادت علمانية الدكتور أمته كما أفادت دروشة هرتزل قومه .. لماذا تنجح الصوفيات عندهم .

أولئك الذين ظلوا يؤكدون لنا أن الشياطين السوفيت سيقاتلون معنا ، حتى ضيعوا مستقبلنا وغرروا بأمتنا ؟ ..

ما من قائد عسكري ، مهما يكن ايمانه أو حتى دروشته سيضع خطة عسكرية على أساس وجود فرقة أو لواء مدرع من الملائكة .. ولكن زعماءنا وضعوا ، مصيرنا العسكري ، واستقلالنا السياسي في مهب الريح ، على أساس وجود الأسطول السوفيتي في البحر الأبيض ، واستحالة ان تتركنا روسيا نهزم من اسرائيل ..

واحتمال نزول ملائكة مسومة مع جيش البعث السوري ، أقرب للتصديق من تأييد الاتحاد السوفيتي لنا إلى حد الانتصار على اسرائيل ! .. ولكن دراويش الماركسية والثورية أفتوا بذلك .. وضيعوا استقلالنا الوطني ..

لماذا لم تُهزم اسرائيل وحاخامها الأكبر يقول : « ان كل ما وعدنا بـه انبياء التوراة يتحقق » .. ألم تنقل رويتر ، وتنشر الصحف العربية عنها :

القدس — ٢ — رويتر

احتشد بضعة ألوف من اليهود في ساحة حائط المبكى هنا اليوم للاستماع الى نفخ بوق ، ايذاناً بانتهاء صوم عيد « الغفران »

وغصت « الكُنس » في جميع انحاء اسرائيل بالمصلين وأدى حوالي مئة من اليهود الصلاة في الخليل ، وكان بين المصلين اللفتانت كولونيل لوفر بن ديفير الحاكم العسكري الاسرائيلي ، للخليل . وكان نصف المصلين من العسكريين »[١] ..

هه ! .. نصف المصلين من العسكريين .. ؟! نفخوا في البوق .. وصاموا وصلوا .. ومرغوا كرامتكم في التراب .. لأن انتكاسيا ، هاجر من عندنا بعد التوجيهية ، وزرعوا له مخا في الغرب ، يأتي الينا في مسوح تقدمي فيسخر

---

(١) ٣/١٠/٦٨ .

من مشايخنا الذين يدعون للتمسك بالدين ...

الا انه لا نصر قبل أن نسحق هذا الفكر الفاسد ونعرف أنه لا يقهر بوق اسرائيل .. الا آذان التوحيد .. ولا يقهر عسكر اسرائيل ، الا عسكر مسلمين يصومون ويصلون ..

وماذا في وصف بسالة وذكاء سلمه بن الأكوع ؟! .. لماذا « تزأطط » كالدجاجة لأن ماو تسي تونج يسترشد بقصة من تراثه الكونفوشيوسي [1] وتستاء إلى حد المرض ، لأننا نقدم لفلاح مسلم يقاتل في سيناء ، نموذجاً من أسلافه المنتصرين .. هل يجب أن نقدم له نموذجاً من كوبا وفيتنام ؟ .. لا بأس نحن نفعل ، ولا نتردد .. لكن فقط دلونا على وجه الخطيئة في اثارة اعتزازه بأجداده الذين قاتلوا اليهود وانتصروا عليهم .

وهذا الانتكاسي ألا يقرأ حتى ما يكتبه .. أليس هو الذي يعلق على استشهاد ماوتس تونغ ، بقصة أو خرافة الرجل الذي ينقل الجبل بجاروف فيقول : لو« أن مفكراً عربياً ذكر هذه القصة ومثل بها على دور الارادة الثورية ، لا تهمه رأساً « علماء » فكرنا الثوري ، وخصوصاً « المتمركسون » منهم ، بأنه رومانطيقي أو مراهق .. » [2]

وانت أيها « الماركسي » الأصيل لماذا تسخر من مقال ، افترض ، انه فلكلور ، وانه يحتوي من الصدق مقدار ما في نقل الجبل بالجاروف ، ولكنه مثال على الارادة الثورية ، حيث يستطيع جندي واحد أن يشغل العدو مدة كافية إلى أن تصل الامدادات ؟ .. ألا تصلح لتقوية معنوية الفدائيين ؟ .. ما وجه الجريمة في الاستشهاد بهذه الحادثة ؟ إلا ان كان مجرد ذكر الاسلام

---

(١) في تأكيده المستمر على دور الارادة الثورية يذكر ماوتسي تونج قصة « الرجل العجوز المجنون » ، وهي قصة فولكلورية صينية .. فأمام بيته كان هناك جبلان .. الخ ص ٢٥٦ .

(٢) ص ٢٥٦ .

والمسلمين ورسول الله .. جرم لا يغتفر ! !

وما الفرق بين كلمات الملك الحسن وجابر الأحمد ، وبين تفسير الانتكاسي ، بأننا هزمنا لأننا ابتعدنا عن المنهاج الانقلابي ، فأراد ماركس ، أو الشعب ، أو التاريخ أن يبتلينا بهذه المحنة لكي نفيء الى أمر ماركس والرسل ال ١٨٨ الذين أتحفنا بأحاديثهم وكراماتهم ؟ ..

ما الفرق الا في اليقين بفساد رأي الدكتور .. فقد جربنا من الثورية قدراً ، أحدث كل هذا الانهيار الشامل .. فكيف بالله نحاول المزيد ؟ .. الا اذا كنا نأخذ بمنطق السكارى ، ونقول : « وداوني بالتي كانت هي الداء » ..

لو أن المنهاج الماركسي ، أو الانقلابي ، أو الثوري ، أحدث أي تغيير الى الأمام لقلنا اننا بحاجة الى جرعة أكبر ليكون التغيير أفضل .. ولكن نكسة ١٩٥٦ كانت أسوأ من نكبة ١٩٤٨ . وكارثة ١٩٦٧ أبشع من كل قياس أو تصور كان يخامر المتشائم .. اذن فنحن بفضل المنهاج الثوري نسير من سيء الى أسوأ .. أفليس دجالا مكابراً ، ذلك الذي يدعونا الى الاستمرار في تجربة الدواء ؟ ..

اما رأي الملك والأمير فهو على الأقل يحمل صدق ما لم يُجرب بعد.. فأكيد أننا تركنا الدين ، وأكيد ان فترة انتصارنا الوحيدة في التاريخ تلك التي يسميها الدكتور « دورة الحضارة العربية » هي تلك الفترة التي أنتمينا فيها الى الدين .. فمن حق كل طبيب ان ينصحنا بتجربة الدواء الذي شفانا مرة .. ومن حق المريض ، أن يجأر في طلب الدواء الذي شفاه .. ثم يكون الحكم بعد التجربة ..

أي عيب اذن .. وأي عار في أن يستخلص البعض ضرورة العودة للدين ؟ ما من حجة .. الا اذا كان الدكتور يفترض فينا الكفر مقدماً .. واذا كنا فما حاجتنا إلى كتبه ؟ ..

واين هو الشرف .. شرف المفكر ، ولا أقول الثوري .. ما دمت في معرض جمع التصريحات الأثرية .. لماذا لم تضع نفس القول .. وقد قالـه الرئيس جمال عبد الناصر :

« فليكن فيما نختاره من هذه اللحظة الحاسمة ، وان كان اختياراً عصيباً علينا ، خطوة نستطيع أن نتقدم منها وهذه ارادة الله لعل في ارادته لنا خيراً .

اننا نؤمن بالله ولا يمكن ان يتخلى الله عنا ، ولعل الأيام القادمة تأتينا بنصر من عنده ، اللهم أعنا .. ولتكن ارادته لنا » (1)

لسوء حظ الانتكاسي أن الالتجاء لله تعالى ، لا يقتصر على الملوك والأمراء بل يضم حتى القادة الثوريين .. بل والشيوعيين الخلص ..

قال السيد حسن جوزو رئيس جمعية علماء المسلمين بيوغوسلافيا ورئيس الوفد اليوغوسلافي :

« ان مسلمي يوغوسلافيا يهتمون بقضية فلسطين ، اهتماماً كبيراً ، وانهم يعتبرون هذه القضية قضيتهم ، وقضية المسلمين الأولى في العالم الاسلامي كله .. وكذلك الحكومة اليوغوسلافية فهي تؤيد العرب في قضية ازالة آثار العدوان الاسرائيلي كل التأييد .

«واستطيع أن أؤكد لكم ان المسلمين في يوغوسلافيا على أتم استعداد للتطوع للجهاد (2) في سبيل تحرير فلسطين وتحرير الاماكن المقدسة التي احتلها الصهاينة فهم يعتبرون كارثة فلسطين اعظم الكوارث التي اصابت الاسلام والمسلمين على مر التاريخ . وهم يعتبرون هذه الكارثة عارا لحق بجميع المسلمين ، عاراً لا يجوز بحال من الأحوال تحمله والصبر عليه .

ان الكثيرين من مسلمي يوغوسلافيا ، وانا معهم لا يفهمون كيف انهزم العرب والمسلمون في هذه الحرب .. وكيف سمحت البلاد العربية بهذه الكارثة؟ هل كان ينقص العرب العدد والعدة حتى ينتصر العدو عليهم .. لا أظن ..

(1) رسالته للملك حسين .

(2) إذن فالبشر ليست خاوية .. بل الرؤوس ..

ان المسألة في نظري ليست مسألة المدافع والدبابات ، ولا مسألة الصواريخ والطائرات ، انما هي مسألة العقيدة والإيمان والثقة . ان المسلمين تركوا الفكر الاسلامي ، وتمسكوا بالفكر الغربي واعجبوا به وجرى معظمهم وراء الافكار الدخيلة عليهم والمستوردة من الغرب فقل ايمانهم بعقيدتهم وبأوطانهم .

ان [1] حل هذه القضية في العودة والرجوع الى الدين الحنيف والى تعاليم الاسلام وتقاليده ، ان كل مشاكل المسلمين لا تحل إلا بالعودة الى حظيرة الاسلام ، والى التمسك بتقاليد الدين والعقيدة بدون ذلك لن نحصل على حلول ناجعة لمشاكلنا وقضايانا » [2]

نؤكد أن السيد « حسن جوزو » ليس لاجئاً ، بل رئيس الوفد اليوغوسلافي الرسمي !

بأي منطق تنشر صحفنا ، خبث الانتكاسي هذا في السخرية من الذين ينادون بالالتزام بأوامر الله لكي ننتصر ، وتنشر أيضاً نفس صحفنا وبكل جدية ودون تعليق قول بن جوريون :

« ان على اسرائيل أن تتمسك بمبادىء انبياء العبرانيين القدامى » .

« اسرائيل ستحقق وجودها عندما تصبح « كسارية على رأس جبل » بالنسبة الى امم العالم ناقلا هذا القول عن نبيه المفضل اشعيا » [3] .

بل وتنقل وكالات الانباء العالمية تصريحاته بكل اهتمام عن التمسك بمبادىء الانبياء .. بل وتضيف من ارشيفها ان اشعيا هو نبي بن جوريون المفضـــل !

---

(١) ابتداء من هذه الفقرة نشرتها المجلة بحروف سوداء .
(٢) المصور ، القاهرة ١٩٦٨/١٠/٤ .
(٣) صحف ١٩٦٨/١٠/١٠ .

هل الدكتور يرجح بن جوريون في ثقافة العصر ؟ .. أو هل لم يطلع بن جوريون على هذه المراجع التي يرصها الانتكاسي في مؤخرة كتابه ؟ .. فلماذا يؤمن بن جوريون بانبيائه .. وينتصر .. ويكفر الدكتور وينهزم ؟ ! .

لماذا يؤمن بن جوريون بالأنبياء العبرانيين ، ويدعونا الانتكاسي للكفر بالنبي العربي ؟! الا اذا كان ذلك ضمن مخطط إبادة الوجود العربي ، واحلال الوجود العبري محله ؟

لماذا لا يفضي ايمان بن جوريون بضرورة التزام اليهود بتعاليم الانبياء ، لماذا لا يفضي ذلك الى هزيمة اسرائيل ، ولا يثير سخرية المنتصرين هناك ، المنتصرون بأحدث ما وصل إليه العلم المادي .. بينما يكون من حظنا نحن أن نُرزأ بعلمانية الذين لايعرفون حتى قيادة سيارةولكنهم يسخرون من منهزمين ، يحاولون تلمس النجاة بالعودة الى تعاليم نبيهم ؟ !

ينقل الانتكاسي عن شيوخه ، دي كولانج عن سميلسير عن كولمان عن هودجكين عن هولت عن باربير عن نيبهور .. الخ انهم قالوا«إن الدين يلازم التخلف » .. ونحن لا يلزمنا هذا الرأي .. ونحن لا نعرف في تاريخنا عصراً تقدمنا فيه ، الا عصراً كنا متدينين فيه .. وما تخلفنا الا يوم تخلينا عن ديننا ..

يوم كنا متدينين ، كنا نأخذ من اليهود الجزية ، عن يد وهم صاغرين . ويوم تقدمنا وظهر عندنا أمثال الانتكاسي ، صرنا نشبه بالهنود الحمر .. بل الهنود الحمر أفضل ، فقد فنوا على ظهور الخيل .. ونحن نتصايح من الاذاعات : « أنا بخير .. طمنونا عنكم » كأننا أطفال ضعنا في المعرض أو مدينة الملاهي ، أو بلهاء فقدوا يوم المولد !

٢

الانتكاسي يرى أن التخلف مرادف للتدين ، والتقدم يتطلب الكفر والالحاد ، حتى ليستطيع أن يضع جدولا كالجداول الرياضية .. يكفي أن تحدد درجة تدين الدولة لكي يعطيك درجة تخلفها ! ..

فهو يدعي أنه « من الممكن أن نرسم خريطة لهذه البلدان تصل بينها وبين هذه الأطوار ، فتكشف لنا ان أكثر هذه البلدان تخلفاً من اثيوبيا ، الى السعودية ، إلى تايلاند ، هي البلدان التي لا تزال في الطور الأول أو الثاني ، أي في طور لا يزال يعتمد على الايدلوجية الغيبية كقاعدة للدولة والمجتمع .. وان أقوى هذه البلدان وأعزها هي تلك التي دخلت الطور الرابع وفي طليعتها روسيا والصين وكوبا . الشيء نفسه يطالعنا في خريطة لأوروبا الغربية . فأكثر البلدان تخلفاً عن الطور الحضاري الحديث ، هي تلك التي لا تزال تعتمد الايدلوجية الغيبية التي لا زمت وجودها التقليدي . أي اسبانيا والبرتغال . الشيء ذاته يتكرر في خريطة القارة الأمريكية . فالجزء المتخلف فيها هو الجزء الجنوبي اللاتيني الذي لا يزال يعيش في جلباب تلك الايدلوجية »

ان هذه الخريطة المضللة لا تستند الى أي اساس علمي ، بل هي محاولة بائسة لاخفاء دور الاستعمار ، فالزعم بان أمريكا اللاتينية متخلفة بالنسبة

لأمريكا وكندا ، بسبب تمسك الأولى بالدين [1] .. اخفاء لدور الاستعمار الأمريكي في افقار هذه البلاد .. وليس ثمة من يزعم ان كوبا باتستا ، ماخور المليونيرات الامريكيين ، كانت دولة دينية .. ومن ثم كانت متخلفة . فلما ألحدت على يد كاسترو بدأت تتقدم .. لا .. انها ايام باتستا كانت تدار لحساب الاستعمار الأمريكي ، ثم هي اليوم تحاول أن تتحرر من قبضة امريكا ، دون أن تقع في مخالب روسيا ..

ويجرب الانتكاسي جدوله على الدول العربية ، فيقرر أنه «بقدر ما يزيد قرب القطر أو النظام السياسي من الدين ، بقدر ما تزيد رجعيته جحودة ، تنكره للأمة العربية ، وتحولاتها الثورية . أي في الأقطار التي تعمل باسم الدين ، تتخذ الدين قاعدة لها ، تبرر نفسها به ، وتدعو الى نقاء ديني . السعودية كانت أكثر هذه الأقطار دعوة بالرجوع إلى الدين وتنقيته ، ولكنها أكثرها رجعية وتآمراً وجحوداً . أكثر الأقطار العربية تعنتاً في اتخاذ الدين أساساً للدولة كان اليمن قبل الثورة . ولكن اليمن كانت أكثر الاقطار العربية امتهاناً لكرامة الفرد ، وأكثرها تأخراً وجحوداً .

---

(١) الدكتور وقد درس علم النفس بمدارسه العديدة ، لا شك انه يقرنا على أن فلتات اللسان ، أو فلتات القلم ، تكشف أحياناً كل العبارات المنمقة التي نحاول أن نستر بها أفكارنا . وقد وردت في الصفحة ٥٧ هذه اللفظة الفاضحة ، فإن تكن زلة لسان من الدكتور ، فهي دليل على حقيقة الهدف الذي يسعى اليه .. وان تكن زلة من العامل الذي جمع الكتاب والذي صححه ، فهي تعكس أيضاً ما هي الفكرة التي يخرج بها قارئ الكتاب . هذا بافتراض ان اللفظة خاطئة ، فرغم كل ما قرأناه ، لا نصدق انه يقول : « فلو بلغت ذات المفكر العربي ذلك الصعيد النقي من الثورية المتكاملة الذي يذوب فيه بالقضية ، ويندمج فيها بكل كيانه ، لاستطاع المفكر الذي يتصدى لمعالجتها أن يكون مبدعاً وخلاقاً فينتج **الكفر** الكبير الذي لا يموت .. »

لا أمل يا دكتور !.. ما من كفر لا يموت .. انه مناقض لديالكتيك الحياة .. الموقف السلبي من طبيعته الفناء .. الايمان هو الذي لا يموت ، أما الكفر فهو سريع الفناء ..

اعترف أنها قفشة .. ولا أتمسك بها ..

فلول ذلك النظام الديني هم الآن حربة في يد الاستعمار مصوبة إلى صدر الأمة العربية. قائدموقف التعاون والمصالحة والاعتراف بالأمر الواقع مع اسرائيل في الأرض المحتلة ، هو الجعبري من كبار رجال الدين في تلك الأرض .. وهكذا دواليك ! .. »[1]

معذور الدكتور ! .. ان من يريد محاربة الاسلام لابد له أن يهوي إلى الدرك الأسفل من التزييف والتزوير وما أشد بؤس الثوار ان كان كل مـــن يعاديهم في العالم العربي هم فلول النظام الديني .. البدر وجماعته ، هم الحربة الموجهة إلى صدر الأمة العربية ؟! . أي نصر أعظم من هذا لجبهة أعداء الدين ؟!. اذن ما سر خيبتكم المنقطعة النظير ؟.. اعترفوا اذن أن جبهة المتدينين الأقل عدداً وعدة أقوى منكم بسبب تدينها ..

كرامة الفرد ؟ .. أقلم مخلص ذلك الذي يزعم ان يمن الامام أحمد كانت أكثر الاقطار العربية امتهاناً لكرامة الفرد ؟ ..

لا .. الفرد لم يكن يمتهن في اليمن .. ربما الشعب .. ربما الأمة .. اما الفرد فلا .. وهي حقيقة يعجز امثال الدكتور عن فهمها .. ان الحكم المطلق العربي مهما بلغ من تخلفه لا يمتهن كرامة الفرد.. أما الذي امتهن كرامة الفرد حقاً فهو الحكم العسكري .. ان الفرد العربي لم تمتهن كرامته كفرد في أحلك عصور الاستعمار كما امتهنت على يد العسكر .. .

كرامتنا كأمة كرامتنا كشعوب كانت تمتهن في ظل الاستعمار .. امـــا كرامة الفرد ، فلم يصل امتهانها ابداً الى الحد الذي وصلت اليه على يد الثوار العقائديين ، انهم هم الذين اخترعوا التعليق في المراوح الكهربائية ، وهتك أعراض الفتيات بل وأعراض الذكور من أعضاء التنظيمات المخالفة .. هم الذين اخترعوا انتزاع الاعتراف بهتك العرض ، واغتصاب البنات والأمهات

---

(١) ص ١٩٣ .

أمام عيون المواطن المعارض .. هم الذين ادخلوا الطلبة والعمال .. وأئمة المساجد بل حتى الشيوخ في السجون الحربية ! ..

هم الذين جعلوا لقمة العيش رهينة بارادة ورضاء العسكر .. هم الذين استذلوا كرامة المواطن بالتلصص على تليفوناته ، وتصويره في أخص أوقاته .. هم الذين خلقوا ارستقراطية عسكرية ، تفهم في كل شيء ورأيها هو الحق وهو الصواب وهو الحكمة في كل شيء ولها حق السيادة الذي لا ينازع في كل مجال ..

الملحق العسكري فوق السفير .. العقيد يفهم في الصحافة .. أفضل من الذين قرأ لهم ولم يفهم وهو في الكلية الحربية ، أو قرأ أبوه لهم ، ولم يحسن تفهيمه .. يفهمون في الهندسة ، في الطب ، في الموسيقى .. لهم وحدهم حق ممارسة الوطنية ..

كرامة الفرد ؟! !

هل الاعدام أو السجن يزري بكرامة الفرد ؟ .. اذن لما عرف التاريخ بطلا ولا شهيداً .. وهل يصنع الأبطال الا السجن ، واعواد المشانق ؟! .. لا .. الذي يزري بكرامة الفرد .. هو ذلك الأسلوب الوحشي الذي ظهر في عصر محاكم التفتيش ، وتخلصت منه البشرية بالدم .. ليعود من جديد على يد الشيوعيين .. اسلوب اعدام الضمير .. اعدام الايمان ، قبل اعدام الجسد .. قتل روح الاستشهاد .. قبل قتل الجسد .. وهو الأسلوب الذي نقله النازيون عن الشيوعيين ، ونقله الثوار في الوطن العربي عن النازية والشيوعية ، مطوراً ، متأقلماً بما في تخلفنا ..

اقنعه انه خاطىء ، لا شهيد .. وأن معذبيه يخلصون روحه أو شرفه الثوري .. اقنعه انه يموت جزاءاً وفاقاً على ايمانه بالباطل ، وعلى يد مشفقين عليه ، وليس دفاعاً عن الحق ..

هذا الأسلوب الذي منحنا الأشباح التي تقدم في المحاكمات وامام عدسات التليفزيون ، تعترف على نفسها وعلى أقرب المقربين اليها ، وتعلن ندمها وتوبتها باقتناع حقيقي ، قد سُحقت كل خصائص الانسانية فيها ، وتم ترويضها ، بشيء يسمونه التعذيب .. لعجز اللغة عن مجاراة الخسة الوحشية للذين يبشرون بانسان العالم الجديد .. (١)

لا تتحدثوا عن كرامة الفرد .. بل اسمعوا رأي البيطار الكبير ، ولا شك أنه أخبر بما جرى ويجري هناك في الدول المعادية للدين .. اسمعوا كلماته :

« ان نظام حكم القطريين ينظر الى الفرد كبهيمة ، وإلى المجموع كقطيع ،

---

(١) كان الشيوعيون في العراق ، يعلقون القوميين في مراوح السجن ، بعد ضرب وكي بالنار لا مجال لوصفه . ثم يبدأ أحدهم يذيع بالميكروفون محاضرة عن المضمون الإنساني لظهور البروليتاريا تاريخياً ... وكانت المحاضرة أنكى من النار المشتعلة في الجسم الحي ...

وفي مؤسسة الكرامة الفردية التي كان يديرها حمزة البسيوني مدير السجن الحربي في مصر حيث كان العهد البائد عهد (عامر – بدران) يدافع عن كرامة الفرد ، روى لي شاب انضم للاخوان في سن السادسة عشر ، واعتقل سنة ١٩٥٤ مدة شهر ، ثم افرج عنه .. وتحول بعد ذلك إلى ناصري متعصب . ولكن كما قـال الرئيس في بيانه أمام المؤتمر القومي .. كان القبض في سنة ١٩٦٤ « على ودنه » أي كل من ورد اسمه ولو مرة .. ولكنه لم يعذب . لأسباب عديدة .. روى لي ظاهرة غريبة استلفتت نظره ، فقد لاحظ ان المعتقلين الذين عذبوا على يد جلادين ، تعذيباً يفوق أي تصور يخطر بعقل سفاح أو وغد .. وبحقد حقيقي من جانب الجلادين .. الضباط والعسكر .. وهو وحده ظاهرة تحتاج لدراسة في علم كرامة الفرد ..

المهم انه لما بدأت عمليات التصفية ، وتبين أن بعض المعتقلين لاصلة لهم حتى بالإسلام كدين ، فضلا عن التشكيل السري لجمعية إسلامية .. كان أبشع ما لاحظه صاحبنا ، أن المعتقلين المفرج عنهم ، يحرصون قبل مغادرة السجن ، وبدون أن يطالبهم أحد بذلك ، يحرصون على معانقة جلاديهم ، الذين عذبوهم بالذات ... بحب حقيقي ، وامتنـان .. ويشكرونهم دون أية ذرة من نفاق !.. وكان لديه من الوعي – لأنه لم يعذب – ما جعله يلاحظ أن هذا هو التردي إلى ما دون خط الآدمية .. أن يتحول الحقد إلى حب .. أن تفنى في قاتلك .. أن تعجز حتى عن أن تحقد .. بل ان الحيوانات تتمايز بهذه القدرة على الحقد على من يسيء اليها ...

وكان كل ليلة يقسم انه مهما حدث ، فلن يسقط في هذه الهاوية أبداً .. وأحمد الله ان الظروف لم تمتحن قسمه إذ لم يعذب .. وإلا لخسرنا شاباً من أنبل الشباب .

وإلى الناس بروح التمييز المدمر ، التمييز الطائفي والعنصري والعشائري والحزبي ..ان المواطن يعيش في ظل الخوف الدائم والارهاب الأسود من اجهزة المباحث والمخابرات والدولة التي جعلت كل همها مكافحة الشعب .. انه غير آمن في بيته وغير مطمئن على ملكه ورزقه وحياته . ثم انه مراقب أبشع مراقبة في حركاته وسكناته ، محاسب على همس الشفاه ، وعلى الرسائل والهاتف . معرض لأن يختطف من بيته ويستل من بين أفراد أسرته ويساق لجهة مجهولة ، الى السجون والاقبية الرهيبة ليسام سوء العذاب ويعرض لأشد أنواع التعذيب والاضطهاد .. ان التعذيب والامتهان والاذلال والقتل هو اجراء روتيني عند محترفي هذه المهنة في أجهزة المباحث والمخابرات . ان حرية الدين والعقيدة والضمير ، وحرية التفكير والتعبير هي مجرد كلمات لا معنى لها ولا وجود لها في قاموس نظام حكم القطريين »[1]

هذا هو حكم اللادينيين .. اما الحلقة المفرغة : الرجعية هي التدين .. اذن أكثر الدول تديناً هي أكثر الدول رجعية ، فهي حلقة مفرغة نرفض أن ندور فيها .. عرفوا لنا ما هي التقدمية وما هي الرجعية .. حتى يمكن أن نقيس مدى رجعية الدولة وتقدمها ؟

هل هي بعدد الكباريهات ؟

هل هي بعدد الضباط الذين يشغلون مناصب سياسية ويتولون ادارة الشركات والبنوك ؟ ..

هل هي بعدد الأحزاب في الدولة .. وكلنا — والحمد لله — نحرم الحزبية على غيرنا .. ؟

هل هي بوجود مجالس نيابية ؟! الأمر سيان .. بل من الناحية الشكلية ،

---

(١) بيان صلاح البيطار ضد بقية حكم البعث في دمشق .

فإن أطول المجالس النيابية عمراً ، وأقربها إلى الانتخابات ، لا نجدها في الدول حاملة صفة التقدمية ..

هل هي في حرية الصحافة ؟ .. الدول التقدمية هي التي تعيش في ظل رقابة دائمة .. ودستور مؤقت !

هل هي في المقدرة العسكرية ؟ .. الدول الرجعية لم تُمتحن بعد ..

على الأقل فإن قوات المتخلفين الملكيين لا يقبلون وقف اطلاق النار منذ ست سنوات ، بينما الدول التقدمية يؤكد كتابها ان اسرائيل لا تقوى على الحرب أكثر من أسبوع ومع ذلك ، لا يصبرون على حربها ثمانية أيام ! .. بل يقبلون وقف اطلاق النار دائماً قبل اليوم السادس ! !

أما حكاية الجعبري هذه التي يعلن سماحة الدكتور أنه « من كبار رجال الدين في تلك الأرض ! » فهو إحدى النفايات التي نجدها في تاريخ كل الأمم .. ونسبته إلى الاسلام وخلع صفة « من كبار رجال الدين عليه » مجرد خدمة يتطوع بها الدكتور لصالح اسرائيل التي يهمها طبعاً أن تصدق الجماهير ان الجعبري يمت للدين بصلة ، فضلا عن أن يكون من كبار رجال الدين كي يستطيع خدمة أهدافها .. وفي كل عصر ، وكل مكان ، كان هناك منتسبون للدين ، وملاحدة ، يخدمون الاستعمار .

والجعبري أو غيره مجرد خائن لا وزن له ولا قيمة ، ولا يمثل تياراً .. ولا يمكن لشريف أن يزعم أنه يصدر في موقفه هذا عن معتقداته الدينية .. ولكن الحزب الانقلابي ، الذي يؤمن بالتعاون والمصالحة والاعتراف ، هو الحزب الشيوعي ، لم يمنعه إلحاده من ذلك .. بل هو يعلن ويقره كل الماركسيين أنه يصدر في موقفه هذا عن معتقداته الماركسية ..

ونحن على استعداد لاستصدار فتوى من أي هيئة دينية تظن أنك ستحرجها حتى من الإمام البدر ، باحلال دم الجعبري وخروجه عن الدين ، وتطليق

زوجته ، ومنعه من وراثة المسلمين .. فهل لديك الجرأة لتحكم بخروج الحزب الشيوعي الاسرائيلي عن الماركسية ؟ وهل تستطيع أن توصي الأشقاء في الأحزاب الماركسية باصدار استنكار لموقفه ؟! ..

ولماذا يغفل موقف الشيخ السايح .. بل موقف أبي الثورة الفلسطينيـــة الشيخ عز الدين القسام ؟ .. اليس هؤلاء من رجال الدين ؟ ..

٣

وآفة هذه الكتب التي تجتر المراجع الأجنبية ، هي تناقض فصولها والعجز عن توحيد نوعية ما تستشهد به .. فقد خضنا حتى الآن في أوزار الفكر الانقلابي الغربي الذي يجعل التقدم مرتبطاً بالتخلي عن الدين ، الى حد وضع جدول للمتخلفين والمتقدمين ، تتناسب درجاتهم فيه طردياً مع كفرهم بالله والأديان !

ورغم ذلك يفاجئنا باعلان تدين ملايين الناس في أوروبا وأمريكا الشديدي التمدين ..

يقول (١) : « في مطلع الخمسينات رأى البابا ثلاث مرات وهو يقوم بنزهته اليومية في حدائق الفاتيكان ، أن الشمس تترك مكانها وتقترب من الأرض كي تدمرها ، ولكن مريم « العذراء » كانت كل مرة تتدخل في الوقت المناسب وترجع الشمس إلى مكانها .. ان ملايين الأفراد لم يكذبوا ذلك ، ولم يروا في الأمر تصوراً خيالياً ، بل عجيبة .. وهذا يحدث في النصف الثاني من القرن العشرين ليس لقروي في آسيا (٢) .. بل لرئيس الكنيسة الكاثوليكية ، ليس لملايين من المجتمع البدائي ، بل لملايين يسكنون أوروبا

(١) ص ١٤١ ، سمعت ان هؤلاء الدكاترة يطلبون من تلاميذهم اعداد الفصول والاقتباس من المراجع .. ومن هنا يأتي التناقض ..

(٢) باعتبار ان آسيا سقط رأس الانتكاسي الفاضل هي وحدها التي لا غرابة في تخلفها .

وأمريكا ، ليس في عصور ما قبل التاريخ ، بل في أكثر العصور تقدماً علمياً ، عصر الذرة والمراكب الفضائية . ولكن هذا لا يعني ان تلك العقلية تتميز بفاعلية ما في تحديد اتجاه هذا القرن أو تطور العقل فيه ، فهي قد خسرت ذلك في الواقع ، منذ قرنين على الأقل »

لماذا إذن ألف كتابه ؟ .. وهب أنه قد شرع فيه قبل أن يصل إلى هذا الاقتباس ، اما كان يجدر به عندما وصل أن يكف .. فالرجوع الى الحق فضيلة .. أليس ملخص كتابه كله ، أنه لا يمكن أن نبني مجتمعاً ثورياً علمانياً يقوم على العقل .. الا بالكفر بالدين .. وأن طابور الجنس البشري تقف فيه الأمم بترتيب تقدمها في الالحاد ؟ .. فالأكثر بعداً عن الدين ، في المقدمة ، علما وحضارة ورفاهية..والأكثر تخلفاً ووحشية هو الأكثر تمسكاً بالدين ؟[1] ..

الا ينتقض الكتاب كله بهذه الحادثة التي يرويها : رئيس الكنيسة الكاثوليكية ، على ما هو عليه ، في علمه وثقافته ، يرى معجزة تتعلق بصميم قوانين الكون .. ليس مجرد شفاء مريض ، أو ضوء يظهر .. أو حتى قيام ميت من قبره .. بل اختلال في حركة دوران الأرض حول الشمس يجعلها تقترب من الشمس .. مع كل ما يترتب على ذلك من خلل في قوانين الجاذبية والمغناطيسية والضغط والحرارة .. وحركة القمر حول الأرض .. الخ .. ثم تتدخل العذراء وتمنع ذلك ثلاث مرات ، سواء بدفع الشمس إلى العودة إلى مكانها ، أو اعادة الأرض الى مدارها البيضاوي .. مرة وأخرى وثالثة ..

ملايين الأفراد .. في عصر الذرة والمراكب الفضائية .. وأين ؟ في ذات

---

(١) وفقاً لهذا الترتيب كان لا بد أن تأتي اسرائيل بعد نيام نيام .. لأنها كما يعرفها المدير العام لمركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية : « اسرائيل من الدول القليلة جداً في عالمنا المعاصر التي تربط كيانها السياسي بالدين ، وتجعل من الدين أساساً لوجودها . ولم يلعب الدين دوراً في التمهيد لقيام ثم في قيام دولة معاصرة بمثل الدور الذي لعبه في قيام اسرائيل .. » .
(أنيس صايغ)

البلاد التي تفجر الذرة ، وتستخدم الذرة ، وتصنع مراكب الفضاء وتطلقها وتركبها ..

اذن فالإيمان بالمعجزة التي تتعارض مع كل المعلومات المعروفة عن قوانين الفضاء منذ قدماء المصريين ، لم تمنع صنع مركبة فضاء تقوم على المام دقيق بكل قوانين الفضاء ؟! هل لمس الدكتور أي تأثير ضار لهذا الإيمان الغيبي على التقدم الذري وصناعات عصر الفضاء في أوروبا وأمريكا ؟!

أليس العامل الإيطالي في مصنع سيارات فيات .. أو المهندس الأمريكي الكاثوليكي في قاعدة « كيب كندي » للصواريخ ومركبات الفضاء ، أكثر دقة وعلمانية ، والتزاماً بقوانين وحركة المادة من الدكتور نديم البيطار على سعة الحاده وغزارة كفره !

كيف لم يفطن الانتكاسي على كثرة المراجع التي يضعها في الصفحات الأخيرة من كتبه الى ان هذه الازدواجية هي صفة الانسان منذ اللحظة الأولى التي واجه فيها الكون مواجهة واعية بذاته المنفصلة . فإيمان الانسان بالعالم الآخر أو ما يسمى بالغيبيات لم يمنع الانسان أبداً من مواجهة هذا الكون المادي بما تحتمه قوانين المادة .

والاديان عموماً قبل الإسلام ، قد اقتصر دورها على خلق الحافز الانساني لدى المؤمن بها .. فاحساسه بأنه ، دون سائر الكائنات ، هو وحده المسؤول عن تصرفاته .. وان حياته هذه ليست الا جسراً أو امتحاناً ، أو مقدمة لحياة قد تكون أهم وأعظم وأخلد ، ولكن مصيره فيها رهين بسلوكه في الحياة الدنيا .. وأنه يشارك الكون في خلوده ويتميز بوعيه .. هذا الايمان كان دافعاً لا يمكن نكرانه في تنمية حوافز التقدم وتهذيب السلوك .. ولكنه لم ينعكس أبداً في شكل صدوف عن الحياة ، وبصفة عامة ، تصل الى حد التعميم المطلق ، يمكن القول إنه ما من دين قد دفع معتنقيه إلى تجاهل قوانين المادة ، وتعريض

حياتهم للخطر أو مشاريعهم للفشل .

فالفرعون كان يؤمن حقاً أنه إله ، ورعيته يؤمنون بذلك وربما اعداؤه أيضاً .. ولكن لم يعرف التاريخ ، فرعوناً ، على قدر من البلاهة الى حد تعريض نفسه لسيوف الأعداء او خناجرهم .. ولم يتردد أكثر من فرعون في اغتيال اقاربه وخصومه الآلهة بنفس الوسائل التي تسلب الحياة من البشر العاديين .. ولا تردد أكثر من فرد من الرعية في تدبيرمؤامرة لاغتيال الاله فرعون.. ولم يخامر الفرعون ، ولا المتآمرون ، الشك في تأثير السم والاسلحة في اجسادهم الالهية ..

ورغم كل إيمان « امحوتب » بألوهية زوسر ، وايمان زوسر الذي يصفه « ول ديورانت » بأنه تلوح في عينيه نظرة يقين واطمئنان لألوهيته لا تُرى في عين فرعون آخر بعده .. رغم ذلك كان امحوتب ملتزماً بكل قواعد الرياضة والهندسة ، وقوانين رفع الأجسام الثقيلة في بناء قبر زوسر ، ولم يلجأ إلى أي معجزة أو سحر أو أسطورة . وإلا لدك الهرم فوق عنقه .. وان ترك المجال لألف أسطورة تنسج حوله وحول عبقريته ومصدرها . ولا جدال في أن ايمان الفلاحين المصريين بدين زوسر كان الحافز خلف كل هذا الابداع الفني الذي انتجوه ، وكل التطور العلمي الذي حققوه في ميدان فهم الانسان لقوانين المادة وسيطرته عليها ..

فالدين بصفة عامة هو عامل تقدم ، وحافز لارتقاء الانسان .. اما بالنسبة للاسلام فهو يشكل عقلية المؤمن به على اساس المنهاج العلمي القائم على الأدلة العقلية وحدها .. وينمي ملكة النقد في الانسان .. فالعقلية العلمية عقلية اسلامية ، والاسلام يفتح لعقل الانسان آفاقاً تتجاوز ما تتيحه أي ايدلوجية أخرى .. ليس فقط لأنه لا يقيم منطقة حرام ، لا يجوز للعقل البشري أن يقتحمها ، بل انه ليحض على التفكير ، ويعطي المنهاج العلمي الذي يمكن من التجربة

والخطأ ومن ثم العلم ..

ان جمود وتحجر قيادات الأحزاب الشيوعية ، اليوم ، تكشف كيف أن الماركسية شأنها شأن أي نظرية حاولت تفسير الكون والانسان سرعان ما يصيبها ، ما يصيب الانسان ومادة الكون من التجمد .. فالفساد والانحلال .. بينما لا نعدم في أحلك عصور التخلف ، رؤية اشراق الفكر الاسلامي في عقل عملاق .. مما يؤكد خلود هذه القيم التي تعبر عن نفسها .. على مر العصور والأجيال في شكل حلول عبقرية وفهم متجدد لقوانين الكون وضروراته .. تؤكد صلاحيته لكل زمان ومكان ..

وهو يرى أن الايدلوجيات الغيبية اصبحت ، جانبية ، هامشية ، تعمل خارج مجرى التاريخ ..

آمنا بالله .. فلماذا تشغل بالكم ، وتبذلون كل هذا الجهد لمحاربتها ؟ هل انتهينا من الأساسي ، وطهرنا المجرى العام ، حتى نبذل كل هذا الجهد في محاربة وتنقية الهامش !

ان قوله هذا من باب كلمة الحق التي يراد بها الباطل ، فالدول العربية عموماً ، والثورية أساساً ، جعلت الدين على هامش الحياة ، فهو لا يدخل في سلوكها السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي ، وهي تقيم السلطة وتمارسها على أسس لا تمت للاسلام بصلة ، بل وتتناقض بصفة اساسية مع تعاليمه .. هذا صحيح .. ولكن الوجود الحقيقي للشعوب العربية مرتبط بالاسلام ، ورغم كل القوى التي تحارب الاسلام ، فإن اعداء الأمة العربية ما زال يساورهم الرعب من امكانية بعث اسلامي .. يقول جب :

« ان الحركات الاسلامية تتطور بسرعة مذهلة تدعو الى الدهشة .. فهي تنفجر انفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبين المراقبون من اماراتها ما يدعوهم الى الاستر ابة في أمرها .. فالحركات الاسلامية لا ينقصها الا وجود الزعامة ،

لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين جديد »[1] ..

أعداء الأمة العربية يعرفون بمنهجهم العلمي ، انه بالاسلام وحده يمكن ان يتحقق بعث حضاري للعرب .. وان وجود واستمرار العرب يكمن في وجود واستمرار رسالتهم الحضارية أي الاسلام ، لذلك يبذلون كل جهد ممكن للقضاء على الاسلام توصلا للقضاء على العرب ..

من هنا كان اهتمامهم بمحاربة الاسلام ، رغم تخلي الحكومات والمؤسسات الرسمية عنه ، رغم ابتعاد الجماهير في سلوكها وحياتها عن المنهاج الاسلامي .. فإن اعداء العرب يدركون أنه ما دامت الجماهير لم تتخل واعية عن دينها ، فإن امكانية ظهور حركة تدعوها الى الاعتزاز به ، والالتزام بمنهجه .. هذه الامكانية تظل كامنة تحمل مخاطر الانفجار في أية لحظة ..

ورغم هامشية دور الأديان .. فان الانتكاسي يحذرنا« ان نغفل دور الايدلوجية الغيبية التي تسود ذلك الوجود . فهذه الايدلوجية تحدد تركيب العائلة وطبيعتها ، القيم والسلطة التي تسودها ، تركيب العلاقات الاجتماعية . والملكية والارث ، الشرائع ، والنظم السياسية ، القوانين الشخصية والعامة ، المفاهيم العقلية والاخلاقية ، والدولة والسلطة ، والنظام الاجتماعي ، كلها تعبر عن تلك الايدلوجية وتشكل صوتاً لها » [2]

ونحن نعرف ابعاد ذلك المخطط الذي يعمل منذ سنوات ، ضد الاسلام ، وكيف انه قد ركز كل قواه ، على تجريد المسلمين من عنصر التفوق في نظام الأسرة .. ونعرف كل هذه الجعجعة الصليبية حول تعدد الزوجات والطلاق والميراث .. ولم تعد هذه الأصوات تشغل بالنا ، والعالم المتمدين يحاول الآن الاقتراب من النظام الاسلامي في الاحوال الشخصية كما يسمونها .. ولا نعتقد

---

(١) Whither Islam

(٢) ص ١٢٠ .

أن نظام الميراث في الاسلام مسؤول عن النكسة .. فالذين وضعوا الطائرات على المدرجات ، والذين امروا باخلاء جولان .. من الرجال ، أي يرثون مثل حظ الأنثيين ، فليس لهم حجة ، وهم أيضاً يتمتعون بحق تعدد الزوجات .. ما تأثير نظام العائلة والميراث على نكسة حزيران (يونية) ١٩٦٧ ونكسة اكتوبر ١٩٥٦ ، ونكسة ١٩٤٨ ... اما من انتكاسي يكلف خاطره ويشرح لنا أوجه الاتلاف التي يسببها نظام الأسرة لجهازنا العسكري والسياسي ، والاجتماعي ؟ .. الا تحكم الايدلوجية الغيبية نظام الزواج في اسرائيل .. حتى لقد رفضوا الاعتراف بيهودية حفيدة بن جوريون شخصياً ! .. وأقر برلمانهم ان اليهودي هو ابن اليهودية ! ..

اما القول بأن الشرائع والنظم السياسية والقانونية العامة والمجتمع والدولة والسلطة والنظام الاجتماعي كلها تعبر عن الايدلوجية الاسلامية فماذا ترانا نقول فيه ؟ .. هل القوانين والمجتمع والدولة والسلطة والنظام الاجتماعي في مصر وسوريا والعراق تعبر عن الايدلوجية الاسلامية ؟ .. كيف .. ومنذ متى .. وفي أي شيء ؟! .

احترنا والله مع البخراء من أين نقبلها ؟ .. ان كان النظام الثوري في مصر وسوريا والعراق يعبر عن الايدلوجية الاسلامية ، اذن فهي ايدلوجية ثورية .. فلماذا الهجوم عليها .. وان كانت ايدلوجية رجعية اذن فهذه النظم رجعية ؟ .. وان كانت ثورية ، أي المجتمعات ، لأنها خرجت عن الايدلوجية الاسلامية ، وبنت نظماً جديدة ، فكيف اذن تعبر عن الايدلوجية الاسلامية ؟ ..

هل اباحة الزنا برضا الطرفين ، بل وبرضاء الطرف الثالث ، وهو الزوج ! يعبر عن الايدلوجية الاسلامية ؟! هل النظام المصرفي من الاسلام ؟ هل اباحة اللواط للبالغين من الاسلام [1] ؟ .. هل اعلانات الويسكي من الاسلام ؟ ..

---

(١) من علامات الجهل ، وخداع النفس العجيب الذي تمارسه الصحافة العربية ضد قرائهـا ، تلك

انا أقول هذه القضايا لكي لا أدخل في نقاش، فهي من الحرفيات التي لا خلاف على تعارضها مع الاسلام ، ويمكن أن نكتب المجلدات في مخالفة الانقلابات العسكرية للاسلام ، في مخالفة الملكية الوراثية ، والجمهورية الأبدية، للاسلام ..

كيف يمكن أن يزعم باحث علمي أن النظم القائمة في الدول العربية الانقلابية المنكوسة تنبع من الايدلوجية الاسلامية ؟ ! .

والانتكاسي مفتون بالحاد الغرب (إن صح ذلك) آسف لأننا « نأخذ من الحضارة الغربية أدواتها ووسائلها التطبيقية .. ولكن دون أن يرافق ذلك ما رافقها في أرضية الغرب من عقلية علمية علمانية جديدة كانت نتيجة اشكال تمرد هي في الواقع أجمل اشكال التمرد في التاريخ ، حررت الانسان من الأوهام والأساطير والمفاهيم الغيبية في تحديد وجوده »[1] .

قد سئمنا سماع هذه الاكذوبة منذ كرومر .. الاكذوبة المضللة التي تزعم اننا أخذنا أدوات ووسائل الحضارة الغربية التطبيقية ، ورفضنا العقلية .. أبداً .. لقد فعلنا العكس .. ان جميع المفاهيم التي تصورنا انها تشكل العقلية الغربية ، استوردناها واستعملناها ، ولكننا لم تستورد المنهاج والتطبيق ، أو

= المقالات والبحوث والتعليقات حول ما يسمونه قانون إباحة الشذوذ الجنسي في بريطانيا . وحقيقة القانون البريطاني ، هو عدم معاقبة البالغين الذين يمارسون الشذوذ الجنسي برغبتهم . يعني ان القانون الانجليزي كان يعاقبهم حتى السنوات الأخيرة ، عندما عرض القانون وصاحبته كل هذه الضجة ، اعتبره البعض من مظاهر التحرر والنظرة الجديدة للجنس واحترام الحرية الشخصية ... الخ ، واعتبره البعض الدليل الذي لا يدحض على نهاية الحضارة الغربية .. ولاحظ أن ذلك القانون يصدر بعد انهيار الامبراطورية وتخلي الانجليز عن دورهم العالمي .. ورغم ذلك انبرى كتابنا يعلقون ، وبعضهم حمد الله اننا لم نصل إلى هذا المستوى !..

المضحك المبكي أن هذا القانون الذي يسن في بريطانيا سنة ١٩٦٧ باباحة الشذوذ الجنسي فوق سن الحادية والعشرين ، موجود ومعمول به في مصر منذ أكثر من نصف قرن .. فمن الاصلاحات القانونية التي نفذها الانجليز في بلادنا لتمديننا ، انهم أسقطوا العقوبة عن الشذوذ الجنسي عن البالغين سن الثامنة عشر وحرموه في بلادهم !..

(١) ص ١٢٥ .

ما يسمى بالتكنولوجيا..ليس استيراد السيارة يعني اننا نأخذ الوسائل التطبيقية، فالقردة والكلاب تركب السيارات .. ولكن صنع السيارة ، هو الذي يعني استيراد التكنولوجيا ، تماماً كما فعلت اليابان ، رفضت الايدلوجية الغربية ، ونبشت في تراث أسلافها ، وعبدت امبراطورها ، واستمرت تلبس الكومونو .. وأصرت على نظام العائلة الياباني ، واستمرت الزوجة تخلع حذاء الزوج ، ويحيون بعضهم بالانحناء الذي يثير ضحك الآخرين.. ثم نقلوا حرفياً تكنيك وتكنولوجيا الغرب ..

اما نحن هنا ، في المجتمعات المتفسخة المنهارة ، فقد استوردنا البدلة ونظام الزواج ، والزنا والسكر والقمار والربا .. ومفكرين من هذا الطراز .. حتّى في العادات فنحن نحتفل بكريسماس الغرب ، لا بمولد النبي ولا حتّى بكريسماس الشرقيين !

ولأننا استوردنا الايدلوجية ، فقد عجزنا عن اقتباس العلم والصناعة ، لأن من يستورد الايدلوجية ، يكتفي باستيراد السلع الاستهلاكية ويبني الفنادق التي ينزل فيها موردو الافكار .. ويظن انها دلائل التقدم ، ويفتح الجامعات يدرس فيها تفوق عدوه ، وانهيار حضارته ، فلا تخرّج الا متطلعين للعمل في الغرب ، أو لحساب الغرب ..

ما من أمة في التاريخ ، استطاعت تحقيق حضارتها من خلال اعتناق ايدلوجية خصمها .. قد تكون ثورات الغرب هي اجمل اشكال التمرد .. ولكنها تغدو أقبح اشكال العبودية ، اذا ما قمنا باقتباسها لحضارتنا ، أو حاولنا أن نخرج بواسطتها من تخلفنا ..

اضربوا لنا مثلا واحداً عن حضارة ظهرت من خلال اعتناق ايدلوجية خصمها ..

٤

وبكل عين بجحة ، رفعت برقع الحياء ، كما يقول المصريون .. يتحدى الانتكاسي أن يفقأ عيوننا بهذه الحقائق :

١ — ان جميع الحركات السياسية الدينية التي قامت باسم الدين كانت حركات رجعية ، قصدها الأول تجميد أي تحول اجتماعي حضاري . فمن الوهابيين والمهديين والسنوسيين والادريسيين ، الى الاخوان المسلمين ، الخ.. كلها كانت حركات رجعية ، كلها هاجمت الأتراك في الواقع ليس حباً بحرية أو استقلال ، بل لأن « العثمانيين » خرجوا في رأيها عن الدين لأنهم أخذوا يقتبسون طرق الغرب »[١] .

وهذه الملاحظات منقولة من أرشيف وزارة المستعمرات في بريطانيا وايطاليا ..

هذه الحركات المهدية والسنوسية رجعية عندهم لأنها كانت شكل المقاومة ضد الغزو الاستعماري .. وبمنطق الدكتور فإن القوى التي ضربت هذهالحركات الرجعية كانت تقدمية ! وقوات الملكة فيكتوريا كانت تنجز عملا تقدمياً رائعاً وهي تنبش القبور ، وتقطع رأس « الرجعي » محمد أحمد المهدي (رضي

(١) ص ١٩٢ .

الله عنه) وترسلها إلى المتحف البريطاني ، حتّى لا يتجمد التحول الاجتماعي الحضاري ! ..

اذن كانت ايطاليا تقدمية وموسوليني انقلابي عندما كان يبيد السنوسيين ويلقيهم من الطائرات !

من أين يأتينا هذا الخبث ، وكيف يجرؤ بعضهم على التطاول على أشرف الحركات الوطنية في تاريخنا العربي .. المهدية والسنوسية .. ثم على الحركة الثورية العربية الوحيدة التي أنجزت نصراً يستحق الاعتزاز به .. الثورة الوهابية

كيف بعد أن طويت صفحة الاستعمار في بلادنا وتحرر وتعلم العرب يجرؤ بعضهم على تزييف التاريخ وتشويه تضحيات الأبطال الذين حاربوا ضد القدر .. وقفوا ضد الغزو الامبراطوري ، في عصر التفوق المطلق للامبريالية . لكنهم وقفوا بشموخ ، وقاتلوا بندية وماتوا ابطالا .. ليأتي خلف بئس الخلف يتهمهم بالرجعية ..

هل كانت الوهابية حركة رجعية .. « لم تقاتل حباً بالحرية والاستقلال بل لأن العثمانيين خرجوا في رأيها عن الدين ... » .

لا أريد أن أقول إنه مزور عريق .. فالاحرى أنه لا يفهم ما يكتب عنه وهذا هو أرق تفسير ، اذ لا يعقل ان ماركسياً ، يزعم انه درس الماركسية ويطورها لنا ، ويدعونا اليها ، يحكم على حركة أو ثورة مما ترفعه من شعارات ينسى قول الماركسية .. انه كما لا يجوز الحكم على الشخص من اسمه ، فكذلك لا يجوز الحكم على حركة ما بما ترفعه من شعارات . ان اتهام الأتراك بالخروج على الدين ، هو الشعار الوحيد الذي يمكن تحته قيادة حركة استقلالية عربية ضد السلطة العثمانية . ان الوهابية كانت أول وربما آخر ثورة عربية حقيقية حتّى الآن.. و«الياس مرقص» أكثر فهماً للماركسية، وفهماً لتاريخ أمته عندما يقول : « إن الحركة الوهابية قامت في قلب الجزيرة العربية ، وأعلنت العود

الى اسلام العصر الأول .. وهو « اسلام عربي » ، وعبرت عن ايدلوجية جزء من المجتمع العربي ضد ايدلوجيا الحكم التركي : الصوفية .. الطرق .. والكهنوت .. وأثرت على المصلحين في البلاد العربية المتقدمة »[1] .

ويبدو أن هذا الفصل قد كتب في حالة فقدان الوزن .. فهو حافل بالقرارات والمسلمات التي لا أصل لها ، ولا دليل عليها .. يقول : « جميع الانتصارات التي أحرزتها الأمة العربية ضد الاستعمار ، جميع التحولات الحضارية التي حققتها ، كانت باسم القومية العربية ، وليس باسم الدين . جميع المعارك التي خاضتها باسم الدين كانت فاشلة »[2] ..

سيقول القارىء .. أمثل هذا يُبذل جهد أي جهد في الرد عليه ؟! وأحسبني قد أجبت على هذا السؤال ، في البداية ، نحن نرد على فكر النكسة كله ، الذي حشده الدكتور في كتابه هذا .. والا لما توقفنا عند مثل هذه الفقرة الكاذبة جملة وتفصيلا ..

قل لنا ايها الانتكاسي اسم معركة واحدة منتصرة خضناها باسم القومية العربية .. قل لنا تحولا حضارياً ، حققناه باسم القومية العربية ، وليس باسم الدين ؟ ..

جميع المعارك التي خاضتها هذه الأمة باسم الدين .. كانت فاشلة ! .. هل نعددها ؟..

بدر .. أحد .. الخندق .. مكة .. القادسية .. اليرموك .. بابليون .. الاسكندرية .. فتح افريقيا .. الأندلس .. فتح آسيا .. حطين .. فتح القسطنطينية .. حصار فينا ..

كلها فاشلة ..

---

(١) راجع ما كتبناه عن الثورة الوهابية في كتابنا « القومية والغزو الفكري » .

(٢) ص ٢٩٣ .

اما انتصاراتنا باسم القومية العربية فحدث ولا حرج :

ثورة لورنس .. الذي اراد أن يحرر العرب بسبب آلامه النفسية لشذوذه ! وسلمت سوريا ولبنان لفرنسا .. والعراق والاردن للانجليز .. وفلسطين لليهود ..

معركة ١٩٤٨ .. وانتصاراتها .. ولكن معذرة هذه لا تحسب ، فقد شنتها الرجعية ! ..

اذن النصر الخالد في معركة ١٩٥٦ ..

معركة الوحدة التي انتهت بنسف كل الآمال في الوحدة وربما حتى يفني الجيل القومي ؟ .. هل كان العــرب على ما هم عليه اليــوم من انقسام ونزاع واختلاف وتدعيم وترسيخ للكيانات ؟!

انتصارات القومية العربية في اليمن ؟ .. حتى هذه البائسة لا تريد أن تنتصر .. فما زلنا نسمع عن هزيمة المتسللين عند حدود صنعاء بعد ست سنوات!

ام معركة يونيه ؟! ..

اين ؟ .. متى ؟ .. كيف ؟ .. أم نعود إلى مهاترات الشوارع التي اضاعت استقلالنا وأذلتنا امام جيش الاذلاء .. فنتحدث عن انتصارنا ضد حلف بغداد والحلف الاسلامي ومشروع ايزنهاور ؟ .. هل نعود من جديد لحرب الطواحين ، والانتصار بالمذياع والميكروفونات ؟! .

لماذا يزيف هؤلاء التاريخ ؟ .. ان ماركس عندما صنع نظريته التي تفسر تاريخ أوروبا الغربية ، بدأ باستقراء هذا التاريخ ثم محاولة وضع نظرية تفسر الوقائع التي وجدها فعلا في هذا التاريخ .. أما هؤلاء فعندما جاءوا « بمرض الافرنجي » ووجدوه لا يتفق وما جرى في تاريخنا .. حاولوا تعديل التاريخ ، ليتفق ونظرياتهم .. وليس وضع تحليل يتفق وما جرى في التاريخ ..

لذلك يزعم بوقاحة « تفقأ العين » حقاً ، ان كل انتصاراتنا كانت باسم

القومية العربية ، واننا لم نخض معركة واحدة باسم الدين وانتصرنا فيها .. يا للجرأة .. ! ولا حتى تلك التي أدخلت أسلافك في الاسلام ، وأورثت بعضهم كل هذا الحقد ؟ ! ..

انه يتحدى أي فرد أن يقول له عن حركة سياسية دينية اسلامية ، كانت ، أو مسيحية ، أو بوذية ، أو هندوسية ، قامت في آسيا تدعو الى الثورة الاجتماعية [1] » ..

كل الحركات الاسلامية الوطنية التي قامت في آسيا وافريقيا ، دعت الى ثورة اجتماعية ..

على أن نضع في اعتبارنا ، انه لم تقم إلى الآن ، الحركة الاسلامية الكاملة والمرجوة .. كما يمكن القول أيضاً انه لم تقم الى الآن في بلد اسلامي في افريقيا وآسيا حركة سياسية اشتراكية أو قومية دعت فضلا عن أن تكون قد حققت برنامج ثورة اجتماعية ..

ان عوامل القهر الاستعماري والتآمر على كل صوت اسلامي ، خنقت الكثير من الحركات الاسلامية في مهدها ، أو صرعتها في لحظة تحولها الى حركة جماهيرية قادرة على استنباط برنامج الثورة الاجتماعية ، من تفاعلها مع الجماهير ، واصطدامها بتكوينات مجتمعها ، فمثل هذه الحركات يستحيل عليها أن تستورد برنامجاً معداً معلباً من الخارج ، يكتبه حفنة من المثقفين في المهجر ، ثم يعلنون تكوين الحزب ! ..

ان المرء يستطيع بمجرد قراءة كتاب ، أن يعلن انه ماركسي ، ثم يدعو راغبي الشراء الى الالتقاء به ، والماركسية ماركة عالمية مشهورة ، مجربة ، ومقاساتها ستاندرد وآل سيز .. فما عليك الا أن تقرر الشراء ، فيقدم لك ما يناسبك ..

(١) ص ١٩٤ ما السر وراء استثنائه اليهودية من هذا الحصر الشامل !

اما الوضع بالنسبة لحركة اسلامية فهو جد مختلف.. فلا حلول جاهزة .. والبداية الطبيعية ، هي وجود مسلمين ، راغبين في انقاذ بلادهم من هاوية التخلف والتبعية .. ثم قدرتهم على فهم الاسلام ، والايمان بأنه وحده القادر على تشكيل مستقبل بلادهم .. ثم قدرتهم على أن يصيغوا أبعاد الحل الاجتماعي والسياسي على هدي مبادىء الاسلام .. أي الرد على تحديات الزمان والمكان ، بأجوبة من العقيدة الصالحة لكل زمان ومكان ..

وكلما تجمع عدد من هؤلاء المسلمين ، وبدأوا محاولة الفهم ، فتكت بهم شرطة العدو الصليبي .. والحكم العميل ..

صحيح أن ذلك الموقف متوقع وطبيعي .. وما من مسلم يقول ان ذلك يشكل عذراً للتخلي عن المهمة .. ولكنه يكشف طبيعة المهمة والصعاب التي لم يقدرها أصحاب الدعوات الاسلامية حق قدرها في البداية ، وهم يحاولون محاولة تُعد جديدة تماماً ، ضد أكاذيب وتشويش وغزو فكري مستقر منذ قرون ، استطاع أن يعيد تشكيل العقول على نحو فاسد .. ثم ضد أجهزة متفوقة الى غير حد ..

واذا كانت الحركات الاسلامية ما زالت ماضية في طريقها ، فما عذر الحركات الماركسية في تعثرها وفشلها ، حيث نجحت في أكثر من بلد ، ولكنها تفشل فشلا مزرياً في البلاد الاسلامية ؟ لماذا .. الا نستطيع أن نستنتج من ذلك ، انها عاجزة عن الوجود في مناخ اسلامي .. وان هذه المحاولات التي تحاول ان تلغي الاسلام ، لكي يمكن لهذه الحركات أن توجد ، تثير الرثاء حقاً .. فهي بحاجة الى الماركسية لكي تقضي على الاسلام ، وهي بحاجة الى القضاء على الاسلام لكي توجد الماركسية !! وكل ما ستحققه هو اضعاف مقاومة البلاد الاسلامية امام الغازي غير الشيوعي .. أو التوسع السوفيتي والصيني الذي لا ينشر الشيوعية بل يمد الحدود السوفيتية أو الصينية ..

ان قانون : جميع تحركاتنا الدينية ، رجعية وفاشلة وجميع انتصاراتنا لا تتم الا خارج الاسلام .. هذا القانون يتعرض لامتهان شديد في مواجهة أعظم انتصارات العصر : الثورة الجزائرية .. لذلك لا بد من البحث عن تفسير يجرد الثورة الجزائرية من اسلامها ، لكي يستقيم منطق تجريد الاسلام من ثوريته ..

والدكتور لا يقدم جديداً .. نفس التيار والآراء والمنطق الذي ناقشناه منذ ٤ سنوات قبل صدور كتاب الدكتور عندما قلت [١] « هذه المفاهيم التي عاشت خلال نصف قرن تبشر بأنه لا ثورية الا بنفي الاسلام ، ومحاربة الاسلام .. ثم فاجأتهم أعظم ثورات العصر بروحها الاسلامية الكاملة .. فراحوا يعتذرون لثورة الجزائر ! مقسمين بأغلظ الايمان ، انها ظاهرة جزائرية ، سببها رعونة الفرنسيين .. وانها لا تصلح للنقل ولا للتطبيق .. ولا داعي للمغالاة في أهمية هذا الحدث الذي يرجى زواله باذن الله ! .. وهكذا أثبتوا انهم ليسوا فقط عاجزين عن الاكتشاف ، بل عاجزون حتى عن التعلم .. »

هذا ما قلناه من أربع سنوات .. فهل يتعلم الدكتور .. أبداً .. يروح يفتش عن سبب غير الاسلام أحدث ثورة الجزائر فلا يجد الا المذلة ! ..

« فالامتهان والذل الذي سببته شراسة الاستعمار الفرنسي ، استطاعت أن تولد — في قناعتي — في الجماهير العربية هناك شكلا من الحقد النبيل العارم الجامع ضد المستعمر » [٢] .

فأمكن بذلك ، وبسبب هذه الحالة الاستثنائية انجاز ثورة بدون خلع الاسلام ..

حالة شاذة ! .. ولو انها الحالة الوحيدة الناجحة في تاريخنا الحديث .. الثورة الكاملة ، والتي بدأت من نقطة الصفر لتحقق النصر الكامل ، فقبل

(١) الغزو الفكري . الطبعة الأولى ١٩٦٤ .
(٢) ص ٢٢٦ .

١٩٥٤ كان اشد المتطرفين والمتفائلين من الثوريين العزب لا يفكر في احتمال استقلال الجزائر وعودتها عربية ، ولكن الاسلام فعل .. وبدلا من أن تفقأ عيونهم هذه الحقيقة ، نرا م يفتشون عن سبب ، فلا يجدون الا المهانة والذل ..

عظيم ! .. ألم ينزل بكم اليهود قدراً كافياً من المهانة والذل ؟ ..

ألا ترى في صلاة اليهود في مساجدك بالأحذية واجبارهم غير اليهود على خلع غطاء الرأس مهانة وذلا ؟! .. الا ترى في الاعتداء على اعراض العربيات ، واعلان ٢ مليون ضم اراضي ٤٠ مليون مهانة وذلا ؟! .

الا ترى المهانة في اعلان اسرائيل ان توازن القوى يكون لصالحها ، طالما ان نسبة الطائرات عند العرب لا تتخطى ٤ طائرات عربية لكل طائرة اسرائيلية!

لماذا لم تولد هذه المهانة ثورة ، بنجاح وشموخ ونبل ثورة الجزائر ؟

الدكتور لا يفوته البحث عن جواب ، ويجده في الزعم بأن جماهير فلسطين جُمدت وهي التي كان يمكنها مباشرة هذا الحشد بشكله الخلاق ..

وهو تفسير مضحك .. اذ ليس هناك من يستطيع تجميد ثورة .. الثورات تُضرب وُتحارب وحتى تُسحق .. ولكنها لا تجُمد... الثوار لا يحتاجون الى ترخيص بالعمل من أجل تحرير أوطانهم ، ورفض الذل والمهانة .. الذي حدث ان جماهير فلسطين ، والجماهير العربية كلها ، فالمهانة والذل لم يكونا من نصيب الفلسطينيين وحدهم ، بل من نصيبنا نحن أساساً ، نحن الدول المستقلة الثورية التقدمية ، التي تنفق أعلى نسبة في العالم من ميزانيتها على التسليح .. ماذا يملك الفلسطينيون حتى تكون الهزيمة مهانة ومذلة لهم .. ؟!.

ولكن الجماهير العربية عجزت عن مواجهة التحدي الصهيوني لأنها ضُللت عن مصدر القوة الحقيقية،بعثرت قواها في متاهات لا تفضي الى أي نمو حقيقي ، ولا تخلق روح الاستشهاد ، ولا تطلق طاقات الجماهير ..

ان كل الشعارات التي طرحت أو جربت للخروج من المذلة والمهانة ، أدت إلى زيادة هذه المذلة ومضاعفة المهانة ، لأنها فضلا عن عجزها عن

اطلاق طاقات الأمة الاسلامية ، فقد دمرت امكانيات هذه الأمة بتوجيهها الى التناحر الداخلي أو تبديدها في المغامرات ..

هذا هو الفارق .. لأن الفجور الصهيوني ، لا يقل عن الشراسة الفرنسية ان لم يفقها ، ولكن الفارق في القيادات العربية هنا وهناك .. الفارق بين بن باديس والبشير الابراهيمي وجماعة العلماء .. وبين الماركسيين والبعثيين والجورجيين .. الذين حصروا همهم في تحويل الحقد على الصهيونية الى حقد على الاسلام ، وبدلا من الدعوة الى ثورة ذات روح اسلامية ضد الفحش الصهيوني ... ارادوها ثورة ذات ادعاءات ماركسية ضد الاسلام وضد العرب .. اما عرب فلسطين فما أن اكتشفوا حقيقة القيادات الضالة ، وكشفت لهم مواقف الخنوع من تحويل مجرى نهر الأردن ، ثم الهزيمة المذلة في ٥ يونيه .. ما أن كشفت لهم الهزيمة ، ان هذه القيادات غير قادرة الا على كبت شعوبها وتضليل جماهيرها ، وأنها ترتعد رعباً من مجرد فكرة مواجهة اليهود ، حتى هبت تنفض عن شرفها عار الاستكانة وذل الصهيونية .. ولا نريد أن نفتح باباً للجدل عن الحديث عن الروح الاسلامية في أشرف هذه التنظيمات وأقواها ولا في الروح الاسلامية التي آمنت بهم وساندتهم الى حد ما .. وقت ان كان الثوار يكيلون لهم الاتهامات ، وكان أهم ما يركزون عليه في هجومهم وأبشع مآخذهم هي هذه الروح الإسلامية المعروفة في عناصرهم ..

لا داعي لذهاب الحديث الى معاقل الفدائيين الشرفاء .. فلنبق مع فكر النكسة .. يكفي أن أكبر التنظيمات الفدائية ، هي تلك التي ترفض المنهاج الماركسي ، ترفض الصراع الطبقي في هذه المرحلة ،وتُبذل محاولات محمومة لاقناعها به ، أو لتسريبه اليها ..

٥

ويستشهد الانتكاسي بقول مأثور من جيل مارتينه : « ان الاطار الديني في البلدان الاسلامية ، هو أيضاً الاطار الاجتماعي ، وان هذا الاطار لا يزال جزءاً من القرون الوسطى ، لا يتلاءم مع نمط التنمية الاقتصادية والعمل في مجتمع حديث » .

ومارتينه هذا يرى ان الحركات الثورية اليسارية قد خسرت المعركة لأنها لم تخاصم الاسلام ، وينصحها بأن « الحركة لا يمكن ان تسود الا ما تخاصمه وهذا النقد لم يتوفر أبداً فيما يتعلق بالاسلام » ..

وهكذا في الوقت الذي نخسر فيه السيادة على القدس ، وتيران ، وسيناء والجولان .. لا يُحزن الانتكاسي الا عدم السيادة على الاسلام !.. الا يكفينا مخاصمة اليهود والانجليز والأمريكان ؟ .. لا .. لا بد من مخاصمة الاسلام !

وأزمة الفكر العربي في اعتقاد الانتكاسي ، ترجع الى انه لم يتحرر كما يجب من الايدلوجية الدينية ، وانه لا يهاجم الدين بضراوة كافية وجهاراً نهاراً .. فهم .. (يقصد المفكرين الثوريين) : « تكلموا دائماً بشكل شعارات ، ودائماً بالتلميح ، والصوت الخافت غير المباشر ، انهم يكتبون ، وكأنهم يخافون ويحذرون بهلع شديد » .

وهو قول ينطوي كما ترى على نكران وجحود لجهد جيل من المخربين

الانتكاسيين ، سبقوه على الدرب ، منذ انطون فرح ، الى مقالة « جيش الشعب » السورية ، عشية غزو الجيش المسمى على اسم نبي من التوراة ، لأرض ثلاث دول عربية ..

وبدون أدنى انتقاص لجهود الانتكاسي ، وجرأته في مهاجمة الله والرسل، والاديان ، ودعوته السافرة للقضاء على الاسلام .. كي نصبح مجتمعاً انقلابياً.. فلا شك ان الرفاق كانوا أشجع وأصرح وأوضح ، فهو على أية حال ثائر زائر ، واستاذ مقيم ما بين وشنطن وأوتاوا .. اما « البواسل » ابطال دمشق فهم قد أعلنوا رأيهم ، واقترحوا تحويل الله سبحانه وتعالى [1] الى المتحف ، حتى يفسحوا مكانه للانسان العربي الجديد الذي سلم المرتفعات لليهود يمحون منها اسم الله .. الرفاق السوريون ، قالوها هنا في قلب دمشق ، وبقوا .. فضلا عن جهودهم التي لا يمكن انكارها في ضرب المساجد بالمدفعية ، ودكها فوق المصلين والرجعيين الذين احتموا بها من اجل الدفاع عن « الدمى المحنطة » ، و « الوجود العربي التقليدي » .

اذن فهو نكران وجحود ان يقال ان هؤلاء قد همسوا بها ولم يجهروا .. لا بل قيلت بكل فجور وبأعلى صوت ممكن .. فهل خلقوا فكراً ثورياً ؟ .

ومن الذي قال إن جوهر الفكر الثوري هو محاربة الاديان ؟ انه على طول وكثرة ما استشهد من اقوال ائمة الكفر في التاريخ كله .. لم يجد نصاً واحداً للنين أو ستالين أو ماو يعرف فيه الفكر الثوري بأنه هو الذي يكرس نفسه لمحاربة الدين .. بل المعروف ان لنين نصح اعضاء الحزب المراهقين ، بأن يكفوا عن مهاجمة الدين قائلا : ان الشيوعيين ، وان كانوا لا يؤمنون بدين

---

(١) « ان الله والأديان والاقطاع والرأسمال المتخمين وكل القيم التي سادت المجتمع ، ليست إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ .. » (جيش الشعب السورية ١٩٦٧/٤/٢٥)

الا انهم ليسوا جمعية الحادية ، ينصب جل اهتمامهم على مكافحة الدين .

لأن « لنين » رغم عدائه للدين ، كان حريصاً على نجاح ثورته .. فكان لا بد له من الاحتفاظ بولاء الجماهير التي اثبت التاريخ انها لم تتخل قط عن ايمانها .. ومحاربة الدين في الدولة السوفيتية وبعد أن استقر الأمر للشيوعيين يرجع لأسباب عديدة ، يعنينا منها الآن ، انها كانت موجهة اساساً ضد الاسلام في الولايات الاسلامية ، حيث الامتداد الامبراطوري لروسيا .. وحيث كان الاسلام هو الرابط التاريخي لهذه الولايات ، وصلتها الروحية والثقافية والتاريخية بالعالم الاسلامي وأيضاً مركز الثقل والاطار التاريخي لمقاومة هذه الشعوب للسيطرة الروسية ، فكان على السوفيت أن يدمروا الاسلام ، لكي يتم لهم ضم هذه الولايات .. ولا شك ان حكماً ملحداً ، أقدر على محاربة الاسلام ، تحت ستار العلمية وخدمة مصالح الروسيا المقدسة ، من حكم يرفع أعلام الكنيسة الروسية ..

ان الثوري الحقيقي لا يمكن أن يخوض حرباً ضد الدين ، فهذا شأن المبشرين ، ولقد حاولت عشرات البعثات التبشيرية ، ومنها الكثير من كندا وامريكا ، اخراج المسلمين ، بل وحتى المسيحيين من كنائسهم الوطنية الى كنائس تدار من أمريكا وكندا ، فلما فشلوا ، اكتفوا باخراجنا من الدين كمرحلة أولى ..

الدعوة ا الالحادية في بلادنا ليست ثورية ، ولا لخدمة ثورة .. فالذي يريد كسب الجماهير لا يبدأ عمله بالاصطدام بمعتقداتها التي لا تقبل النقاش ، فالجماهير غير مستعدة لقبول وتفهم ديالكتيك النكبة ، ولا يمكن أن تسير خلف حزب يرفع شعار : « الدين أفيون » ! وجل جهد الأحزاب الشيوعية الثورية ، هو تكوين قيادة ملحدة ، اما على المستوى الجماهيري ، فإن لنين صرح بأنه من الممكن أن ينضم قسيس الى الحزب الشيوعي ، أي مؤمن بالله ،

ما دام يوافق على البرنامج واللائحة ولا يباشر نشاطاً تبشيرياً داخل الحزب .

ولا جدال في الحاد الشيوعية ، ولا جدال في انها قد شنت حرب ابادة ضد الاسلام ، بالذات في مستعمراتها الاسلامية .. ولكني اركز هنا على نقطة بالغة الأهمية هي التمييز بين الأحزاب الشيوعية وبين حملة راية الماركسية في بلادنا وهو الفرق بين الأصيل والعميل.. فهناك يشكل الحزب الشيوعي، تطوراً نابعاً من ظروف ومكونات المجتمع الروسي أو الصيني .. هدفه الأول هو تحقيق الانقلاب في روسيا أو الصين .. من هنا فهو يمتاز بخصائص التشكيل الثوري الطبيعي الذي يعبر عن مصالح البلد ، ويعكس الخطوط الأساسية للقومية الروسية أو الصينية ، ومصالحها الخالدة ، ويعتز بتراثه ، ويكفي أن نقول باختصار، إن الشيوعية الروسية، والشيوعية الصينية ، كانتا الفلسفة التي عبرت عن المصالح القومية لروسيا والصين ، والتي حققت انطلاق قوى هذه القوميات ، ودخولها عصر الصناعة ..

اما الاحزاب الشيوعية في بلادنا وحملة مرض الافرنجي الماركسي الينا ، فكانوا في الحقيقة يمثلون امتداداً للنفوذ الأجنبي ، يعكسون العمالة والتخريب .. فالحركة الشيوعية في المشرق العربي لم تخرج أبداً عن كونها تنظيمات بدأهـــا اليهود بمخطط واضح ، اثبته كل الدلائل بعد ذلك ، وهو انشاء حركات تعمل لحساب اسرائيل ، بتخريب الحركات الوطنية ، بحرف انظار القوى الثورية بعيداً عن قضية فلسطين .. بطرح شعارات معادية للحرب ضد الصهيونية ، بالترويج علانية لتقسيم فلسطين ..

ثم أدى تطور هذه الحركات ودخول عدد من الشبان العرب الى صفوفها بتأثير الوضع الثوري في المنطقة .. ثم بنمو الوعي العربي من خلال التحدي الاسرائيلي وبفضل ما قامت به التشكيلات غير الماركسية من توعية بخطورة التحدي الاسرائيلي ، واختفاء الأسماء اليهودية ، الى حد كبير من التنظيمات

الشيوعية ، واضطرار هذه التنظيمات تحت تأثير كل هذه العوامل الى الانغماس في السياسة الداخلية في بلادها .. كل ذلك أفضى الى ظهور ما يشبه البرامج الاصلاحية لهذه التنظيمات .. ولكن بحكم منشأها الصهيوني ، وبحكم المدار الذي وضعت فيه وهو التبعية المطلقة للاتحاد السوفيتي ، وبحكم عجزها عن الارتباط الحقيقي بالجماهير ، ظلت هذه التنظيمات مجرد امتدادات لتشكيلات أجنبية ، ولم تصبح أبداً التعبير الصادق عن الثورة العربية ، ومن هنا كانت هذه الاهتمامات التي لا تخدم الثورة العربية ولا حتى المصلحة الحزبية لهذه التشكيلات بقدر ما تخدم القوى المعادية الأجنبية .. ومن هذه الاهتمامات محاربة الاسلام ..

ونفس الشيء بالنسبة للأحزاب الشيوعية في المغرب العربي ، فهي لم تكن أكثر من امتداد للنفوذ الفرنسي او الاستعمار الفرنسي الجديد المتمثل في الحزب الشيوعي الفرنسي ..

يروي المهدي بن بركة في مذكراته [1] :

(١٩٥٢) اكتوبر – كوادر حزب الاستقلال في النقابات العمالية س. ج. ت يُنتخبون مكان المسيرين الفرنسيين الشيوعيين فيثير ذلك سخط الاقامة العامة الفرنسية !!

(وعلامتي التعجب من وضع المهدي بن بركه ، وأغلب الظن أنه كان يضعهما للقارىء في المشرق ، لأنه وقراء المغرب كانوا يعرفون من خبرتهم انه لا عجب ..)

فالاقامة العامة الفرنسية ، أي الاحتلال ، كان يعتبر الشيوعيين الفرنسيين جزءاً من النظام الفرنسي ، وكان يفضل طبعاً رغم كل ما تبديه الحكومة

---

(١) الاختيار الثوري في المغرب ، ص ١٦٩/١٧٢ .

الفرنسية او الدولة الفرنسية من مقاومة للشيوعية ، يفضل استمرار الشيوعيين الفرنسيين في قيادة النقابات العمالية ، عن انتخاب مراكشيين ..

يعزز ذلك ما يقوله المهدي بن بركه في :

(١٩٤٥) ١١ يناير : «فرع الحزب الشيوعي الفرنسي يعارض فكرة الاستقلال»

فالأحزاب الشيوعية في المغرب ، تماماً كالاحزاب الشيوعية في المشرق ، التي كان دورها الرئيسي هو تخريب المقاومة ضد الاستعمار الصهيوني .. هذه المقاومة التي تشكل لب الحركة الوطنية ، وجوهر الثورة في المشرق العربي .. كذلك فان الاحزاب الشيوعية في المغرب ، بدورها ، رفضت الثورة ضد فرنسا !

حيث لا ثوري ولا ثورية في المشرق العربي ، الا خلال مواجهة الغزو الاسرائيلي ، ولا ثوري في المغرب العربي الا ضد الاستعمار الفرنسي .. ولكن لأن هذه التشكيلات ، كانت هنا مجرد اداة للغزو الصهيوني ، وكانت هناك مجرد امتداد للحزب الشيوعي الفرنسي ، الذي أصبح بدوره منذ ظهور النازية جزءاً من النظام الفرنسي العام .. فإن هذه التشكيلات قامت بدورها ضد الثورة العربية في المشرق والمغرب . وكان حكم التاريخ عليها قاسياً .. واذا كان حكمه بالفناء قد نُفذ في المغرب ، فذلك لأن الشعوب ، وهي السلطة التنفيذية دائماً في تنفيذ أحكام التاريخ ، قد مارست في المغرب حريتها في العمل ، بنجاح ثورتها ، فلما اقتلعت الأصل ، اختفى الظل .. اما عندنا فرغم فضيحتها في قضية فلسطين ، ورغم حكم التاريخ عليها بالفناء .. لترديها في أكثر المواقف خيانة ، ورغم انعزالها عن الجماهير ، ووجودهـا باستمرار خـارج كل التحركات الوطنية والجماهيرية فانها ما زالت موجودة ، لسبب بسيط وحاسم ، وهو أن الثورة العربية هنا لم تحقق انتصارها بعد ، ولأن الأصل البغيض ،

اسرائيل ، ما زال يلقي ظله الكئيب على وجه السياسة العربية في شكل حركات شيوعية وماركسية .

هذا هو لب القضية .. لماذا كان الماركسيون عندنا اعداء لأهداف امتهم .. ولماذا هم في روسيا والصين على رأس المقاومة الوطنية والحركات التحررية ..

لو ظهر عندنا ماركسي شريف ، لانتهى مسلماً .. وهو ما حدث في الجزائر ..

اما هؤلاء الذين يحملون ميكروب الماركسية ، فهم يعجزون حتى عن قراءة النص الذي يقتبسونه !

ينقل عن ستالين : « من اولى ظواهر تاريخ روسيا القديمة ، كانت تلك الضربات والمهانات التي عانتها لتأخرها لتخلفها . لقد غُلبت على أمرها وامتُهنت امام البكوات الاتراك ، لقد غُلبت على أمرها امام أمراء أسوج الاقطاعيين ، لقد غلبت على أمرها أمام بارونات اليابان ، ان الجميع غلبوها بسبب تخلفها العسكري ، تخلفها الثقافي ، تخلفها السياسي ، تخلفها الصناعي ، وتخلفها الزراعي .. انها غُلبت علي أمرها لأن ذلك كان نافعاً للغالبين وكان من الممكن التغلب عليها دون عقاب . لهذا يجب ان لا نتخلف أبداً بعد الآن .. اننا نتأخر خمسين أو مائة عام عن البلدان المتقدمة ، ويجب أن نتجاوز هذه المسافة في عشر سنوات ، فإما ان نحقق ذلك ، واما ان نسحق من تلك البلدان »[1]

لنقرأه مرة ثانية .. ولنفتش فيه .. هل هناك اية اشارة الى الدين ؟ .. هل قال ستالين ، لقد هُزمنا لأن روسيا كانت متدينة ، ولا بد ان تلحد روسيا خلال السنوات العشر القادمة ؟ كي نتخلص من تهديد السحق من قبل تلك البلدان ؟ .

---

(١) بحروفه نقلا عن ص ١٦٥/١٦٤ من كتاب الدكتور الذي نقله عن مشاكل اللينينية لستالين ص ٣٥٦ .

نقرأه مرة ثالثة :

ستالين ممثل القومية الروسية المخلص ، وابن روسيا البكر وصانع مجدها!![1] يفترسه الألم والغضب لهزائم روسيا القيصرية امام البكوات الاتراك ، وامراء أسوج ، وبارونات اليابان .. لم يشمت بروسيا القيصرية لهذه الهزائم .. ولا قال انها لا تعنيه .. لأن تاريخ روسيا يبدأ من ثورة ١٩١٧ .. فما ينكر اصله الا البغل .. وما عرفنا أمماً تبدأ تاريخها من ثورة او انقلاب عسكري ، الا على يد اللقطاء ..

وستالين يذكر الروس انهم هزموا عبر التاريخ بسبب تخلف روسيا .. وهو يعدد مظاهر هذا التخلف على سبيل الحصر ، في التخلف العسكري ، التخلف الثقافي ، التخلف السياسي . التخلف الصناعي . التخلف الزراعي .. وأظن انه ما كان يعجزه أن يضيف « بسبب تديننا ! » ولا كان ستالين يخاف.

ولكن الدكتور تقع عينه على التخلف الثقافي وهو لا يعرف من الثقافة الا الدين .. فينهال علينا تقريعاً .. ستالين يحذر من التخلف الديني ولذلك حارب الدين .. واصبحت روسيا دولة كبرى لأنها حاربت الدين ..

ستالين يقول ان روسيا متخلفة عن أوروبا مائة أو خمسين سنة .. في ماذا ؟ .. في درجة انتمائها للدين ؟ .. المفروض ان روسيا (لو كان قياس التقدم هو معاداة الدين) تكون قد سبقت البلدان المتقدمة بألف عام ، فهي كانت دولة معادية للدين، فلسفتها الرسمية ، هي الماركسية المعادية للدين ، تقوم حكومتها بمطاردة الاديان ، بينما فرنسا وبريطانيا وامريكا وايطاليا والمانيا تعج بالكنائس ، وبها ملايين المؤمنين ورغم كل ما يقال عن فصل الدين عن

---

(١) قال لنين : « من المعلوم ان أفراد القوميات الأخرى الذين تروسوا يغالون في نمط التفكير الروسي .. »
وستالين هو خير نموذج لهذا التروس .

الدولة ، فإن التقاليد الدينية تحترم ، وهذه البلاد بالذات أكثر بلدان العالم اهتماماً بالتبشير ، وازدهارا للجمعيات التبشيرية ..

وهل يا ترى عندما يقول ستالين انه لا بد من أن تحقق روسيا في عشر سنوات ما سبقتها اليه الدول المتقدمة بمسافة مائة سنة .. هل كان يقصد ثورة دينية ؟

اي ضياع يدفعون بلادهم اليه ، عندما يصور متقممي الماركسية التقـدم مجرد إلحاد..ومعاداة للاسلام!..ستالين يعلم الروس انه لا بد من القضاء على التخلف ، العسكري والثقافي والسياسي والصناعي والزراعي .. ولا بد من أن يلهث المجتمع الروسي ، ويساق بالعصا والسكين لكي يقطع في عشر سنوات .. المسافة أو الهوة التي تفصله عن أوروبا وأمريكا ، أي ينجز في عشر سنوات ما أنجزه الآخرون في مائة عام [1] ...

ستالين لا يرى مبرراً لكي يدعو الى حرب ضد الدين،رغم انه يمارس استئصاله وبالذات في الجمهوريات الاسلامية .. ومع ذلك يأتي هذا فيعلن انه لا بد من استئصال الدين .. بل لا يقدم اي برامج أخرى إلا محاربة الدين .. تخيل حركة سياسية في الظروف التي نواجهها حالياً ، تحصر همها في محاربـة الدين ؟ان الهيبيز والخنافس أكثر معقولية وجدية ..

القضية بمنتهى الوضوح لا انقلابية ولا ثورية ولا ماركسية ولا يحزنون .. مجرد عداء للدين ، محاربة اي محاولة لخلق تضامن اسلامي ، أو دعوة للجهاد

---

(١) بقية تصريح ستالين كما نشره انتكاسي آخر هو « ولذلك ينبغي أن تدرسوا كل شيء وألا تدعوا أمراً يفوتكم ، وان تزدادوا علماً يوماً بعد يوم .. علينا أن ندرس التكنولوجيا وأن نتمكن من العلم تمكناً تاماً » .

وقد لاحظت تشابهاً عجيباً بين كتابي الانتكاسيين يتخطى حدود توارد الخواطر .

لتخليص المسجد الأقصى [١] .

لذلك نرى الدكتور يتخطى حتى الماركسيين في عدائه للدين ولا يكتم سخطه على تحفظ الماركسيين العرب في مهاجمة الدين والكيد للاسلام ، فمفاهيمهم عاجزة لأنها « تنسى – على الرغم من تمركسها في كثير من الاحيان – القصد الأول الذي تبغيه الماركسية ، وهو انشاء مجتمع لا تكون فيه أية حاجة للدين ، يتحرر فيه الانسان نهائياً من هذا « الافيون » كما وصفه ماركس ، تنسى ان الدين هو ، في الماركسية ، نتيجة مجتمع مريض بسبب ما يسوده من استثمار طبقي ، وانحراف واغتراب (Alienation) وان تصحيح هذه الاوضاع يعني تحرير الانسان دفعة واحدة وبشكل نهائي من الدين والآلهة . وان تاريخ الماركسية فكرا وثورة كان طيلة قرن وربع القرن ، يتركز باستمرار على صراع دائم مستمر ضد الدين وسلطاته . امام هذا الموقف لا يستطيع الباحث سوى التساؤل عما اذا كان اصحابه قد قرأوا في حياتهم أي شيء من نتاج مفكري الماركسية وقادتها . او ان كان هؤلاء يعيشون حقاً في العصر الحديث » [٢]

وهي شهادة لها وزنها .. ولعلها تعفينا من الجدل مع أي منافق يحاول أن يزعم ان الماركسية ليست ضد الدين ..

والانتكاسي مندهش من هؤلاء « المتمركسين » في الوطن العربي الذين

---

(١) ونقل الانتكاسي من كتابات ماوتسي تونج ١٥ تعبيراً مختاراً ، هي : « الروح الثوري . الذي لا يقهر . الشجاعة . الارادة الحازمة ، التغلب على الخوف ، التصميم . الحماس . حدة العمل . النزاهة . نكران الذات . الصدق . التواضع . الاخلاص أمام المصلحة العامة . الوقوف بجانب الحقيقة ، تجنب الانانية ، التحرر من الفساد والركض وراء بريق الشهرة ، أو وراء البطولة الفردية » ، ويفوته أن يلاحظ انه ليس من بينها تعبير واحد ضد الدين ، أو ضرورة محاربة الدين !..

(٢) ص ١٦٢ .

لا يؤدون الطقوس الماركسية كما يجب .. ويؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه ، فهم لا يحاربون الدين .. ويتساءل هل قرأ هؤلاء كتب ماركس حق قراءتها ؟

وهو هنا يخلط بين العديد من الحقائق :

● صحيح ان الماركسية معادية للدين ، ولا يمكن ان يكون المرء ماركسياً صحيح الماركسية ، ومسلماً أو مسيحياً في نفس الوقت .

● وغير صحيح ان الماركسيين العرب لا يعادون الدين أو لا يعرفون ذلك، وهم بقدر ما وسعهم ، حاولوا أن يقوضوا الاسلا م .. اما كونهم لم ينجحوا ، أو لم يجرأوا على مواجهة الجماهير ، فالحق انهم لم يقصروا .. ولكن الدهر أبى.

بقيت نقطة هي حقيقة موقف الماركسيين من الدين .. وهنا يجب أن نميز بين الماركسية كعقيدة سياسية قومية وكمذهب استعماري .

كما يجب أن نلاحظ الصيغة المخادعة التي يعرض بها الانتكاسي القضية ، فهو يقول ان القصد الأول الذي تبغيه الماركسية ، هو انشاء مجتمع لا يكون فيه أية حاجة للدين ، ويستنتج من هذه الفرضية ضرورة أن يحارب الماركسيون الدين ، أو أن ينحصر جهدهم في محاربته ..

ولكن الماركسيين في بلادهم الاستعمارية ، لا يضعون القضية على هذا النحو ، بل يقولون ان هدفهم الأول هو اقامة مجتمع لا استغلال فيه ، وبما ان الدين هو افراز العلاقات الاستغلالية ، فانه سيموت سينقرض بانقراض الأصل الذي يفرزه اي بزوال الاستغلال .. فهم لا يشنون الحرب على الدين كهدف.. بل يحاربون الاستغلال ويتنبأون بزوال الدين .. ولكن لأن المستغلين يعتمدون على الدين في تضليل الجماهير ، لذا فإن مكافحة الاستغلال وتجنيد الجماهير للثورة يتطلب محاربة الدين وتحرير الجماهير من تضليله ..

هذا هو المنطق الماركسي في بلاده ، فإذا أعد للتصدير وبالذات للعالم

الاسلامي الذي كان مجال استعمار الدول الشيوعية (روسيا والصين) والدول ذات الاحزاب الماركسية الشهيرة بامتداداتها في الوطن العربي .. (الفرنسي + الانجليزي) هذه الأحزاب لأهداف تتعلق بمصلحة دولها وسياستها القومية ركزت على عداء الاسلام بالذات .. فهي في بلادها تسعى من أجل مجتمع يزول فيه الدين ، وهي في بلادنا تسعى لزوال الدين لابقاء المجتمع في وضعه المتخلف التابع لنفوذها ..

روسيا — كما أوضحنا كان لها مصلحة في استئصال الاسلام من مستعمراتها الاسلامية التي تحولت الى جمهوريات سوفيتية .. كذلك كان من مصلحة الحزب الشيوعي الفرنسي محاربة الاسلام في الجزائر ، لأنه هو الذي انتزع الجزائر من فرنسا ..

ولكن الدين لا يزال في روسيا ، وما زالت روسيا تبعث بممثليها في المؤتمرات الكنسية والاسلامية .. ولا أظن أنه ينشر في صحف الروسيا مقالات ضد الدين أوقح مما نشر في صحيفة جيش الشعب .. ورغم ذلك فالانتكاسي غير راض ، يقول ان الفكر الثوري يخشى مواجهة الدين وهو : « عندما « يتجاسر » و « يتشجع » و « يغامر » فانه يلبس لباساً وهابياً مزيفاً ، أي يدعو فقط الى تصحيح الانحرافات ، أو التدين الزائف الذي يقع باسمها »

وهو لا يستطيع أن يفسر سر هذا « الجبن » الذي ينفرد به الفكر العربي .. أو بمعنى أصح الفكر الثوري في العالم الاسلامي .. لماذا يقف عاجزاً أمام هذه الظاهرة باحثاً لها عن تفسير ذاتي ، في ذات ونوعية الثوار ..

كيف لا يستطيع المجتمع الاسلامي من اندونيسيا الى المغرب خلال ٣٠٠ سنة حافلة بالحركات الثورية الملحدة في العالم كله ، ان يفرز حركة ثورية الحادية ناجحة .. مجرد حركة واحدة ؟ ! ..

لماذا كانت كل حركاتنا الثورية ترتدي العباءة الوهابية .. لماذا كانت

انجح ثوراتنا .. اسلامية كاملة.. وهي ثورة الجزائر ،وكل انتفاضاتنا (الوهابية — المهدية — السنوسية) كلها اسلامية ؟! . لا جواب !

لأن الانتفاضة أو الثورة الحقيقية ، هي دائماً نبتة شرعية ، أي تنبع من جذور الأمة ، وتحمل بصماتها ومكوناتها ، ولا أمل في أي تحرك شعبي مثمر الا تحت راية الاسلام .. كل تجاربنا الناجحة ، والفاشلة بالذات تؤكد ذلك .. فليست القضية — وكنا لا نظن اننا بحاجة الى تعريف الماركسي بذلك — ليست قضية اقتناع ، اذ لا يكفي ان يبشر سيادته بين الثوريين بضرورة معاداة الدين ، لكي تقوم حركة ثورية معادية للدين.. لا.. هذا فعل مبشرين.. وهو اقناع الفرد بدين أو لا دين .. أما الحركات الاجتماعية والسياسية التاريخية القادرة حقاً على اعادة صياغة العلاقات الاجتماعية ، فهي تعكس مكونات واحتياجات مجتمعها ، بصرف النظر عن وعي الذين تنتدبهم الأحداث للتعبير عن ارادة التاريخ ..

فعجز المجتمعات العربية عن افراز حركة ثورية ملحدة يعني ان المانع أو العقم في صميم تكوين هذه المجتمعات ، وليس في تقصير من جانب هذه المسوخ والاجنة المشوهة التي تلفظها اقترانات مريبة تلد بغالا .. وهيهات ان تتناسل البغال .. ان عقمها ، عقوبة طبيعية لخيانة الأمهات .. فأي محاولة لتلقيح الثورة العربية بلقاح الفكر الغربي ، مهما استهوت البعض فحولة الغرب لن تنجب الا بغالا .. محكوم عليها بالإنقراض ..

ان الثورة تعني الأصالة .. تعني تعبير الأمة عن نفسها في أرقى صور التعبير ، تعني التمرد على الواقع التعس الذي لا يليق بامكانياتها ، وقدراتها .. تعني ايمانها بحقها وقدرتها في صياغة مستقبل أفضل .. الثورة ليست أبداً كفران بالوجود التقليدي أو بالأصول ، بل فرط ايمان بهذا الوجود ، وتعصب حاد للأصول ، يدفع المرء إلى الموت في سبيل مكانة أسمى ، يعتقد انها هي

التي تليق بعراقة أصوله .. مهما تشنجت أصوات الثوار في لحظات القتال والتغيير ومهما امتد الغضب على الحاضر ، الى اطراف الماضي .. فإن الثورة سرعان ما تكشف عن ايمانها بتراثها واعتزازها بأصولها ، وانها هي السبيل لكي تعبر هذه الأصول عن حقها في الحياة ، والاستمرار والتجدد ..

ان المجتمع « ينحط عن جوهره » ومن ثم تأتي الثورة .

من هنا كان لا بد للثورة من الأصالة ، من الانتماء الى أبوين شرعيين .. فليس في التاريخ كله ثورة قام بها هجناء .. هجناء الفكر ، هجناء الانتماء ..

الجهل بالإسلام ..

الانتكاسي يبحث عن هزة ، تتفجر منها الثورة العربية .. كما كان سعد زغلول يفتش عن قارعة تطلق الثورة المصرية .. وهو يعرفنا بهذه الهزة :

« ان الثورات الكبرى استطاعت ان تحدث تلك الهزات ، لأنها قدمت تصوراً ايدلوجياً جديداً ، فلسفة حياة جديدة أنكرت بها الوجود التقليدي ككل وخصوصاً في الايدلوجية الغيبية التي يقوم فيها » .

ويعلق على رأي يقول « الهزة التي أحدثها الاسلام عند ظهوره » يعلق بأن هذا يعني « ان الاسلام لم يعد بقدرته إحداث مثل هذه الهزة حالياً » .

وبذلك يتكامل منطقه كلعبة السيجة ، يحصرنا في مربع فلا نجد بداً من التسليم !

الثورات الكبرى احدثت هزة لأنها هاجمت الأديان .. الاسلام أحدث هزة عند ظهوره .. اذن فهو عاجز الآن عن احداث هذه الهزة .. لماذا ؟ .. لأن الاسلام يوفر التصور الايدلوجي الذي يعمل فيه الوجود التقليدي في جميع ابعاده من عقلية ، واخلاقية ، وذاتية ، واجتماعية ، وسياسية ، ولأن الثورة العربية تعني تغيير جميع هذه الأبعاد ، اذن فالاسلام : « أحدث تلك الهزة عند ظهوره ، ثم أصبح غير قادر على احداث هذه الهزة حالياً » ، ولكننا نحتاج هذه الهزة .. اذن فذلك يعني ان اداة احداث الهزة يجب أن تحقق شروط تلك

الادوات السابقة .. »

ولأن الاسلام لا يصلح فلا بد ان تكون الثورة معادية للاسلام لكي تحدث الهزة ..

نقول ثاني :

الثورات الكبرى أحدثت هزة لأنها هاجمت الاديان .. وهذا يعني ببساطة اخراج جميع الاديان من تعداد الثورات ! .

ولكن بعد سطور ، ليس الا ، نجده يعترف بان الاسلام عند ظهوره أحدث هزة ! .. صحيح انه اعتراف بهدف اعلان فقدان الاسلام قدرته على احداث الهزة ، ولكنه اعتراف على أية حال ، ينقض النظرية البيطارية التي تزعم انه لا ثورة ولا هزة إلا بعداء الدين ، فالاسلام دين بغير شك ، وايدلوجية غيبية وفق تصنيفات الانتكاسي او بالأحرى اساتذته الماركسيين ..

اذن فالايدلوجيات الغيبية ، يمكنها ان تحدث هزة ، بل نستطيع ان نقول انها أعظم هزة عرفها التاريخ ، فالوقت مبكر جداً لمقارنة نتائج الثورة الشيوعية ، بما حققته الثورة الاسلامية ، اما عن طاقة الهزة ، فلا وجه للمقارنة ، ان ما انجزه عرب الجزيرة الأقل عدداً ، المجردون من كل تراث حضاري أو تفوق تكنولوجي ، من انقلاب في حياتهم ، وحياه العالم كله ، اكبر بما لا يقارن بما انجزته الأمة الروسية أو الصينية ، رغم التفوق المطلق والنسبي في الامكانيات المادية لروسيا والصين عند نقطة الانطلاق ..

اما نظرية انه ما دام الاسلام قد أحدث هزة عند ظهوره ، اذن فهو عاجز عن احداث هذه الهزة الآن ! فلا ندري على أي أساس تقوم مثل هذه النظرية .. التي تشبه نظرية « يوسف وهبي » عن شرف البنت .. وعود الكبريت الذي لا يشتعل الا مرة واحدة ..

من الذي قال ان لكل ثورة أو ايدلوجية انقلابية ، هزة واحدة ، كأمنية

المحكوم عليه بالاعدام .. لماذا اذن أحدثت الماركسية هزة باريس ١٨٧٠ .. وهزة روسيا ١٩١٧ .. ثم الصين .. وما زالت بوسعها ـ كما يعتقد الانتكاسي ولا نصدق نحن ـ احداث الهزة المطلوبة ، حتى يطلب الدكتور استيراد « الجهاز الماركسي » لاحداث الصدمة الكهربائية المطلوبة لتنشيط الجهاز الثوري العربي ! نحن نعتقد ان الاسلام قادر على احداث هذه « الهزة » ان صح التعبير ، وتاريخنا كله يؤكد ذلك لا خلال القرون التي شهدت تفوقنا بل حتى في مرحلة الانهيار .. انه الايمان بالاسلام الذي مكن الاتراك من ميراث العالم الاسلامي ، والتفوق الساحق على أوروبا التي جثت عند أقدام السلطان التركي ، حتى نافقه ملوك أوروبا بتملق رخيص ذليل .. كان ملوك فرنسا يلقبون السلطان بامبراطور العالم الكبير والسيد الأعظم ..

وبالاسلام كانت الهزات أو الثورات او الانتفاضات الوحيدة في تاريخنا الحديث ..

الثورة الوهابية التي كنست بقايا النفوذ التركي ، وانتشرت بصورة اعادت للأذهان انتصارات الأسلاف في فجر الاسلام .. الثورة المهدية التي حررت السودان كله ، وقاتلت ببسالة لم تعرفها افريقيا ولا آسيا الى مطلع القرن العشرين ضد جيش بريطانيا العظمى واستشهد المهديون في الدفاع عن بلادهم وثورتهم . ماتوا جميعاً في استعلاء لم نعرفه في جنرالات الجيوش الانقلابية ، اصحاب العقائد الانقلابية الذين هزموا في حربين ولم يمت منهم جنرال واحد ..

وهل كان كفاح السنوسيين ضد الغزو الايطالي الا ثمرة الايمان بالاسلام ، والطاقة الجبارة التي يطلقها هذا الايمان ؟ .. أفي تاريخ الثورات أجمل وأروع من عمر المختار .. البطل الشيخ .. هل كانت له ايدلوجية انقلابية معادية للاسلام ؟ أم كان ينطلق من ايمان لا يتزعزع بالاسلام جعله يستعذب الاعدام لأنه طريقه الى جنة الخلد .

ألم يترع ... السجين بقيادة السنوسية اعجاب واحترام لنين في مقالة مشهورة ؟!

ثم طويت ... الاستشهاد في سبيل الله .. وبدأ عصر الانقلابية العقائدية المعادية للأديان .. ... تتذن بعد ذلك عن هزة .. عن استشهاد .. عن أبطال . من هو البطل الذي ... الماركسية العربية مثل المهدي أو التعايشي أو عمر المختار او قيادات الثورة الوهابية ، يساقون الى الاعدام في الاستانة ، فيبلغ من سمو اخلاقهم ... ملكهم ، ان يتحولوا — وهم الأسرى في طريقهم للاعدام — يتحولون في القاهرة الى أولياء يتبرك العامة بهم ، ويستشفعون بهم لشفاء المرضى ... حيث على معتقلهم رغم أنف آسرهم المنتصر ! ..

نستطيع أن نقول ... الهزة لم تعد من جديد الا في استشهادات عناصر اسلامية ... فلسطين ، وفي معارك القناة ، وفي عمليات الفدائيين الفلسطينيين ... التي تثير ثائرة العقائديين المنحلين في كباريهات القاهرة وبيروت ... على الفدائيين انهم يستشهدون في سبيل الله ! !

الالحاد ... ولكنه يحدث الانهيار ، ينمي الفردية والانانية ، الا اذا تحول ... البشرية أي ايمان بمحاربة الدين ، أي تحول إلى ايمـــان ديني باللادينية ... يحدث الهزة هو الايمان بعقيدة ، واصحاب العقائد الذين صنعوا ... حتى لو اضطروا الى مواجهة سيطرة كهنوت معين .. أو محاربة ... أو اغفال الدين في برنامج عملهم ودعايتهم ، فاننا لا نجد ... قد زعمت ان ايمان جماهيرها وحماستهم قد نبع من ... للدين ... السليم ، ان حماستهم تنبع من ايمانهم بهذه العقيدة ، التي ربما يكو... جزئياتها الكفر بالأديان .. كالشيوعية مثلا .. ومع ذلك فليس ثمة ... الروسي كان يساق الى المشنقة في روسيا القيصرية ، مصراً على ... المجرد انها ضد الدين ! أو أن الفرنسي واليوغوسلافي

والألباني ، كانوا يستعذبون الموت في كفاحهم ضد النازي لا حباً في وطنهم بل بفعل الهزة التي يحدثها الكفر بالله !

كيف يمكن أن يكون منهاجـــاً علمياً ذلك الذي يتصور ان مشكلتنا في الوطن العربي ، هي حاجتنا الى حركة معادية للاسلام ، تجهر بذلك ولا تخافت، تجأر به ولا تهمس ، عندئذ ستحدث الهزة المطلوبة، ربما تحدث تلك الهزةالتي ينشدها البيتلز والهيبيز ، ومدمني المخدرات في الغرب ، اما الهزة التي تقلب النظم ، فإن نشاط المبشرين ، والقوى المعادية للاسلام خلال قرنين لم يحدث هذه الهزة ..

ان العقيدة وحدها ، هي القادرة ، على خلق حافز الاستشهاد، هي القادرة على أن تجعل معتنقها ، يستعجل الموت في سبيلها الى حد كراهية اضاعة الوقت في مضغ بلحة .. فيقذف بها من فمه ، ليهرول إلى الموت .. وليس من الموت ، كما فعل مقاتلو العقائد التي لا تؤمن بالله .. ذلك لأن كل ما طرح من عقائد خلال سنوات التخبط العربي ، نمى كل دوافع التشبث بهذه الحياة ، والوصول الى الذروة في التمتع بها ..

اما اقتصار الايدلوجية على عداء الاسلام ، فهذا جانب سلبي ، لا يمكن تصور قدرته على تحقيق ثورة روحية في الجماهير ..

ثم انه لم يحدث قط أن وُجد شعب ملحد .. لا في روسيا .. ولا في اثينا.. ولنقرأ الاحصائيات التي تنشر في روسيا عن زوار الكنائس والمساجد .. وتزايد عددهم بين الشباب .. ثم تأكيدات السوفيت بأن حرية الأديان مكفولة ، وبصرف النظر عن مدى صدق هذه التأكيدات .. فانها تثبت بطريق أو آخر ، وجود نسبة عالية من المتدينين أو غير الملحدين بين رعاياهم .. وبعد سنوات طويلة من الالحاد الاجباري .

ان التاريخ لا يقدم لنا أبداً حالة « الشعب الملحد » تلك التي نطالب اليوم

بتحقيقها . ولا شك انه من الصعوبة بمكان تصور « الفلاح العربي » ملحداً ، متحمساً في الحاده.. وحربه على الاسلام ، الى حد الاستشهاد في سبيل ذلك.. ويبدو أن الدولة العصرية ، اصبحت تعني الدولة الالحادية !

يبدو اذن ان المطلوب هو قيادة أو طليعة ملحدة واعتقد ان هذه متوفرة بكثرة .. وان كان ينقصها الصراحة كما يعيرها الانتكاسي ، فلأنها تعيش هنا بين الجماهير التي لقنت الدكتور درساً في بغداد ، لعله ، لا ينساه ..

حتى لو فرضنا أنه قد وجدت هذه « القيادة الباسلة » الملحدة،والجهيرة الصوت التي تنصب نفسها لمحاربة الاسلام .. فماذا عن عقيدة الجماهير ؟ ما هو المطروح لكي تؤمن به الجماهير ؟

لا شيء !

أن المأساة الحقيقية لفكر النكسة تكمن في غربته .. فهو مهتم بقضايا عقلية، تشغل بال الفكر الغربي ولا علاقة لها بقضايا المجتمع العربي..

انهم يعيشون آلام تطور الحضارة الغربية ، ثم يعجبون لأننا لا نتألم لأوجاعهم ! يقرأون تشخيص امراض المجتمع الأوروبي ، ويقتبسون الوصفات العلاجية التي جربت هناك ، ثم يبعثون بها الينا .. ويحاولون مداواة المجتمع العربي بها .. ويندهشون لأنها لا تشفي أمراضنا ؟! ..

انهم لا يعرفون شيئاً عن الاسلام ، ومن ثم يظنون ان المرء يمكن أن يتعرف على أي دين آخر ، ثم ينقد الاسلام من خلال نقده لأي دين ! ..

الانتكاسي يقرع رفاقه الثوار العرب المتأخرين بأنه منذ أكثر من مائتي عام « أدرك الثوريون في الغرب ان الثورة تعني تحرير المجتمع من الدين . ولكن الفكر العربي الثوري لا يزال يتجاهل هذا الواقع تجاهلا تاماً . في بداية العهد الثوري الحديث ، بداية الثورة الفرنسية ، حدد بريسو ، هذا الطابع الثوري العـام ، عندما وقف في الجمعيـة العامة وأعلن : ان عدونا الأول ليس الارستوقراطية ، ليس الملك ، وليس الكنيسة ، بل هو أولا الدين الذي يقف وراء الملك والارستوقراطية . وفي اجتماع شعبي عام اثناء تلك الثورة ، أخذ

شاليه ، الصليب، وداسه في الارض ، وصرخ في الجماهير « ان الاستبداد بالجسد قد تكسر ، والآن يجب أن نحطم الاستبداد بالأرواح » [1]

وكأننا طلبة مدرسة ثانوية ، مطلوب منا تقديم تمثيلية الثورة الفرنسية أو الحضارة الغربية التي يأكل الانتكامي خبزه بتدريسها ..

الثورة الفرنسية دعت لمحاربة الدين لأنه كان يقف وراء الملك .. أين هو الملك الذي يقف وراءه الاسلام ... والذي يدعي أن معارضته كفر ! .. أو الذي يحول الدين بيننا ، وبين خلعه ، لو انحرف .. الاسلام يعاقبنا لو سكتنا عن الظلم ، ويطالبنا بتغيير المنكر بالقوة ابتداءاً أي « بيده » ..

في فرنسا حطموا الصليب .. فماذا نحطم نحن ؟! . جوريس يقول « لقد بكى الشعب طويلا على الآهه ، وآن له أخيراً أن يبكي على نفسه » ..

متى بكينا نحن على الاله ! .. وهل يجب أن نصنع صليباً لنكسره ؟!

يقول « إن كل ثورة كبيرة في العصر الحديث ، من الثورة الفرنسية والثورات الليبرالية في القرن التاسع عشر ، الى الثورات الشيوعية والاشتراكية في القرن العشرين ، اعتمدت ايدلوجية انقلابية ، كل منها وجدت نقطة الانطلاق في فلسفة حياة جديدة تحرر الفرد من الوجود التقليدي ، تدعو الى تدميره وبناء مجتمع جديد » [2] .

ولا ندري لماذا يخصص « العصر الحديث » . وكان بوسعه ان يقول « كل ثورة كبيرة » على الاطلاق في جميع العصور .. وكان يمكنه عندئذ أن يحاول دراسة الاسلام ، الذي حطم الفلسفة القديمة ،ولعله أكمل الثورات وانضجها ، الثورة التي منحت الجماهير فلسفة جديدة ونظرة جديدة للكون ..

هل يمكن القول بأن الثورة الفرنسية قد منحت الانسان نظرة كاملة للوجود

---

(١) ص ١٥٨ .

(٢) ص ١١٤ .

والحياة ، وعلاقة الانسان بالكون ، وبنفسه ؟ .. هل الكفر بوجود اله نظرة جديدة وكاملة .. وهل هذا الكفر يجيب على كل الأسئلة التي يثيرها الوجود الانساني؟ما الذي قالته الثورة الفرنسية فيما يتعلق بالوضع الاقتصادي للجماهير؟ .. لا شيء . وكان على الثورة الشيوعية أن تحاول الاجابة على هذا السؤال .. وقبل مضي نصف قرن فقط على الثورة الفرنسية ، كان ماركس يحطم كل ما قدمته الثورة الفرنسية من قيم وفلسفة ، ويثبت انها قد فقدت ثوريتها وتحولت الى قوة رجعية تشل تقدم الانسان ، وتقدم له مفهوماً ايدلوجياً رجعياً .. ولكن ماركس بدوره اغفل الاجابة على حقوق الانسان كانسان ، كفرد ، ككائن عاقل ، وليس مجرد جزء من « قوى الانتاج » .. كان على الثورات الدموية في المجر وتشيكوسلوفاكيا والمانيا وبولندا ان تجيب على هذه الأسئلة بقدر ما تسمح الدبابات السوفيتية الثقيلة الوزن ..

ولكن الاسلام أجاب على كل هذه الأسئلة .. فحدد حقوق الانسان في جميع علاقاته مؤكداً فرديته وانتمائه في نفس الوقت ..

ويعتقد منظر النكسة ان تعريف المواطن العربي « على حقيقة الكون،وتغيير نظرته الى الأشياء عن طريق فهم هذا الكون ، وتلك الأشياء فهماً علمياً . هو تعريف يصطدم بالمفهوم الديني الغيبي الذي يعرفه المواطن بشكل آخر على حقيقة الكون والأشياء »

« ان الروح السحرية والخرافية والأسطورية هي مجرد انعكاس وامتداد لذلك المفهوم الغيبي »

معقول أن يجهل هؤلاء الناشئة في الغرب [1] كل شيء عن الاسلام ،

---

(١) بعد الانتهاء من دراسته الثانوية سافر الدكتور نديم البيطار إلى الغرب حيث تلقى علومه العالية في فرنسا والولايات المتحدة وحاز على أكثر من دكتوراه في العلوم الاجتماعية والسياسية ، ثم قام بتدريس هذه العلوم خلال سنوات ست في جامعات الولايات المتحدة وكندا ، وقد عاد السنة الماضية إلى لبنان ليتفرغ للنتاج الفكري . » (من تعريفه بنفسه على ظهر غلاف الفعالية الثورية في النكبة) .

فيناقشونه على أنه دين آخر ! ويبذلون جهداً غير مشكور في تفنيد خصائص ومواقف لا وجود لها في الاسلام !

معقول أن يقول لنا ان فهم الكون فهماً علمياً يصطدم بالمفهوم الديني الغيبي ، وعذره أنه لا يعرف شيئاً عن الاسلام .. وبالتالي فهو يجتر بقايا المناقشات التي درسها في الغرب ، ويظن كالشاة البلهاء أنه يلتهم طعاماً جديدا .. أو أنه هو الذي يخلق هذا الطعام ! وهو لا يتوقف لحظة واحدة ليقول لنا حادثة صدام بين المفهوم الديني الإسلامي والمفهوم العلمي للكون !

ألم يعرف علماء المسلمين كروية الأرض ، وقاسوا قطرها ، وعرفوا انها معلقة في الفراغ ، وكتب ابن خلدون عن نظرية التطور ، وقال بالحرف الواحد « تطور الانسان من عالم القردة ! »[1] هل تعارض ذلك مع مفهومهم الديني؟! وهل منع وجود تفاسير ، تعود الى التوراة والتلمود ، واساطير الشعوب التي انضمت للدولة الاسلامية ، تتحدث عن الحوت الذي يحمل الأرض ، هل حال ذلك دون تطور علم الفلك الاسلامي ؟ ..

فكيف يمكن ان نستدل على تعارض الدين مع العلم ، من أصوات فكهة تتعالى أحياناً منكرة وصول الانسان إلى القمر او تحريم ركوب الطائرة ؟ ! .. أيصح أن ننسب الدين كله لمثل هذه الأصوات ؟ .. الا نتجنى على الماركسية ، والماركسيين ، لو حاكمناهم باكتشافات الدكتور وفهمه التعس للماركسية والثورية ؟ ! اننا رغم عدائنا الصليبي للماركسية والماركسيين لا نقبل ان ندينهم بمفاهيم وفتاوى الدكتور البيطار .. أما هو فيحكم على الاديان كلها من بعض الأصوات التي لا يخلو منها أي مجتمع ، حتى في أمريكا يوجد من يؤمنون بالسحر و « الشبشبة » ، وتحضير الأرواح .. وهل يستطيع الدكتور

---

(١) مقدمة الاستاذ الجليل علي عبد الواحد وافي .

(١) ص ١٩٥ .

ان يقطع بالحاد انثنتين مثلاً .. فلماذا يكون على العامل العربي ان يلحد لكي يصلح موتور سيارة ؟

ومن غير المعقول الا يعرف الانتكاسي حتى طبيعة المجتمع الذي تفرغ لقيادته .. فيحدثنا عن السحر والخرافة والاسطورة ، يتقمم تشنيعات المستشرقين .. اين هو السحر ،واين الخرافة والأسطورة في المجتمعات العربية.. على الأقل في الدول التي هزمت في حرب حزيران ؟ ..

ان كان ثمة ايمان بالخرافة ، فهو الايمان بقدرة الماركسية على شفاء المقعد والأعمى ، في كل زمان ومكان .. وان الكفر بالأديان ، وبالإسلام بالذات هو وحده السبيل الى النصر ؟ !

« مأساة الموقف العربي الثوري ، انه لا يزال خاضعاً الى حد كبير الى تلك الابعاد العقلية النفسية الغيبية على الرغم من التحرر الذي يزعمه هنا وهناك على صعيد الوعي »(١)

اما هذه الابعاد فهي « ان الدين يتسرب الى الحياة العربية في جميع ابعاده ، جميع تفاصيلها وعناصرها ، فهو لا يقتصر على تحديد علاقة الانسان بالله ، بل يحدد قواعد واضحة للسلوك في جميع العلاقات التي تتشكل فيها هذه الحياة ، فلا يترك شاردة أو واردة دون تعيين طبيعتها ، وكيفية ممارستها ،من الأكل والزواج الى الصلاة والصوم ،هذه كلها احكام من الله »

صدقنا .. فما دخل الموقف الثوري ومأساته في الأكل والصوم والصلاة والزواج ؟

ما تأثير ذلك على ترك الطائرات على مدارج المطارات ...

واعلان سقوط القنيطرة قبل اتمام الجيش الاسرائيلي مهمته ؟ ..

أية مأساة ؟! ..

الحمد لله قادة الموقف الثوري لا يصومون ولا يصلون ولا ندري شيئاً عن

---

(١) ص ١٩٥

زواجهم ، ولا ندري ما تأثير تحريم الجماهير للحم الخنزير ، أو صومها رمضان .. او الصلاة .. او الزواج على الطريقة الاسلامية .. ما تأثير ذلك في خيبة الموقف الثوري ؟ .. الا اذا كان للثورة اهداف في موضوع الأكل والزواج .. تفوق اهداف مواجهة اليهود ؟ ..

الا يحس الانتكاسيون بالخزي ، ودين اليهود الذين انتصروا ، وخلفوا لنا النكبة وديالكتيكها .. يتدخل حتى في طهي الطعام ويحرم على جيشهم أكبر قوة عدوانية في الشرق الأوسط ، يحرم عليه أكل « الطبيخ » يوم السبت ، ويستصدرون فتوى خاصة من الحاخام الأكبر تتيح لهم طهيه يوم الثالث من حزيران ؟! .. بل يصدر تشريع رسمي يبيح ركوب وسائل النقل يوم السبت « اذا كان هناك خطر على الأمن القومي » ! .. وتلتزم جميع طائرات « العال» وسفن شركة « زيم » بوجود مطبخ شرعي فيها « كوشير » وتحريم تقديم لحم الخنزير .. « ورفضت الاحزاب الدينية انشاء مطبخين على ظهر سفينة الركاب الفخمة « شالوم » وهي التي تعبر المحيط وتعود ملكيتها الى الحكومة الاسرائيلية وبعض الشركات الخاصة . واعلنت دار الحاخامية معارضتها للحل القائل بانشاء مطبخين ، واحد « كوشير » لليهود وآخر عصري للمسافرين من غير اليهود . فرفض الحاخام الاكبر منح موافقته وبركته لمطبخ الكوشير خوفاً من قيام الطهاة اياهم بتحضير النوعين من الأطعمة ، وذلك على ظهر سفينة يهودية ! »

(التعجب من المصدر الذي ننقل عنه !!! .. اما هذا فمن عندنا عجباً لتعجبه !) والمعروف ان جميع المؤسسات الرسمية في اسرائيل ، من الجيش الى الكنيست ، لا تقدم على لائحتها سوى طعام الكوشير ..

ومن الطريف (!!) ان دار الحاخامية درجت على منح بركتها القدسية فقط لتلك الفنادق التي اخذت على نفسها عهداً بالاقتصار على مطبخ « الكوشير »

وحده ، وتعهدت أيضاً بمنع التدخين والرقص والموسيقى يوم السبت ، ومنع السباحة المختلطة في احواضها خلال الايام العادية (طعام الكوشير هو الطعام المباح اكله في الشريعة اليهودية)[1] ..

أفي بلادكم يا عرب .. فندق أو باخرة أو طائرة لا تقدم خمراً أو لحم خنزير ؟!

في دولة اليهود محرم تربية الخنزير أو أكله .! وفيها قانون بالتعليم الديني الاجباري في المدارس ...

ويقول فاين « من المحتمل أن تجد اسرائيلياً ملحداً عن قناعة ، يعارض تأييد الحكومة أو سماحها بـ(بتربية) الخنزير في اسرائيل »[2]

ليس تعصباً ولا دروشة .. بل لأن التنكر للدين ، هو خيانة للوجود .. فالحضارة هي الدين .. لذلك يحترم الملاحدة اليهود ، شريعة التوراة .. لأنهم يعرفون انه بدونها لا ينتصرون ..

وهؤلاء يقلقهم ان البعض ما زال لا يأكل لحم الخنزير ويصوم رمضان .. الا تستحون لجهلكم وعاركم وهزيمة فكركم ؟ ..

---

(١) من كتاب الدولة والدين في اسرائيل ، مطبوعات المنظمة .

(٢) المصدر السابق .

٢

ان جهل الانتكاسيين بالاسلام ، يفرض علينا وضعاً في غاية الغرابة .. الا وهو الدفاع عن الاسلام ضد النقد الموجه للاديان الأخرى !

فهؤلاء الذين ذهبوا الى الغرب بعد البكالوريا ، لا يعرفون عن الاسلام الا أنه يأتي في القاموس تحت كلمة ريليجون .. وبالتالي فيكفيهم لنقده قراءة ما كتب في نقد الأديان الأخرى ، ولزيادة التعمق يقرأون أو يقرأ عليهم كتاب من وضع المبشرين .. ثم يتفضلون علينا بالنقد ، والنصح ، والتوجيه ..! وهذا بالطبع يضعنا امام مسؤولية التعليم الفاسد ، في بلادنا ، الذي يخرج الطالب من مرحلة التوجيهية ، دون أن يكون على المام ولو يسير بمبادىء الإسلام ، والا ما رأينا انتكاسياً ، حاصل على عدة « دكتورهات » يقول عن الاسلام : « ان اساس الدين ، هو ايمان بقوة غيبية ترى كل شيء وتسود كل شيء ، وتعاقب وتكافيء كل شيء ، **تُعزي الضعاف والمظلومين وتنعم عليهم في دنيا اخرى** »

لو أنه اطلع ولو في صحيفة سيارة عن مبادىء الاسلام ، أو حتى كلف نفسه قراءة كتاب المسلمين ، المعروف باسم القرآن.. او «البيبل بتاع المحمديين» لحرص على أن يختار لفظة أخرى غير عزاء الضعاف والمظلومين ..

لأن الملائكة تقرع هؤلاء بالذات .« الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم..

قالوا فيم كنتم ؟ فيعتذر هؤلاء بقولهم : كنا مستضعفين في الأرض .. فيرفض عذرهم : « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ » .

ديننا لا يعوض المظلومين أبداً ، الذين يرضون بالظلم، بل يعوض المظلومين الذين يرفضون الظلم ويثورون عليه .. ولاحظ ان هؤلاء الذين يؤنبون على قبولهم الظلم ، والبقاء تحت سطوته ، هم « المستضعفين في الأرض » . اذ أن غير المستضعفين يطالبون بتغيير المنكر بالثورة ، اي باليد ابتداء ، فإن لم يستطيعوا فباللسان ، اي يعلنون رفضهم له ويشهرون به ، ويدعون الناس الى مقاومته ، فإن لم يستطيعوا فبقلوبهم ، على أن يكون مفهوماً ، ان هذا الأسلوب اي الاستنكار القلبي هو أضعف الايمان ..

أين اذن دين العزاء ؟!

ولمن يقول : « ان عالم الانسان الأول والأخير هو هذا العالم ، ان الانسان يجب أن يصحح الظلم في هذه الأرض .. وان القصد هو السعادة التي تلبي الحاجات الانسانية من كل نوع »

نعم نحن ضد هذا الفهم وبهذه الصورة .. اذ نحن لا نؤمن « ان عالم الانسان الأول والأخير هو هذا العالم » لأن ذلك يهبط بالانسان الى مستوى الحيوانات .. ولكن نؤمن ان العالم كل العالم ، الأول والأخير هو عالم الانسان..

هذه الأرض خلقت من أجل أن يُوجد فيها الانسان كخليفة ، بل الكون كله ، خلقه الله من أجل أن يعبده فيه الانسان .. أي من أجل الانسان .. فلو لم يكن الانسان وعبادته لله ما خلق الله الكون ..

والانسان قد كُرم على العالمين .. أي الأرض والسماء ..

الانسان قد سخر الله له الكون كله .. والعالم الآخر في حدود المتوافر لنا من المعلومات الدينية يكاد يكون وجوده قاصراً على تكريم الانسان ومكافأته أو عقابه على سلوكه في هذه الدنيا .. حتى الجن سيحدد مصيرهم ، الايمان

برسول من بني الانسان أو الكفر به ..

فأي النظرتين تكرم انسانية الانسان ؟ .. أتلك التي تجعله أحد عوامل الوجود .. شأنه شأن السحاب ، والهواء ، والشمس ، والاميبيا ، ودودة الأرض .. كلها تحقق الطبيعة بها ذاتها وتفنيه فرداً في سبيل النوع ..

أم تلك التي تجعل الكون كله تابعاً لوجوده كانسان ، وتجعله خالداً كفرد .. وتجعل العالم الآخر كله مجرد مكان مخصص لمجازاته على سلوكه كفرد في هذا العالم ؟

اذا كانت هذه هي الحياة الوحيدة ولا حياة غيرها .. فلماذا أموت من أجل سعادة الآخرين ؟! هل استطاعت فلسفة ما أن تخلق حافز الاستشهاد الا بخلق حافز غيبي : « من أجل سلام دائم » « من أجل عالم لا استغلال فيه » « من أجل أجيال سعيدة » « من أجل اطفال لم يولدوا » .

اننا نجد في حكاية انه لا حياة الا هذه الحياة روح وتعاليم مقال جريدة جيش الشعب السورية التي اعلن المسؤولون السوريون ، انها نشرت بايعاز وتنفيذ المخابرات الأمريكية [1] ..

يقول : « الدين يعني ارادة اله ينظم عالم الانسان يجعل سعادته مرهونة بهذه الارادة التي تحتفظ بتلك السعادة لعالم آخر ، الأولى تعني تقديساً لارادة الانسان ، وايماناً بقدرتها على سيادة وضعها ، والثاني ينفض هذه الارادة ويذلها »

من أخبرك ؟

ما أظن حضارة قد عرفت السعادة في هذا العالم مثلما عرفت حضارتنا

(١) عرفت « جيش الشعب السورية » الإنسان العربي الاشتراكي بأنه « يعلم ان نهايته الحتمية الموت وليس غير الموت ، لن يكون هناك نعيم أو جحيم ، بل سيصبح ذرة تدور مع دوران الأرض » .

(راجع كتابنا : ايلي كوهين .. من جديد) .

الاسلامية ، ومارسها المسلمون .. ألم تقرأ في أكاذيب المبشرين عندكم نقدهم للاسلام باعتباره ديناً حسياً شهوانياً يهتم بلذات الانسان في هذا العالم ، بل والعالم الآخر ..

« الاشتراكية بشرت بالايمان ، بالمعرفة العلمية ، بأن التاريخ حركة تنتقل من حسن إلى أحسن ، بتطور كمال الانسان غير المحدود ، وبازالة كل معالم الشر من المجتمع الانساني .. والدين آمن بان الانسان خلق بشكل نهائي ، وان الشر من طبيعته وطبيعة المجتمع ، وان العالم الآخر هو المكان الذي تتم فيه تنقية الانسان وتحريره من الشر » .

ان كان ذلك صحيحاً .. فايهما الفلسفة الغيبية ، وأيهما العقلية العلمانية الحقيقية ؟! ..

هل يمكن حقاً ازالة كل معالم الشر من المجتمع الانساني ؟ .. الم تكن الأديان أكثر جدية ، عندما قالت ان ذلك يتم في عالم آخر ؟ .. هل يا ترى لاحت لنا معالم هذا المجتمع الخير الذي تزول فيه كل معالم الشر .. هل نرى حتى بصيصاً من ملامحه في المجتمع الروسي السعيد ، أو الصيني الخيّر أو الألباني المتطهر أو البلغاري النقي ؟ .. ألم يزد الشر ؟ .. هل نقرأ لك شيئاً مما قاله خرشوف في ستالين ومجتمعه حيث كان الانسان ، يتمنى لو لم يكن شيئاً مذكوراً ؟! .

في الحديث عندنا ان كل طفل يُولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه.. الفطرة عندنا هي الدين الصحيح .. أي انه من وجهة نظر الاسلام ، الناس يولدون بفطرة خيرة ، ولكن مجتمعاتهم هي التي تفرض عليهم معتقداتها ونظمها وما فيها من خطأ أو شر .. فليس من ديننا ان الشر من طبيعة الانسان ، بل من ديننا انه قابل للشر والخير ، ولو كان شريراً بطبيعته، ما أُرسلت له الرسل ولا عُوقب على الشر.. أما ان الشر من طبيعة المجتمع ، فأظن أن هذه هي وجهة نظر الماركسية ، فالمجتمع الاستغلالي الذي يشكل كل تاريخ الجنس

البشري ، هو مجتمع شرير بالطبع لأنه مستغل ، ولم تعرف البشرية الا المشاعية البدائية التي لم يكن فيها استغلال ، ومن ثم — بموجب المنطق الماركسي — فهو مجتمع خير مطلق ، وان كان قد ولد هو بالذات ، مجتمعات الشر الاثيمة ، تلك التي عرفت الاستغلال.. كيف!؟ لا ندري! . ثم مجتمعات الاشتراكية ، التي —وليسمح لنا الانتكاسي—، نسميها مجتمعات الشر المطلق ، والتي لا يزعم الا مختل انها تخلصت من الاستغلال ..

« الاشتراكية تؤمن بمساواة جميع الناس بسبب ما يملكونه من عقل ، ليس بما يتميزون به من قيمة اخلاقية امام الله »

اعترف انها صعبة الفهم .. لذا يجب ان نتفهمها جملة جملة ..

الاشتراكية تؤمن بمساواة جميع الناس « بسبب ما يملكونه من عقل» ..

ما زالت عسيرة الفهم .. نعيد تقسيمها

الاشتراكية تؤمن بمساواة جميع الناس ..

عظيم ! هل في الإسلام شبهة تمييز أو تفرقة بين الناس بسبب اللون أو الجنس أو العنصر ، أو الثروة أو الأصل الإجتماعي ؟! ..

أليست هذه منابع عدم المساواة الظالمة في جميع الحضارات والمجتمعات ؟

وهل يجب أن نستعرض مبادىء الاسلام التي كانت ثورة ، تفوقت في ميدان المساواة ، على كل ما عاصرها أو سبقها من نظم وفلسفات ، وما زالت متفوقة على كل ما طرح من شعارات ، وما اقيم من نظم الى يومنا هذا ..

كم نسبة البارزين من غير الروس في الدولة السوفيتية الاشتراكية بعد خمسين عاماً من قيامها .. وكم نسبة غير العرب البارزين في نفس الفترة من قيام الدولة الاسلامية ؟

ما نسبة التزاوج بين الروس والزنوج .. بل ألم تقم مظاهرات في المعسكر الاشتراكي تهتف : «الى الغابة ايها القردة !» .. عندما أحب الزنجي ، رفيقة

اشتراكية بيضاء !. وكم من رجالات الاسلام أو خلفائهم ليس له زوجة أو خال أو شقيق من دم زنجي ؟!

في أي ثورة أو في أي حضارة نجد مثل « صهيب وسلمان وبلال » ؟

ألم يُقتل جيفارا ، وتفشل حركته لأن سكرتير الحزب الشيوعي البوليفي ، لم يكن يؤمن بحق غير البوليفيين في الموت من أجل الأممية الشيوعية على أرض بوليفيا .. ؟!

نتحدى الف انتكاسي ، في الف كتاب يصدره كل منهم ، أن يقدموا لنا نموذجاً واحداً تخطت فيه الحضارة الحديثة مبادىء الاسلام في المساواة ، سواء على مستوى الشعارات او في التطبيق .. وأحرى به أن يحدث تلاميذه واساتذته في جامعات امريكا عن المساواة ، فهم أحوج الى مثل هذه الدروس منا ! .. حدثهم في أمريكا فهم يقتلون بعضهم ، اذا التحق الزنجي الأمريكي بنفس الجامعة أو دخل كنيسة البيض .. وعندنا كان يؤذن لصلاتهم بلال ، وتحسر عمر لوفاة سالم عبد حذيفة ، والا لاستخلفه على الدولة الاسلامية. ويقول « عمر » عن بلال الزنجي الحبشي — الذي كان هو شخصياً عبداً ، وليس أجداده من مائة سنة — : « أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا .. » أي بلال ، ويعنف رسول الله ابا ذر لأنه قال لبلال، يا ابن السوداء، فيضع ابو ذر خده على الأرض ، ويطلب من بلال أن يطأ خده بنعله .. كاعتذار !

علمهم المساواة في أمريكا .. اما نحن فمن العار أن يحدثنا كاتب باللغة العربية عن مزايا المساواة في الاشتراكية وانها بذلك ترجح الدين !

نواصل محاولة الفهم ..

« ليس بما يتميزون به من قيمة اخلاقية امام الله ! .. »

وباعتباره اشتراكي فهو اذن يفضل القضية الأولى على الفرضية الثانية .. أي أن المساواة بسبب ما يملكونه من عقل ، افضل من المساواة بسبب ما

يتميزون به من قيمة اخلاقية امام الله . ؟!

التركيب سيء جداً .. يقصد أن الايمان بتمايز الناس بسبب قيمتهم الاخلاقية امام الله يتعارض مع المساواة ؟ .. أو لعله يقصد ان المساواة في الدين تنبع فقط من القيمة الاخلاقية ولا تتحقق الا أمام الله .. فالعامل والرأسمالي لا يتساوون في هذه الحياة ، بل يتساوون في اعمالهم الصالحة امام الله .. ربما .. ولو أنه لم يذكر مرجع هذه الجملة لنرجع اليها في الأصل اللاتيني ..

ان تمايز الناس بسبب قيمهم الاخلاقية ، يرجع الى تمايزهم بسبب مـا يملكونه من عقل .. والا ما كان دكتور ، وفراش ، وعميد جامعة ، وادارة مخابرات مركزية تدفع المرتبات والاعانات للجميع كما ثبت في التحقيقات الامريكية .. فالناس لا يتساوون في حظهم من الحياة .. بسبب اختلاف قدراتهم على خدمة القيم الاخلاقية في المجتمع .. وكل المجتمعات تثيب وتعاقب وترتب افرادها في سلم اجتماعي وفقاً لمقاييس تضعها على ضوء قيمها .. فانتخاب برجنيف او كوسغين ، واعادة خرشوف أو مالنكوف لوظيفته الأصلية ، لا تتم الا على أساس قناعة من يملكون حق تصنيف درجات المواطنين ، لمدى فهم وقدرة كل من برجنيف وخرشوف على تنفيذ العقيدة الشيوعية .

فما العيب ان يكون الناس في الدين يكافأون بقدر أعمالهم أو قيمهم الخلقية امام الله ؟!

المهم في قضية المساواة ، ليس التسليم برفع الناس بعضهم فوق بعض درجات ، فهذا هو النظام البشري الوحيد المعروف حتى الآن ، ولا معنى لقبول أي هذر ، قبل ان نرى ولو الامكانية النظرية لقيام مجتمع كل الناس فيه يؤدون نفس العمل وبنفس الأجر .. ان الحالة الوحيدة التي تتحقق فيها مثل هذه المساواة هي حالة مجتمع بلا عمل على الاطلاق ..

فالناس منذ فجر التاريخ الى المجتمعات الاشتراكية والديموقراطية يتمايزون

.. انما المهم في تحديد مستويات المساواة ، هو مدى تحرير الانسان من القيود التي تشل قدرته على الفوز في السباق .. القيود التي لادخل لارادته الحرة ، في صنعها .. والتي يمكن الغاءها بارادة الانسان ..

فنحن جميعاً يجب أن نبدأ السباق من نقطة واحدة .. قدر الامكان ، لأن الوصول الى الكمال غير ممكن . المهم تحرير هذه النقطة من القيود المفروضة بارادة الانسان وبتشريعاته وفي حدود قدرته على التحريم والاباحة ..

فالاطفال الأمريكيون لا يبدأون السباق من نقطة واحدة .. هناك خطوط اللون ، حيث يجد الصبي الزنجي نفسه في المؤخرة ، دون أي سبب يعود لإرادته أو يمكنه مهما بذل من جهد أن يتلافاه ..

هذه التفرقة يجب أن تزول لكي تتحقق المساواة.. كذلك يجد الطفل الأبيض الفقير ، انه في الخطوط الخلفية بسبب فقر والديه ، وعجزه عن الحصول على نفس القدر من المعرفة التي ينالها الطفل الغني .. وبالتالي لا يكون السباق شريفاً ، ولا متكافئاً ، وهذه التفرقة أيضاً يجب أن تزول ، فينال الأطفال جميعاً نفس الفرص لتحصيل المعرفة [1] .. ولكنهم سرعان ما يتمايزون بسبب عوامل

---

(١) بعض تجار الاشتراكية في بلادنا .. حاولوا تنظير الفروق الطبقية الحادة التي تنعكس على اختلاف مستوى التعليم والرعاية في المدارس الخاصة ، وحالته المتردية في المدارس الحكومية .. بزعم ان هذا هو جزء من مكافأة الآباء على اجتهادهم. فما دام مصدر الدخل مشروعاً (اشتراكياً) ، فإن من حق الآباء أن ينفقوه على توفير مستوى معيشة مرتفع لهم ولأولادهم ، وأيضاً توفير مستوى تعليمي أرقى .. وهي مغالطة مفضوحة .. لأن الدخل يجب أن يكون متعادلا مع الخدمات التي يؤديها الفرد للمجتمع . والأطفال متساوون من هذه الناحية .. فليس من العدل أن يتحمل الأطفال أخطاء أو عجز الآباء أو ظروفهم الموروثة.. لأن أسباب التمايز في مجتمعاتنا الحاضرة لا ترجع كلها إلى الجهود الشخصية ، بل نسبة عالية جداً ترجع إلى الامتيازات الموروثة التي أتاحت فرص التعليم أو الوصول لفئات معينة .. تريد بدورها أن تتوارث هذا التفوق بتوفير تعليم خاص لأبنائها .. وأظن أن مصر هي البلد الاشتراكي الوحيد بالعالم الذي به مدارس خاصة ، والمدهش انهم رفضوا فتح جامعة خاصة .. كي يقتصر التعليم الجامعي على أولادهم الذين يحصلون على مجاميع عالية بفضل التعليم في المدارس الخاصة والدروس الخصوصية .. أو يمكنهم السفر إلى الخارج .

بعضها لا ذنب لهم فيها .. وهي تفاوت الذكاء .. وبعضها يعود لارادتهم الحرة وهي تفاوت رغبتهم في التحصيل .. ومن ثم تتباين مراكزهم في الحياة ..

فما دام التمايز يرجع لعوامل من الممكن لارادة الانسان أن تتحكم فيها ، أي أنها تكتسب بالجهد الانساني ، فهي ليست اخلالا بالمساواة . اذ كان بوسع المحروم منها أن يسعى لاكتسابها ..

وما دامت ترجع لعوامل لا دخل للبشر في وجودها فهي لا تشكل اخلالا بالمساواة ..

وان كان واجب المجتمع بذل كل جهد ممكن للتخفيف من حدتها ..

الحالة الأولى هي التي ترجع – كما قلنا – لتفاوت القدرة أو الرغبة في التحصيل ، فالذي ينصرف بعد التوجيهية الى مدارس الغرب ، فيفقد كل قدرة على فهم الواقع العربي ، لا يحق له أن يشكو عدم المساواة مع الذين عاشوا حياة شعوبهم ، وكرمتهم شعوبهم لاخلاصهم .. لأن المغتربين كان وما زال بوسعهم أن يعيشوا و يتفهموا مشاكل بلادهم ..

أما اختلاف الحظوظ ، لاختلاف القدرات الذهنية.. فهذه لا سبيل لسلطة ما الى الغائها .. وان كانت تحظى باهتمام المجتمعات بمعالجة الآباء وتحسين الظروف التي يتم فيها تكوين الملكات العقلية للطفل ..

غير أن التمايز يجب أن يكون في اطار ما يحقق أقصى قدرات وطاقات الفرد على العطاء للمجتمع .. فدفع أجر أكبر للكاتب الناجح ، يشجع الكتاب على تجويد مستوى كتاباتهم ، ويطور الانتاج الفكري كله .. ودفع راتب أعلى للميكانيكي البارع ، يفيد انتاج المجتمع ، ويرفع كفاية العمل الفني ..

وحتى مكافأة الموهوب والذكي ، تعود بالنفع على المجتمع ، اذ تضع الذكاء في مراكز قيادية في المجتمع .. فإن من عوامل انحطاطنا أن أغبى فئات المجتمع هي تلك التي تقوده ! ..

كذلك فإن مقياس تمدين المجتمع ، هو في الحد الأدنى من الحياة الذي يتيحه لافراده .. فكلما ارتفع هذا الحد كلما ارتفعت درجة انسانية المجتمع .. على أن يكون مفهوماً ، ان التمايز يجب الا يمتد بحال من الأحوال الى ما يحط كرامة الانسان أو ينتقص من حقوقه كمواطن .. فمهما اختلف الدخل أو المركز الاجتماعي .. فإن الحقوق واحدة .. وقيمة الفرد كمواطن يجب ألا تختلف ..

هذا هو مفهومنا الاسلامي عن المساواة .. ونحن عندما نؤمن بتمايز الناس بسبب تمايز ايمانهم .. فليس في هذا ما يخل بالمساواة لأن الناس يستطيعون أن يلتزموا بتعاليم الدين ، ويتملكون ، كما يحلو لهم في جنة عرضها السموات والأرض ..

هذا إذا كنا قد فهمنا تركيب الجملة !

ثم يقول في معرض تعداد أفضلية الاشتراكية على الدين ، « الاشتراكية نظام لا يقوم على الاحسان و « الزكاة » بل يقدم نفسه نتيجة حتمية لطبيعة المجتمع الحديث ، وطبيعة القوانين التي تسود تحولاته »

« الدين على خلاف الاشتراكية ، لم يدع الى مساواة اجتماعية ، كما انه لم يعترف بأي مكان لحرية وقدرة الارادة الانسانية ، على تغيير النظام الاجتماعي بشكل جذري . وهو على خلافها أيضاً لم ينكر الملكية الشخصية ، ولم يبشر بطبقة بروليتارية جديدة تضع بثورتها ، نهاية لأشكال الاستعمار والاستعباد . الاشتراكية لم ترد ، فقط ، كما اراد الدين ، في أحسن حالاته ، تأمين حاجات الفرد الضرورية ، كما انها لا تقف عند مشاركته في الانتاج وتملكه لوسائله ، بل أرادت خلق مجتمع جديد ، يفتح مجال الخلق أمام انسانيته في جميع مجالاتها وطاقاتها دون أي تغيير ، ويحرره من جميع اشكال العبودية روحية كانت أم اجتماعية » .

ثم فقرة منقولـــة بالمسطرة ، كمـــا نقول ، من كتـــاب ، مكسيم رودنسون ، دون اشارة الى المرجع ! وقد رددنا عليها في كتاب « الحق المر ».. وبما أن « مكسيم رودنسون » ما زال حياً وكتابه في التداول ، فالأفضل أن نرد على افتراءاته ، عن أبي ذر ، في مواجهته ، هو ، شخصياً .. لا في مواجهـــة المنتحلين ..

سيقول الكثيرون، فان كل السخافات المحشودة ضد الدين، طالما سمعناها من المبشرين ، وصبية الماركسية ، كلها منحولة ، فلماذا تتكلف الرد عليها في الكتابة عن كتاب الانتكاسي ؟! .

وهذا صحيح .. ولكن الكلام عن الزكاة والاحسان ، ورجعية الأديان .. أضحت كالفلكلور ، اندثر قائلوها ، ولقوا الجزاء التاريخي الذي يستحقونه .. ومن ثم أصبحت نهباً مشاعاً .. وأصبح علينا أن نعتبر كل من أعاد توزيعهـــا اوركسترالياً أو ماركسياً .. صاحبها .. فحيازة المنقول سند الملكية ..

ورغم فلكلوريتها ، فهي فاسدة ، كالخرافات التي تسبب لمعتنقيها أضراراً بالغة .. فديننا لا يقوم على الصدقة والاحسان .. النبي يخرج البلحة من فـــم الصبي حتى يوجعه ، لأنها من الصدقات .. ولا يتحفظ في وصفها ، بأبشع ، ما يستطيع أي ثوري ، أن يجد من الفاظ .. فيقول عنها إنها : «أوساخ الناس»! أي مجتمع اسلامي يرضى اذن بأن يقيم وجوده على أوساخ الناس ! ..

الصدقة هي ضرورة تلجأ اليها البشرية ، لتكملة ما تعجز القوانين عن سده من احتياجات الفقراء .. ورغم ضرورتها في حقبة طويلة من التاريخ .. فإن الاسلام لم يتردد في خلق النفور منها بكل ما وسعه :

أوساخ الناس ..

اليد العليا خير من اليد السفلى ..

« فمن يطعمه .. قالوا كلنا يا رسول الله .. قال كلكم خير منه..» هذه

هي الصدقة .. « أوساخ الناس » .. أما « الزكاة » فإن العجز عن ترجمتها الى اللغات الأم لمثل فكر الدكتور .. هذا العجز يؤكد العجز عن فهمها ..

ان أي طالب درس الاسلام ، لا يمكن أن يقول « الاحسان » و« الزكاة .. » كأنهما مترادفات ! .

والعرب منذ أربعة عشر قرناً فهموا الزكاة ، أفضل مما فهمها أساتذة الدكتور من المبشرين .. وصفها عرب البادية بأنها جزية لا تتفق وكرامتهم .. وقاتلوا لكي لا يدفعونها .. وعرفت الدولة الاسلامية ، مقام الزكاة .. فأصرت على مقاتلة الذين يمتنعون عن دفعها ، ولا أظن ان في التاريخ كله حرباً أهلية قامت حول « الاحسان » أو « الصدقة » أو التسول ! ..

ان الحروب الأهلية تنشب عادة حول « الضرائب » .. ومع ذلك فنحن نرى أن الزكاة أكثر من ضريبة . ان فرضها على رأس المال وليس على الدخل واشتراط توزيعها على الفقراء واعتبارها أحد اركان الاسلام الخمسة ، يتضمن من المعاني ما هو أبعد بكثير من كل هذا الذي يتباهى به تلميذ المستشرقين . ان الزكاة ليست « شوربة الأحد » بأي حال من الأحوال ..

انها ايمان بملكية المجتمع لثرواته ، واقرار لمبدأ حق الفقراء في مقاسمة الاغنيــاء رأس مالهم ، وحق المجتمع في الاستيلاء على هذه الثروة خــلال أربعين سنة ، لكي لا يكون المال دُولة (أي احتكاراً) بين الاغنياء ..

٣

وللحيثيات السابقة،يعلن الانتكاسي : « ان هذا (الذي نقله عن الاديان) «يفسر الى حد بعيد عدم بروز مفكرين ثوريين أو حركات ثورية في المعنى الصحيح ، في عصور سيادة الدين ، وان الأشكال الثورية المتكاملة كانت تجد عدوها الأول في الدين .. »

ولكي نفرغ منه ، فالحق ان حديث الافاعي طويل المدى .. نحدد القضايا التي يثيرها ، أو حيثيات الحكم باعدام ثورية الأديان ..

- الدين لم يدع الى مساواة اجتماعية .
- لا يعترف بأي مكان لحرية وقدرة الارادة الانسانية على تغير النظام الاجتماعي بشكل جذري .
- لم ينكر الملكية الشخصية .
- لم يبشر بطبقة بروليتاريا جديدة تضع بثورتها نهاية لأشكال الاستثمار والاستعباد .
- هذا يفسر عدم بروز مفكرين ثوريين أو حركات ثورية بالمعنى الصحيح في عصور سيادة الدين .

وقد رأينا ان المساواة الكاملة المطلقة لم تتحقق كبادىءأو تطبيق بأكمل وأروع مما تحققت به في الاسلام ..

« طف الصاع .. طف الصاع .. ليس لابن البيضاء فضل على ابن السوداء.. كلكم لآدم وآدم من تراب .. »

● وقد رأينا أن الاسلام يمنح الحرية المطلقة في تغيير النظام الاجتماعي .. وهو لم يشترط الشكل الجذري ولكنه لا ينفيه ..

« فمن رأى منكم منكراً فليغيره بيده ... »

وأبشع المنكر هو الخلل في النظام الاجتماعي ..

وعمر يطالب بقتل الخليفة المنحرف ، ولا يرضى بالاكتفاء بعزله ، حتى يكون نكالا لمن بعده ..

وعلي يعجب ممن يبيت جائعاً ويصبح جائعاً ثم لا يخرج على الناس بسيفه .

● الاسلام حقاً لم ينكر الملكية الشخصية وبمجرد اطلاعنا على نظام اجتماعي ، ألغى الملكية الشخصية ، ونجح ودام ذلك ٥٠ عاماً .. سنعيد النظر في الحال في موقفنا من هذه القضية !!

ويبدو أن الانتكاسي قد جمع أصول هذا الفصل في وقت مبكر جداً ، وقبل أن تعود روسيا الى الملكية الشخصية والحافز الفردي والربح.. بل والبطالة.

● نعم الاسلام لم يبشر « بطبقة بروليتارية جديدة تضع بثوريتها نهاية لأشكال الاستثمار والاستعباد » .

لا .. الاسلام دين الحق .. لا يبشر باكاذيب وترهات وأوهام .. هو قد بشرنا بحورعين يبلغ من رقة بشرتهم أن ترى الدم يسري في عروقهن ، وترى حتى نخاع عظامهن .. ومهما تبلغ حرارة الليل ، يعدن ابكاراً في الصباح .. وما أن نتخيل شيئاً حتى نناله قبل أن يرتد الينا طرفنا ..

كل هذا بشر به الاسلام ، في الجنة، ونؤمن به .. اما « بروليتاريا تنهي الاستثمار والاستعباد» ! فحاشا لله أن يكذب الرائد أهله .. هذه هي العنقاء والغول ، والانقلابي المخلص ! ..

وما عاد يردد هذه البشرى الا الدراويش والمجاذيب ، الراكعون ، الساجدون ، حول أضرحة الماركسية .. ان انجلز نفسه يتحدث عن الميول الاستغلالية والاستثمارية في ظل الاشتراكية العالمية.. أي عندما تسود البروليتاريا العالم .. وذلك يذكرنا بالتاريخ الذي يكرر نفسه ،« مرة في شكل عباقرة ، ومرة في شكل مسوخ هزلية ، تحاول تقليد العباقرة .. » فلا شك أن « انجلز » كان عبقرياً عندما افترض استمرار الرغبة والقدرة في الجلوس على ظهر الآخرين حتى عندما تسود الاشتراكية العالم ، ويصبح عالماً واحداً وبروليتاريا واحدة .. أي استغلال بروليتاريا البلدان المتقدمة لبروليتاريا البلدان المتخلفة .. بينما تحدثنا المسوخ عن مجتمع بلا شر ، ينضح بالخير كأنه مجتمع الملائكة الذين لا عمل لهم الا التسبيح .. الملائكة الذين أصبح اسمهم البروليتاريا !.. أليس هذا هو حضيض الميتافزيق ، والمفهوم الغيبي والايمان بالخرافات .. بروليتاريا تملأها عدلا بعد أن مُلئت استغلالا ! ..

لا بأس من أن يتحمس مراهقو الماركسية .. ولكن لا بد من قراءة ولو حتى الصحف اليومية .. ليعرفوا اي نهاية للاستثمار والاستغلال ، وضعتها البروليتاريا الروسية في تشيكوسلوفاكيا ، حيث تحكم شقيقتها البروليتاريا التشيكية .. بل ارجعوا لأقوال المناضل الصادق الذي لم يكتف بوضع نظرية والتدريس في جامعات الغرب .. بل قاتل من أجل ما يؤمن به ومات في سبيله .. ارجعوا لأقوال البطل جي فارا .. التي تنضح بالمرارة .. وتحكي استغلال البروليتاريا الصناعية في الدول الاشتراكية المتقدمة لشقيقاتها البروليتاريات الزراعية..بل حتى كاسترو يقول — وهو لم يحلق ذقنه بعد — أن تشيكوسلوفاكيا باعت لكوبا أسلحة بأسعار فادحة ، وهي اسلحة صودرت من النازي .. أي غنائم حرب أخذوها مجاناً من النازي ، وباعوها بأفحش الأسعار للثائر كاسترو وألفوا الأغاني والأفلام عن ثورة كوبا ! .. وتشيكوسلوفاكيا هذه التي

يفضحها كاسترو هي الاشتراكية الطاهرة .. أي قبل ظهور دوبشيك وزمرته ..

هل ندلكم على بعض المراجع التي تشرح الماركسية افضل مما تفعل مكتبة الجامعة الامريكية ؟ ..

اقرأوا ماكتبته يوغسلافيا والصين والبانيا ورومانيا عن استغلال روسيا لهم..

● اما عن عدم بروز حركات ثورية او مفكرين ثوريين خلال عصور سيطرة الدين ، فإننا نعتقد أنه حكم خاطىء بالنسبة للتاريخ البشري ، ومخالف حتى لمنطقه هو ، فالصراع ضد الدين – بمنطقه – يحتم ظهور مفكرين ثوريين وحركات ثورية .

اما ما يعنينا هنا بالنسبة للإسلام .. فتاريخنا حافل بالثوار العظام، وبالمفكرين الثوريين ، والحركات الثورية الناضجة ، والمتطرفة .. كلها في عصور سيادة الدين .. ان تاريخنا الاسلامي كله تكاد تصبغه بالدم ، الثورات التي عبّرت عن التناقض بين ما يبشر به الاسلام من قيم ومثل انسانية شامخة ، وبين عجز البشرعن تحقيق هذه القيم في أكمل صورها ، يؤجج نيران هذه الثورات ، ويذكي حماس الجماهير للموت في سبيلها ، ان هذه القيم قد طبقت فعلاً على هذه الأرض في صدر الاسلام ، وان صورة المجتمع المنشود ، ليست مجرد خيالات ، بل حقيقة واقعة هزت الدنيا، وغيرت تاريخ العالم .. لذلك لم تكف الجماهير المسلمة أبداً عن الثورة ضد عجز الحاكمين عن اقامة المجتمع الاسلامي الكامل، أو ضد رفضهم المحاولة ..

أما في تاريخنا الحديث ،فقد اقتصرت الحركات الثورية التي تستحق هذا الاسم على الحركات الاسلامية ،ولم يخرج مفكر ثوري حقيقي ولا حتى اصلاحي ..أو من يستحق لقب مفكر .. الا وله جذور اسلامية عميقة.. الجبرتي .. الطهطاوي .. فارس الشدياق.. نعم! فارس الشدياق .. الافغاني .. محمد عبده ..النديم .. سعد زغلول .. طه حسين ..العقاد..بينما نجد كل الفكر الرجعي العميل معادياً للاسلام..

وعيب أكبر العيب أن يجهل الانسان العلم الذي يفتي فيه ، فيزعم الدكتور برغم انه على ما سمعنا يدرس المواد الاجتماعية .. ان فكرة الدولة لا نجد لها أي أثر في الدين ، بينما ان جميع الحركات الثورية في العصر الحديث على الأقل منذ القرن الثامن عشر ، ابتداء من روسو وكوندورسه وسان جوست وبابون .. سان سيمون ، أوين ، بلانكي ، ميل ، سبنسر ، بانتام ، ماركس ، باكونين ، برودون .. لنين ، كاوتسكي ، برنشتين ، لاسكي ، موراس [1] .. » كانت فكرة الدولة تعاني أزمة جدية تدور حول القضية التالية التي طرقها العصر الحديث .. لمن يجب ان تكون الدولة ؟ من يجب أن يملك الدولة ويسودها .. من هذا السؤال تفرعت اسئلة عديدة ، اجابت عليها الاشتراكية بشكل خاص. هذه القضايا لا تجد لها أي أثر في الدين » [2] .

كان الله في عون تلاميذه ، ان كانوا حقاً يستمدون معلوماتهم منه .. هذه القضايا طرحت عندنا منذ اليوم الأول ،بل منذ اجتماع السقيفة..وما من كتاب في السياسة أو الفقه في الاسلام الا ويبدأ بفصل الامامة .. « أنص هي أم اختيار» من الذي يحكم وبأي حق يحكم هل هو خليفة الله ام خليفة رسول الله ؟ .. وكيف يصل الى الحكم ومن الذي يملك حق اختياره .. وكيف يعزل ، ومن الذي يعزله، ولو أنه اهتم بقراءة تاريخ ابي ذر بدلا من النقل من « مكسيم رودنسون»..لرأى الخلاف بينه وبين معاوية حول المال .. أهو مال المسلمين .. أم مال الله ؟!

لو كان يعلم حرفاً في تاريخ أمته لما ذكر قضية الدولة ، في معرض التشهير بفقر الفلسفة السياسية في الاسلام .. لأنه ما من قضية شغلت المسلمين ، وما زالت تشغلهم مثل قضية الدولة .. منذ أن قال انصاري في السقيفة : « منا

---

(١) أي والله هكذا يرصهم في ٤ سطور !!

(٢) ص ١٨٦/١٨٧

امير .. ومنكم أمير » وصاح خارجي : « الحكم لله .. لا لك يا علي .. » الى وقتنا الحاضر ، حيث ما زال النقاش يدور حول شرعية انتقال السلطة منذ ١٤ قرناً .. !

الدولة ؟!

ما من دين .. ولا حضارة اهتمت بالدولة ونظريات الدولة كما اهتمت حضارتنا .. وما من أمة أراقت دماً مثلما أراقت أمتنا حول الخلاف على الدولة ..

وكل الاسماء التي استعرضها جذور تفكيرها موجودة في الفقه الاسلامي مع مراعاة تطور الزمان واختلاف المكان ..

ويختم حديثه متفائلاً « بأن تحدي الانقلابات في القارات الثلاث لجميع الاديان التقليدية المعروفة ونجاحها التام ضدها ، يجعل الطريق مفتوحاً ، معبداً امام أية دعوة للتحرر منها ، ومن بقاياها في اماكن أخرى » .

تفضل .. ان الطريق مفتوح لكل واهم يغرر بنفسه وبأمته ، وما أكثر المبشرين والملاحدة ، الذين ظنوا منذ قرون عديدة ان الاسلام في الربع ساعة الأخير .. فما أفاقوا الا على آلام قاتلة في رؤوسهم ، من محاولة مناطحة الصخر وبقيت صخرة الاسلام شامخة ..

اما المغرور بهم من عملائهم وتلاميذهم ، فقد افاقوا لكي يجدوا أنفسهم قد عمدوا بماء الامبريالية ، وسقطوا في شراك الاستعمار ، وعملوا ضد بلادهم ضد أوطانهم المستعبدة المستغلة المضطهدة لأنهم لم يتنبهوا لكلمات عمار اوزيجان :

ان رفض الايدلوجية الاسلامية في بلاد مستعمرة ، يضطهد فيها دين الاكثرية الساحقة لسكانها ، هو مجرد تظاهر بتحضر مزيف ، تنادي بـه فئة منفصلة عن الشعب ، غربية الحياة والفكر ، امتصتها أو شلتها ايدلوجية العدو المستعمر . »

القسم الثاني

... إرادة القِـتَال

الحلّ السّلميّ ..

١

ما هي حقيقة ذلك الجدل الذي يدور في بعض العواصم العربية عن الجيش الشعبي ، وما هي احتمالات الحل السلمي ، وما هي نوايا الساعين اليه ، المروجين له ، المتشبثين كالغرقى به ؟ !.

في السياسة ، كما في الرياضة ، يوجد دائماً لكل سؤال جواب واحد صحيح وألف مليون مليار جواب خاطىء .

وفي السياسة كما في الرياضة .. اذا ما كان الخطأ غير مقصود ، فإن احتمال الوصول للجواب الصحيح ممكن بقانون الصدفة البحتة .. ذلك الذي قيل في تفسيره انه لو جلست جماعة من القرود أمام آلات كاتبة ، ملايين السنين ، فانها بالصدفة البحتة يمكن أن تدق على الآلة الكاتبة احدى مسرحيات شكسبير ، أو قصيدة لامرؤ القيس ! .. اما اذا كان الجواب الصحيح معروفاً ، والنية متوفرة لعدم الوصول اليه ، فان مائة مليون عربي خلال مائة مليار سنة ، لن يصلوا الى الجواب الصحيح ، بل سيطرحون من الأجوبة الخاطئة ما لا سبيل الى حصره ولا بالعقول الاليكترونية ! ..

والسؤال المطروح على الشعب العربي هو : كيف نحرر أرضنا ، وارادتنا ، وننتزع استقلالنا ..

والجواب الصحيح المعروف جيداً هو : بأن نهزم اسرائيل في ميدان القتال .

أن نسحق جهازها العسكري .. وندمر كيانها الاقتصادي .. بشله ، باستنزافه في القتال ، بتدميره بضربات عسكرية مباشرة ..

هذا هو الجواب الصحيح .. ولأن هؤلاء الذين ألقت أقدارنا على عاتقهم مسؤولية الاجابة الرسمية ، على هذا السؤال — حتّى الآن على الاقل — لا يريدون أبداً مواجهة الاجابة الصحيحة ، وما تفرضه من التزامات ، لذا نراهم يطرحون كل الأجوبة الخاطئة ، بهدف واحد، وهو تفادي الاجابة الصحيحة.

الجواب الصحيح ، هو خوض حرب غير محدودة الا بالنصر .. والنصر كما يعلمنا التاريخ ، لا يتحقق الا لأمة توفرت لها ارادة القتال والقدرة عليه .. والقدرة على القتال لا يمكن أن تكتسب الا اذا توفرت أولا ارادة القتال .. والجدل الدائر الآن ، حول الحل السلمي ، أو الحل السياسي ، والجيش الشعبي أو جيش الشعب ، انما تعكس ، فقدان ارادة القتال ..

وفي كل معركة بين شعب مهدد في حريته واستقلاله ، وبين غاز يطمع في أرض هذا الشعب ، ويخطط لوجوده ورفاهيته ، على أساس نهب ثروات هذا الشعب ، وافناء وجوده .. دائماً في مثل هـــذه الحالة ، يوجد ، مــن يسمونهم بالواقعيين ، أهل الحساب وقياس القوى ، والاعداد لكل أمر عدته ، والتحرك المحسوب ! .. وهم في الحقيقة دعاة الاستسلام الذين فقدوا ارادة القتال .. لذا فإن حساباتهم لا تنتهي أبداً .. وهي لا تهدف في الواقع الا الى تبديد حماسة الجماهير .. الى تسويف لحظة اعترافهم بالعجز عن القتال ، لا تهدف الا الى استمرارهم أطول مدة ممكنة على كراسي القيادة ، لأنهم يوقنون، ان أي صدام حقيقي مع العدو الغازي ، يعني احتراقهم مع الطلقة الأولى ..

هؤلاء الذين كانوا يحسبون قوتنا ، في مواجهة قوة بريطانيا العظمى ، وبالارقام والمنطق كان يبدو واضحاً استحالة خوض معركة متكافئة ..واستحالة حتّى الأمل في هزيمة مشرفة ..

ولكن الشعوب ترفض هذه الحسابات ، وتعرف ، بغرائزها التي لا تخطىء أبداً ، ان القتال يكتب على الأمم ، فمنها من يختار ان يكون عبد الله القاتل ، ومنهم من يرضى بدور عبد الله المقتول ..

شعبنا رفض الدخول في دوامة حساب تفوق القدرة العسكرية البريطانية ، ورفض كل تحذير أو نصح عن تفوق القدرة العسكرية الفرنسية في الجزائر .. عرف شعبنا هنا وهناك ان النصر هو أن تموت مقاتلا .. وان الهزيمة ، والانسحاق هو أن تعيش دون أن تغزو أو أن تحدث نفسك بغزو بل ترضى بأن تعيش تحت رحمة الغزاة . !

وانتصر حساب الشعوب ، وطويت مجللة بالعار حسابات الاستسلاميين ، فجلت بريطانيا العظمى عن مصر ، واستقلت الجزائر ، وقامت على أرضها دولة عربية اسلامية ، ثورية حقاً .. ذلك لأنه مهما يكن من تفوق القدرة العسكرية ، الانجليزية والفرنسية ، على القدرة العسكرية المصرية والجزائرية وقتها .. فإن ارادة القتال عند الشعبين المصري والجزائري ، كانت متفوقة على ارادة القتال عند الجنود الاستعماريين .. وارادة القتال هي العامل الحاسم ، في كل حرب ..

هذه النظم ، تفتقر أساساً لارادة القتال ، تاريخها يؤكد ذلك ، فهي منذ أن تولت قضية فلسطين برعايتها ، لم يسجل ضدها ارتكاب اعتداء واحد ، ولا بدأت حرباً ولا حتى اصطداماً واسعاً [1] .. كل امانيها ان تكتفي اسرائيل بما حصلت

---

(١) لا يستحون ان يحصوا وينشروا الأرقام الفلكية لاعتداءات اسرائيل عليهم في استجداء شفقة العالم ! ! .. أحب الاحصائيات اليهم هي : فيما يلي جدول بقرارات إدانة اسرائيل في هيئة الأمم المتحدة بين ١٩٤٩ و ١٩٦٤

على سوريا	٤٤٢١٠	
على الاردن	١٤٩٠٣	
على لبنان	١٩٣٦	
على مصر	١٢١٢	
المجمـــوع	٦٢٢٦١	يا عاركم !

عليه وتعفو عند المقدرة .. فالعفو من شيم الكرام ! ولو تركتهم اسرائيل الف عام لما تحركوا ولا قاتلوا .. ولا فكروا يوماً في عبور دائرة الطباشير الصهيونية التي ترسمها حولهم العسكرية الاسرائيلية ..

اسرائيل في مخادعهم ، ولا يخجلون من اعلان انهم سيضربون بقوة ، اذا ما اعتدت اسرائيل ! متى يحسون بالعدوان ؟ .. والى اي عمق يجب أن تصل اسرائيل ، ليصدقوا انهم قد اعتدي عليهم ، وانه قد آن الأوان لكي يثأروا لشرفهم ، فيمدون يدهم إلى هذا السلاح الذي نسوا انه قد استورد للدفاع عن الشرف !

وفي كل مرة تكون اسرائيل هي التي تسعى اليهم ، شأن الآكل والمأكول ، فرغم كل النوايا السلمية التي لدى المأكول ، فإن ذلك لا ينجيه من مخالب أكلة اللحوم ..

منـــذ أن جاءوا وهم يعدون العـــدة لحرب فلسطين ! . ويعلنون انهم سيختارون مكان وزمان المعركة ، ولن يسمحوا لاسرائيل بأن تجرهم الى معركة لا يحددون هم مكانها وزمانها وسلاحها .. وكل الأمم التي فنيت ، بل كـــل الكائنات التي اندثرت ، كانت تحلم بمعركة تدور وفقاً لشروطها ، تحدد هي مكانها وزمانها وأسلحتها .. ووراءها وهي تباد تحت ضربات خصمها انه لم يلتزم بأمانيها وضربها قبل ان تنتهي من تحديد الزمان واختيار المكان واتمـــام شحذ السلاح ! وانه نجح دائماً في جرها الى المعركة الخاسرة ..

ان ارادة القتال هي التي يجب أن تتوفر أولا ، ويأتي بعد ذلك تخير أفضل الظروف للقتال ، لأن الوحش المتربص المتحفز ، المتعطش للدم الموقن ان وجوده رهين بنجاحـــه في وثبته ، وقصم ظهر الفريسة بضربة باطشة واحدة هو الذي سيتخير متى يثب واين يثب .. فهو يعيش لهذه الوثبة وبها .. وهو

الذي يفوز دائما .. بينما القطيع المسالم اللاه بتسافده، وتنازعه على الحشائش ، لن يفكر أبداً في الوثوب ، ولو اتيحت له مليون فرصةَ للفتك بالوحش .. ولأن هذا القطيع لا تتوفر فيه ارادة القتال فانه سرعان ما يتمزق شذر مذر فور أول صرخة من الوحش المتربص .. ويتبدد عند وثبته لا يفكر كل منهم الا في النجاة بجلده وحده .. مع انه لو فر في اتجاه الوحش ، لسحقه تحت اقدامه ، ومزقه ، بل وأفناه في التراب .. ولكن الف مليون شاة تفر من ذئب واحد ، لأن ارادة القتال عند الذئب تقهرهم ، وارادة الاستسلام ترعبهم وتشلهم ، وتنسيهم حتى استخدام ما منحتهم الطبيعة من عناصر المقاومة .

فقدان ارادة القتال ، هو المصدر الحقيقي لكل هذا الصخب حول الحل السلمي ، والجيش الشعبي

٢

كان بوسعنا ان نرفض كل جدل حول الحل السلمي ، استناداً إلى شعار : « ما أخذ بالقوة لا يُستَرد إلا بالقوة » .. وبالطبع يمكن ان تصدر عشرات التفاسير والفتاوى ، حول « القوة » .. غير أننا إذا التزمنا بتساوي طرفي القضية ، فإن اسرائيل لم تأخذ ما أخذته يوم ٥ يونيه ، عن طريق استعراض قوتها العسكرية أو الضغط بها ، والمساومة من خلال ابراز تفوقها ، بالاحصائيات ، على ما لدى العرب من سلاح .. لا .. ان اسرائيل استخدمت تفوقها العسكري في تدمير القدرات العسكرية للعرب ، ثم احتلت الأرض .. ومن ثم فإذا أخذنا معنى العبارة بما يستفاد من صياغتها كان لنا أن نتوقع استخدام العرب لقوتهم في قهر القوة الاسرائيلية ، لكي نسترد بالقوة ، ما أخذته اسرائيل بالقوة ..

ويعزز هذا التفسير ما تأكده ، وتكرره ، كل المصادر العربية ، والمصرية بالذات ، حول استحالة تنازل اسرائيل طواعية عما في أيديها :

«اسرائيل لن تتراجع بالعمل السياسي وحده ..لن نحرر أرضنا المحتلة بالعمل السياسي وحده اسرائيل—ووراءها أمريكا—تريد ثمن الانتصار العسكري الذي تحقق في ٥ يونيه.تريد ثمناً سياسياً.والثمن من غير شك هو دعم الوجود الاسرائيلي. هو قهر الارادة العربية ، حماية للمصالح الاحتكارية والاستعمارية عامة في الشرق الأوسط . هل تسلم اسرائيل وتتراجع ؟ .. ما أعتقد هذا أبداً .. لن

تسلم بالهزيمة السياسية لانتصارها العسكري بل تتطلع بالمناورة والتآمر والعسف والمساندة الأمريكية ، ان تحصل على شيء ، ولن نمكنها من هذا أبداً .. لا صلح ، ولا مفاوضة ، ولا اعتراف ولا تهاون في بقعة أرض عربية . لا بد من حرب نخوضها بحسم لتحرير أرضنا المحتلة » (١) .

ثم يعلن كاتب المقال بعد ذلك ، أننا نخوض هذه الحرب فعلا ، بالصمود .. بالانتاج .. بحركة الجماهير يومي ٩ و ١٠ يونيه الخ ..

وهذا بالطبع يقودنا الى الفتاوى حول حديث . « ما أُخذ .. لا يُسترد » .

ولكن ما يعنينا ، هو تأكيد عدم استعداد اسرائيل للتنازل سلمياً أو سياسياً ، عن أي مكسب حققته ، بل تطلعهما الى الكسب السياسي الذي دفعت ثمنه بالعمل العسكري المنتصر ..

واذا تركنا اجتهادات العقائديين ، فإن المتحدث الرسمي يوافقنا أيضاً على ان الحل السلمي لن يحقق عودة الوضع الى ما كان عليه يوم الرابع من يونيه ولا حتى يوم الخامس عشر من مايو ١٩٦٧ .. ودعك من أهدافنا القومية منذ صدور وعد بلفور .. فما بقي منهم أحد يطالب بعودة الوضع الى ما كان عليه منذ أن كانت فلسطين وكان العرب ..

لنقرأ معاً رأي « صريح الاهرام » .. أو بمعنى أصح محاوراته مع مساعد وزير الخارجية الامريكية :

قال الصريح :

« في ليلة من ليالي الاسبوع الماضي ، قضيت خمس ساعات كاملة في نقاش متصل مع زائر أمريكي صديق هو لوشيوس باتل مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأدنى ، والذي كان سفيرا للولايات المتحدة من قبل في القاهرة ، وكان قد عاد اليها مرة أخرى ليشارك في احتفالات انقاذ معبد رمسيس العظيم بأبي سمبل .

---

(١) « أخبار اليوم » القاهرية .. محمود امين العالم – عضو اللجنة المركزية ١٩٦٨/١٠/١٩

وكان بين الموضوعات التي سرى اليها نقاش الليل الذي امتد من الثامنة مساء الى الواحدة صباحاً ، هذه النقطة على وجه التحديد .. واذكر انني قلت للوشيوس باتل :

لقد كان خطر اسرائيل قبل معارك يونيه ، خطراً قومياً عاماً ، وأما بعد هذه المعارك ، فلقد اتضح يقيناً — ما كان من قبل مجرد افتراض — وهو ان اسرائيل الى جانب الخطر القومي العام — خطر وطني مخصص وموجه الى عدد من البلدان العربية يهددها في الصميم ..

بعد معارك يونيو لم تعد القضية مجرد فلسطين..وانما أصبحت— الى جانب ذلك — قضية مصر وقضية سوريا وقضية الأردن وقضية العراق وقضية السعودية وقضية لبنان.

لقد ثبت عملياً بعد معارك يونيه ١٩٦٧ ان اسرائيل لها مطامع اقليمية في أراضي هذه البلدان العربية كلها ، فضلا عن فلسطين . وفي سمعنا الآن اصوات المطالبين باسرائيل الكبرى ، كما يقولون ..

واذا كانت « اسرائيل الكبرى » لم تصبح بعد سياسة رسمية لدولة العدو ، فليس ذلك راجعاً الى عفة الذين لا يريدون ، ولكن الى عجز الذين لا يقدرون ، والعفة هي الامتناع مع القدرة ، اما العجز مع الرغبة ، فليس عفة وهو أبعد عنها ما يكون »[1].

أما البحث عن عفة اسرائيلية ، والتعريف البديع للعفة .. فإن كنت شجياً ، يشجيك احتلال اسرائيل لأرضك ، وبيعها بترولك ، فلا تتوقف عندها كثيراً فهي عبارات ترف يقولها خلي في أمة شجية ! .. خلي ، تشغله ، قضية « الشرق الاوسط » ، رغماً عنه ، ورغماً عن نواياه في نسيانها ! .. فهو يشكو الحاح هذه المشكلة عليه : « مرة أخرى ، تعود التطورات فتشدني بالرغم من كل

(١) الاهرام ١٩٦٨/١٠/٤

النوايا الى أزمة الشرق الاوسط ! .. وفي جو تتحرك فيه الأزمة نفسها ، وتتحرك فيه الحوادث من حولها فإن أي صحفي يجد قلمه، أو لعله قلبه (؟!) لا يطاوعه ، مهما حاول ، على الاقتراب من أي موضوع آخر » .

مكره اذن ، لا بطل ، يكتب عن « الشرق الاوسط » ، ومكرهين نحن على أن نقرأ له ..

وأشهد أنه رغم هذا الاكراه يكتب متأنقاً باذلا كل جهده للحفاظ على البلاغة العربية ، ولو لجأ الى السجع والجناس والتورية والتشبيهات الجميلة ، وهو يحس ان الموضوع قد فقد عناصر الاثارة الصحفية،فيعتذر لنا الف مرة كلما أراد أن يكتب عن هذا الذي يسميه « أزمة الشرق الأوسط » بينما اشتهر عند العامة بأنه : احتلال سيناء ، والاستيلاء على بترولنا ، وبيعه جهاراً نهاراً .. وتحريم الاستحمام في مياه القناة على المصريين ، وشن الغارات التأديبية حتى « نجع حمادى » .. اسم ذلك كله عند عميد الصحافة وكبير المتحدثين ، وكاهن معبد آمون ، القادر وحده على ترجمة مشيئة الآلهة .. اسمه : « أزمة الشرق الأوسط » كأنه متحدث فرنسي أو اسكنديناني ! .

يقول — وحسبنا الله ونعم الوكيل — : « كان مفروضاً أن أواصل الكتابة في المشاكل الداخلية التي بدأت حديثها قبل اسبوعين . وزيادة على ذلك فإن المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي العربي ، قد انهى دورة انعقـــاده الأولى بمجموعة من القرارات والتوصيات ، تجعل الجو كله مهيئاً لقبول حديث المسائل الداخلية ، قبل أي شيء غيره . لكن برغم ذلك ، استأذن هذاالاسبوع فقط ان اتجه بسرعه إلى موضوع آخر هو : أزمة الشرق الأوسط التي أشعر ان الحوادث تتحرك على حافتها ، حركة محسوسة ، وان تكن غير ملموسة (ارأيت احياء التراث في السجع ؟!) حتى الآن ، لكنها قد تتطور في أي وقت ، ولذلك فقد يكون من المستحسن — وبغير انتظار — القاء نظرة مبكرة

عليها ، تحاول استكشاف ما يجري عند الحافة المعتمة للأزمة (يبدو ان حافتها المشرقة هي التي لا يرونها) ولأن الحركة التي تجري عند الحافة الآن محسوسة ، وان تكن غير ملموسة .. ولأن الحافة نفسها معتمة لا تسمح برؤية تستطيع أن تحدد وتميز بوضوح .. فلقد يكون خير أسلوب للاستكشاف ، هو تحريك شعاع ضوء يدور على الجو المحيط بالأزمة ، ويلقي ومضات تجري على بعض المواقع فيه .. وان يكن تصوير هذا الأسلوب أنه — بالقطع — لا يعطي صورة كاملة بل انه قد لا يعطي خطاً منطقياً ومتصلا ومتماسكاً ، ومهما يكن فالمحاولة بتحريك شعاع ضوء يبقى أفضل من اجهاد العين تحديقاً في العتمة ! ! » [1]

ويل لأمة [illegible] من خلي يتحدث باسمها ! ..

وهذه الوقفة الطويلة من جانبنا ليست لنقد الأسلوب ، بل لنكشف طبيعة نظرتهم الى القضية .. فهي « أزمة الشرق الاوسط » وهي لا تثيرهم ، بل تفرض نفسها على كتاباتهم ، وبودهم لو انصرفوا الى قضايا أخرى .. وهم عندما يكتبون فيها لا ينفعلون إلى حد نسيان بلاغة اللفظ ، وحبكة الصنعة الصحفية.

وصورة الوطن في ذهنهم ، اننا أمة تعيش في كهف تحدق في الظلام وتجهد عينها في قراءة طالعها .. ولكنهم يقترحون أفضل من ذلك ارسال شعاع من الضوء !

فإذا عدنا [illegible] تلك الذي اكتشفوه بعد الخامس من يونيه ، سنجد أنفسنا مرة أخرى [illegible] تصورهم للقضية ، فهم قبل الخامس من يونيه كانوا يعتبرونها خطراً [illegible] عاماً لا يتهدد مصر ولا سوريـا .. بل كان « مجرد افتراض » ! . [illegible] يسمعون منذ ذلك التاريخ فحسب ، بمن يتحدثون عن « اسرائيل الكبرى » ولا ندري ما الذي يعنيه بأنها لم تصبح بعد سياسة رسمية لدولة العدو .

(١) الأهرام ٧ [illegible]

ان اسرائيل الكبرى سياسة رسمية للعدو ، قبل أن تكون له دولة ، وهي سياسة رسمية لدولة العدو منذ لحظة تكوينها ، فهل يقصد أنها لم تصبح علنية ؟ هذه نقطة لا أهمية لها ، فان جميع الدول لا تعلن سياستها الرسمية دائماً .. ودولاً أخرى تعلن دائماً . ما ليس هو بسياستها الرسمية ! .

المهم انهم حتى الخامس من يونيه ، وما جرى فيه كانوا يحسبون مطامع اسرائيل او الخطر الاسرائيلي مجرد افتراض .. كخطر الصين النووي على الولايات المتحدة الأمريكية .. او افتراض التهديد السوفيتي بغزو الصين .. أو خطر تحويل الحبشة لمنابع النيل !

بعدما جرى في سيناء ١٩٥٦ ، وتغيير جميع اسماءها العربية الى مسميات عبرية ! وبعد ما بكى بن جوريون وهو يعلن الانسحاب من سيناء ! .. بعد كل ما قيل ، وما كتب ، كانوا لا يعتقدون ان اسرائيل تنوي حقاً احتلال اراضينا أو تطمع حقاً في الاستيلاء على اجزاء من أرضنا .. ولا كان يخطر ببالهم أنه خطر داهم عاجل ! ! وشهد الله ان اسرائيل وقادة اسرائيل وصانعي اسرائيل ، لم يبخلوا بجهد في اعلان نواياهم هذه وتوضيحها .. وكم قلنا في اذاعاتنا ، وكم نشرنا في صحفنا : انه في برلمانهم ، وليس في كهوف عصاباتهم توجد خريطة عليها أرضنا جميعاً .. جميع الدول التي يعددها ومنقوش عليها : « من النيل الى الفرات هذه أرضك يا اسرائيل ! » .. فأنتم الذين خدعتكم أنفسكم بالأوهام ..

اسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي لا تحدد حدودها ! ..

اسرائيل لم تكن أبداً مجرد وجود ديني عند حائط المبكى .. اسرائيل تعتمد على الشعور الديني والإيمان الديني والتعصب الديني عند الجماهير اليهودية كي تحقق استراتيجية استعمارية وهي بناء الامبراطورية العالمية لليهود .. في نفس الموقع الذي حكمه كل من تطلع الى امبراطورية عالمية ونجح في اقامتها .. شرق

البحر الأبيض المتوسط .. حيث كان الفراعنة .. وكانت أول امبراطورية في التاريخ .. وبعدهم جاء اليونان ، وأصبح الاسكندر امبراطوراً عالمياً عندما نجح في الاستيلاء على شرق البحر الأبيض .. وبعد اليونان جاء الرومان .. ثم العرب والاتراك .. وأخيراً الانجليز .. وكلها كانت امبراطوريات عالمية .. لأنها وُجدت في شرق البحر الأبيض مركز العالم القديم ، وبوابة آسيا وافريقيا ..

والرأسمالية اليهودية العالمية ، متحدة المصالح ، أو ملتقية المصالح ، أو مسخرة احداهما الأخرى ، مع الرأسمالية الامريكية ، تسعى بدأب للسيطرة على شرق البحر الأبيض ، ومن ثم فحدودها تخططها قدرتها العسكرية ، وضعف الدول المحيطة بها ..

اليهود لا يريدون وطناً قومياً ، بل امبراطورية عالمية ، ومن ثم فإن جيوشهم لن تقف الا عندما تُجبر على ذلك .. ونصوص التوراة والتلمود تحتمل التفسير ، بما يدخل القطبين في أرض الميعاد .. وان المنطق الذي كان يبيح لبريطانيا أن تحتل مصر وكل منافذ البحار لكي تحصل على حدود آمنة في الهند ، هـــذا المنطق الاستعماري كفيل بأن يجعل حدود اسرائيل الآمنة هي المحيط الهادر والخليج الثائر ! .. [1]

هذه الحقائق ، ما كانوا يعونها قبل الخامس من يونيه ، وهم مضطرون الآن لمواجهتها ! .

فهم دائماً ابداً يفكرون في التعايش مع اسرائيل، في «تسوية عادلة» لقضية اللاجئين ، ثم انهاء « أزمة الشرق الأوسط» والتفرغ للشعوب العربية.. أو على الأقل تجميد الوضع مع اسرائيل ..

ان مراكز القوى التي ينطق باسمها «صريح الأهرام» لا تحس أبداً أن الصراع العربي اليهودي ، هو صراع حياة أو موت ، بل هو أزمة من أزمات « الشرق

(١) المال السايب يعلم الأولاد الحرام ..

الأوسط» .. ولم تفقد الأمل أبداً في عفة اسرائيلية أو نخوة اسرائيلية تنهي ذلك الوضع المحزن .. وانفعالها في كل مرة تنزل بها اسرائيل ضربة قاتلة بكل حقد المصرّ على اقامة امبراطوريته ، فوق حطام العاجزين .. في كل مرة كان انفعالهم ينعكس في شكل دهشة ومرارة العاتبين .. وليس أدق في الدلالة عن حالتهم هذه من التعبير المفضل عندهم وهو « **العدوان الغادر** » ! ..

ونقبوا في جميع القواميس ، ان وجدتم أحداً قبلهم وصف ضربات عدوه المصيري بأنها « غدر » ! .. الغدر يأتي من الأصدقاء ، أو ممن لا نحمل لهم أية نوايا عدوانية ، ولا نتوقع منهم عدواناً ..

في سنة ١٩٥٥ كانوا متفرغين للبناء الحضاري ، ففوجئوا « بعدوان غادر » على الصبحة والكونتلا ، مما اضطرهم لرصد ميزانية عسكرية ، والبحث عن سلاح ..

وفي ١٩٥٦ كانوا منصرفين الى مواجهة الاستعمار وتحطيم احلافه .. وكانوا يتوقعون مساندة الشعوب والقوى التقدمية .. ففوجئوا « بالعدوان الغادر .. »

وفي سنة ١٩٦٧ كانوا متفرغين لتحرير اليمن ففوجئوا « بالعدوان الغادر »

وبعد يونيه .. كانوا يقبلون وقف اطلاق النار .. ومتفرغين لدعم قواهم العسكرية في انتظار اشارة بدء الجولة العاشرة .. ففوجئوا « بعدوان غادر » على الزيتية ..

وكان وزير خارجيتهم ينتظر عودة ابا ايبان من تل أبيب « بآخر كلام » .. ففوجئوا « بعدوان «غادر» على «نجع حمادى» ، مما أدى الى صدور مرسوم تأسيس الجيش الشعبي .. ولن يتكون الا بعد « عدوان غادر » على السد العالي .. ولن يتسلح الا بعد « عدوان غادر » يدك أهرام الجيزة ..

بدلا من ذلك كله يقترح « الصريح » على اسرائيل اسلوباً لكسب العرب ،

او اثارة اريحيتهم وتفتيت مقاومتهم واذابة حقدهم ! وهو بمعنى أصح يعبر عن حقيقة ما كانت ، وما تزال ، تتوقعه هذه الفئة من سلوك اسرائيل .. ما كانت تأمله في سياسة ما تسميه بالحمام الاسرائيلي .. من موسى شاريت الى اشكول .. واليوم بيجال آلون

يقول الصريح في محاوراته « مع السفير الامريكي السابق الذي جاء في احتفالات رمسيس العظيم» : « دعنا نتصور مثلا ماذا كان يمكن أن يحدث لو أن اسرائيل ، انسحبت من كل الأراضي العربية التي احتلتها بعد حرب يونيه ، من تلقاء نفسها وغداة انتهاء المعارك .

كان بوسعها ان تقول للعالم العربي وللعالم الخارجي بأسره : « لقد أحسسنا بوجود خطر داهم علينا وتصرفنا بسرعة للقضاء عليه ، وكانت تلك ضرورة أمننا كما نشعر به . ولقد حطمنا التهديد العسكري العربي الذي كان موجهاً الينا وحققنا انتصاراً لا شك فيه لكننا بعده ننسحب طواعية ، وبغير ضغط من أحد وبغير اكراه ، نريد أن نثبت لكم — أيها العرب — ان كل تصوراتكم عن مطامعنا التوسعية مزاعم لا أساس لها ..

«لا نريد غير أن نعيش معكم في سلام داخل منطقة من الأرض محدودة»

هل تتصور مدى الآثار (الصريح يتابع شرحه) التي كان يمكن ان تترتب على موقف اسرائيلي بهذا الشكل ؟ .

كان يمكن أن تترتب على ذلك آثار واسعة المدى ..

أولها انه كان من الصعب على أي بلد عربي ان يعود الى بناء قوته المسلحة بسرعة أو بهمة .

كان السؤال الذي سيطرح نفسه تلقائياً هو : اية قيمة للقوة العسكرية فيما نحن بصدده ، لقد قضينا سنين طويلة نبني الجيوش ، وفي أيام قليلة ضاعت منا الجيوش ، واذن فانه لا بد أن يكون لهذه المشكلة حل آخر غير القوة المسلحة » .

« وثانيهما انه كان من المحقق ان تظهر في عدد من البلاد العربية ، تيارات

تنادي بأن ما نتصوره عن الخطر الاسرائيلي موهوم في شيء منه ، وان اسرائيل لا تهددنا في مصر أو في سوريا أو في الأردن أوفي العراق أو في السعودية أو في لبنان وانما هو تهديد محصور في جزء من فلسطين ، وعلينا أن نضع صراعنا معه في هذا الاطار المحدود ..

ولكن اسرائيل لم تفعل شيئاً من ذلك ، وانما كان موقفها عكسة تماماً .. وكان أن أعيد بناء الجيوش العربية بسرعة وهمة ، وكان أن أصبح الشك يقيناً ، محققاً ، في مطامعها التوسعية ، لم تعد المسألة افتراضات او استنتاجات ، وانما تكشفت تماماً كضرورة حياة » أهـ .

لو كان هذا الكلام مجرد محاجاة لسياسي أمريكي ، لما كانت هناك حاجة لنشره بالعربية .. فلقد أدى دوره خلال مقابلة الليل ، في اثارة سخرية ورثاء الأمريكي من سذاجة وعجز وصبيانية التفكير العربي .. فلا داعي اذن لنشره علينا ![1] ومن ثم فمن حقنا ان نقول إنه يعكس تصور الصريح لحل « أزمة الشرق الأوسط » وانهم لا يطمعون في أكثر من بادرة اسرائيلية ، تعينهم على مواجهة الجماهير ، وتسريح الجيوش ، والكف عن تكديس الأسلحة ، فحتى مجرد تكديسها اصبح عبئاً ينوؤون به ..

---

(١) المفروض في حوار مع ممثل للسياسة الامريكية حول العدوان الاسرائيلي ، المفروض أن القارىء أكثر شوقاً لمعرفة المنطق الأمريكي منه الى حجج متحدث عربي ، او على الأقل يريد تتبع المناظرة بين طرفيها .. غير أن التنزيل ، لا يقدم لنا الا حوار الصحفي العربي .. ولا كلمة واحدة من المتحدث الأمريكي .. وليس في ذلك ثمة خطأ صحفي ! .. فالصحفي البارع يعرف جيداً ، وجهة نظر القارىء العربي ، والمصري بالذات ، في هذه المحاورات الوهمية فما من أحد يبحث عن رأي سقراط ، والكل يعرف انها اراء افلاطون ، فليس يعنينا ما يقوله الأمريكي ولا قوة حجة المتحدث الصحفي ، انما يعنينا أن نستشف مما ينشره علينا بعض الأخبار عن مصيرنا ، واتجاه الريح التي تسوق سفينة أمتنا .. وكفى مذلة بأمة ان تتعرف على مصيرها من قراءة ما بين السطور صباح كل جمعه في مقال لصحفي لا يكف عن اذلالها بأن يعلن في تواضع الدجالين العتاة .. انها اجتهادات شخصية .. وانه لا يدعي العلم ، انما هو من فضل الله ! ..

بل لعلنا نفترض ان هذه المحاورة يُراد لها ، أن تُسمع في مكان آخر من « الشرق الأوسط » وأن يقرأها من لا يقرأون بالعربية ..

لو ان اسرائيل تتقدم بأريحية ، أو عفو الكرام عند المقدرة بعد « انتهـاء المعارك » .. بعد أن أوقفنا اطلاق النار ، وأنهينا معارك اسرائيل .. وفقاً للوساطة السوفيتية ، التي كانت تفترض انسحاب اسرائيل وفتح خليج العقبة لسفنها .. كان « العشم » ان تقول الجماهير ما جدوى تكديس السلاح في يد امثال هؤلاء الذين يبددونه في أيام .. ووقتها كان الأمل في ظهور اتجاهات ، بل قل تتشجع « اتجاهات » موجودة فعلا ، على أن تقول : « لا معنى لمحاربة اسرائيل .. هيا نتعايش معها » لا داعي لبناء القوة العسكرية ، لنعش في ظل القوة العسكرية الاسرائيلية ، ونواياها الطيبة .. أو على أفضل تفسير ، في ظل حماية دولية .. لنبحث عن حل آخر « لما نحن بصدده » . وما دام الخطر لا يتعدى ذلك « الجزء المحدود » من فلسطين .. فعلينا ، مقتدين بفلسفة جحا ، أن نضع « صراعنا معه في هذا الاطار المحدود » ولا شك اننا ما دمنا لا نحتاج لبناء الجيوش وتكديس السلاح ، في هذه الحالة ، فلا بد أن صراعنا سيأخذ شكلا خاصاً غير القتال والاصرار على فلسطين العربية ..

— ولكن — وا أسفاه ! — اسرائيل لم تفعل ، ومن ثم فقـد اضطررنا الى ان « نعيد بناء الجيوش بسرعة وهمة » .

أحقاً لو أن جيش الدفاع الاسرائيلي فتك بجيوشنا ، واحتل ارضنا ، نحن الدول العربية الثلاث .. ودك جميـع مطاراتنا في أقل من نصف نهار .. وأعلن أن الطريق مفتوح امامه الى القاهرة .. واعترفنا أنه لم يكن هناك جندي مصري واحد بين موشى ديان ، وبين القاهرة .. وان التليفون الأحمر تدخل ليمنع سقوط دمشق ! ..

أحقاً لو أن اسرائيل بعد ذلك كله ، ألقت موعظة في حسن السلوك على

الصبية العرب الأشقياء ، فقالت : « ايها العرب .. لقد احسسنا بوجود خطر من جانبكم فتحركنا وحطمنا تهديدكم العسكري ، وحققنا عليكم انتصاراً لا شك فيه ، لكننا بعده ننسحب طواعية وبغير ضغط من أحد ، وبغير اكراه» فنحن نبطش حين نبطش قادرين .. ونعفو إذ عفونا قادرين ! .. نتركك ايها الصغار ، ونرجو أن تحسنوا السلوك في المستقبل . وإلا فإن القيد باق والطواشي ديان ! ..

أحقا كان ذلك يصرف الأمة العربية عن التسلح .. ويصبح من الصعب على « أي بلد عربي أن يعود الى بناء قوته المسلحة » لأن الجماهير ستأثرها هـذه النخوة ؟! ..

ما نوعية هؤلاء الذين يقودون أمتنا ؟ .. ما معلوماتهم عن الشرف والكرامة ما معلوماتهم عن أمتهم واحترامها لنفسها ؟ ..

أحقاً كانت أمتنا ستتقبل هذه المهانة بالشكر واعادة النظر في موقفها من اسرائيل ؟

ان نزع فروة الرأس ، اقل ايلاماً من مثل هذا القول ، فضلا عن فعله !

أقسم لك ايها الصريح .. ان ذلك لو حدث لمات نصف شباب هذه الأمة كمداً .. فإن القتل والاستمرار في تمزيق اللحم الحي ، أهون ألف مرة مـن اهدار الشرف ثم العفو ، واطلاق سراح المهدور شرفه ، والمن عليه بذلك ..

حقاً ان الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها .. ولكن الانسان السوي ، الموت عنده أهون ألف مرة من أن يجز عدوه ناصيته ، ثم يطلق سراحه ، مصحوباً بالنصح بحسن السير والسلوك ! ..

الحمد لله ! .. ان المعارك لم تنته .. كما تقول .. بل بدأت بالذات فور اختفاء الجيوش ذات الأسلحة المكدسة ، وقبول العرب الكبار وقف اطلاق النار .. بدأت المعارك ، وقتها فقط ..

أو تسمي ذلك الذي جرى من ٥ يونيه الى ٨ منه معارك ؟! . الا تستحي ؟ إن المعارك لم تنته يوم ٨ بل بدأت بعمليات الفدائيين فحمت شرفنا من مثل هذه المهانة ..

اثبت الفدائيون أن السلاح مفيد بقدر ما هو ضروري ، وان العدو ليس مارداً ولا من الجن .. وان المهم هو ارادة القتال ..

أليس الاصرار المبالغ فيه على وصف ٩ و ١٠ يونيه[١] بأنها رمز الصمود ، وبداية التحول في الموقف .. انما يقصد به تغطية نقطة التحول الحقيقية ، وهي عمليات الفدائيين .. التي نسفت جو الانهيار ، ففجرت ارادة الصمود ..

على أية حال اننا نهتم بهذا الحديث للتدليل على أنه ما من أحد يجرؤ على القول بأنه يتوقع عودة الاوضاع الى ما كانت عليه في ٤ يونيه بالحل السلمي يقول هيكل :

« ان اسرائيل ليست في اوضاع تسهل لها ان تستجيب للضغط السياسي العالمي ، أو حتى للضغط الأمريكي على فرض انه احتمال قائم أو قد يقوم ، وذلك لأسباب عملية أخرى :

● ان اسرائيل هي الأخرى على ابواب انتخابات عامة [٢] .

● ان الرأي العام الاسرائيلي بفعل حملة الدعاية الصاعقة التي صاحبت معارك يونيه سنة ١٩٦٧ قد وصل ، أو وصلت قطاعات كبيرة منه ، الى حالة من الثقة الزائدة بالنفس لايسهل معها الاقتناع بالمنطق أو بالضرورة .. كذلك فإن الاساطير لفت ودارت من حول بعض البقاع المحتلة وبينها القدس القديمة

---

(١) دون التقليل من خطورة تحرك الجماهير في ٩ و ١٠ يونيه..ولو أن لنا تفسيرنا لهذا التحرك (راجع : « ماذا يريد الطلبة المصريون ؟ ») .

(٢) وهكذا ترى أننا بعد استجداء مصيرنا من الانتخابات الأمريكية ، أصبحنا نفتش عنه في انتخابات اسرائيل ؟! هل يا ترى لا يأبه بنا العالم لأنه ليس لدينا انتخابات ينتظر نتائجها ؟! ..

بالذات الى درجة لم يعد ممكناً ازاءها غير القسر والارغام ..

● ان المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، ولها الدور الاكبر في الحكم داخل اسرائيل ، تعتقد معنوياً انها صاحبة حق في انتصار كبير لا يمكن للسياسة أن تأخذه منها ، كما انها عملياً تعتقد انها اذا لم تستطع تأكيد كل شروطها ، فإن خطوط وقف اطلاق النار أنسب لها من أية خطوط أخرى » .

بل لا يفوت الصريح ان يقرع أولئك الذين يفكرون بالحل السياسي ، ويتركنا في حيرة ولا حيرة هاملت باحثين عن من هم أولئك الذين يريدون الحل السياسي أو يؤمنون به ، والذين يحذرهم الصريح على صفحات الأهرام ، مع انه يملك في مخاطبتهم ، وسائل أسرع وأكثر أمناً ، وأقل فضيحة ..

يقول في حروف سوداء للفت النظر : « وحتى اذا كان هناك من يرون بالحل السياسي ، فإن هذا الحل يرتبط باوضاع القوة العسكرية العربية.. وبالتالي فإن الموقف من جانبنا — مهما كانت مرارته — لا يستدعينا الى اللهفة أو التهافت .. ان الحل ليس هو الاولوية الطاغية الآن . وانما اعادة بناء القوة العسكرية العربية ، والمصرية بالذات ، هو الاولوية التي لا تعدلها أولوية أخرى . وبإعادة بناء القوة العسكرية فاننا نصبح منطقيين مع عبرة التاريخ ، ومع عبرة المستقبل ايضاً .. بالقوة العسكرية يمكن لنا ان نتصرف وفق ما نراه حتمياً بالنسبة لحق أمتنا وأمنها ومصلحتها .. لقد كان صحيحاً دائماً ، وسوف يكون صحيحاً دائماً ، انه لا حق لمن لا قوة لديه ، يحمي بها حقه ، بل لا كرامة لمن لا قوة لديه ... الخ » [1] .

سنؤجل الحديث عن لعبة بناء القوة العسكرية ، لعبة « الزرع فوق السطوح » كما كان الجبرتي يصف وعود ومشاريع المضلل الكبير .. محمدعلي باشا .. لعبة

---

(١) هيكل ٤/١٠/١٩٦٨

طهي الحصى الذي كانت تعلل به المرأة صبيتها ، حتى يغلبهم النوم ، لولا ان اعفاها عمر من عملية التضليل هذه ، فنبه الصبية وأطعمهم ..

المهم أن « الصريح » لا يؤمن بامكانية عودة الاوضاع الى ما كانت عليه بالحل السلمي .. وليس هو وحده .. بل يؤكد آخرون :

« ان كلام ديان واضح وصريح وقاطع الدلالة بحيث لا يبقى ثمة مجال للتمني بامكانية نجاح الحلول السلمية ، أو حتى بامكان تجميد الأزمة حيث هي »[١] .

اذن فالاجماع تام على أن الحل السلمي لا يمكن ان يحقق عودة الوضع الى ما كان عليه وباختصار فلا يمكن انسحاب القوات الاسرائيلية بلا مكاسب ، بالحل السلمي .. بل ولا يمكن انسحاب هذه القوات مقابل التنازلات التي أعلن الجانب العربي استعداده للتنازل عنها ، وان كانت قدرته على تنفيذ ذلك موضع شك كبير ..

فقد سمعنا حتى الآن عن استعداد لانهاء حالة الحرب ، والسماح لاسرائيل بالمرور في المياه العربية خلجاناً وقنوات ! .. ونزع سلاح سيناء والجولان .. وانهاء الوجود المصري في غزه .. وبعض التعديلات في الأرض .. والمساومة على القدس باللاجئين .. أو على اللاجئين بالقدس ..

كل هذا عرضوه .. ثم ها هي تأكيداتهم تثبت لنا (؟!) انه حتى الوصول الى هذه المهانة ، مستحيل ، سلمياً ..

وذلك طبيعي ، فإن أية تسوية سلمية ، تقوم على حساب كل من الطرفين لاحتمالات الكسب والخسارة ، اذا ما استخدم السلاح .. ومن ثم يحاول الطرف الذي يتوقع الخسارة أن يدفع اقل مما سيتحتم عليه أن يدفعه في حالة

---

(١) مجلة الحرية البيروتية ١٩٦٨/١٠/٢٨

خسارة الحرب ، ويحاول الطرف الراغب في القتال ، الحصول على ما يوازي مغانم الحرب المنتظرة .. وبين هذين الخطين تدور المساومة والضغط .

والتسوية السلمية تعني دائماً ان هناك غالب ومغلوب–بعكس كل ما يقال – ولكن دون اطلاق الرصاص ، وهي دائماً تجري بين طرفين متكافئين يشكل صدامهما دماراً خطيراً للمنتصر والمنهزم على السواء .. ولكن أهم من ذلك ان صراعهما يدور حـــول المزيد .. اي أنه في الغالب يكون حـــول التوسع الامبراطوري ، حول اقتسام الآخرين .. فمن الممكن ان تمارس روسيـــا وأمريكا لعبة حافة الهاوية واستعراض العضلات حول كوبا والشرق الأوسط ، ولكن أمريكا لا تتردد في خوض حرب فناء اذا فكرت روسيا في الاستيلاء على فلوريدا أو ألاسكا .. كذلك لا تتردد روسيا في القتال ، اذا ما نبتت اطماع امريكية في سيبيريا أو في اكرانيا..لذلك فإن القدرة الامريكية تردع روسيا دون اطلاق النار ، ولكنها تضطر الى استخدام قوتها الى أقصى حد في فيتنام ، ونفس الشيء بالنسبة لروسيا فهي مضطرة الى استخدام قوتها ضد تشيكوسلوفاكيا ، بينما لا تجد نفسها بحاجة الى ذلك في الضغط على الولايات المتحدة ..

فلعبة توازن القوى أو التهديد بالقوة العسكرية دون استخدامها ، محدودة المجال جداً ، وهي تتطلب ظروفاً خاصة ، وهي تقوم أساساً على يقين كل من الطرفين بأن هناك حداً ، لا يتردد عنده خصمه ، في استخدام السلاح .. اما لو أيقن أحد الطرفين ان الآخر لن يلجأ للسلاح أبداً .. فإن المواجهة تنعدم ، ولا يبالي عندئذ بأي صخب يصدر من خصمه ..

كيف نفسر هذا الالحاح على الحل السلمي ، وفي نفس الوقت ، على التأكيد على عجزه عن تحقيق الانسحاب الكامل غير المشروط ؟! ربما لاقناع الجماهير

بقبول تنازلات أكبر ..

غير أنه يقال لنا في تبرير الاستمرار في الحل السلمي :[1]

● ان المقصود هو كسب الرأي العام العالمي .. اذ لا يجوز ان نظهر بمظهر المتعنت .

● كسب الوقت حتى نتقوى عسكرياً ، فنحن لا نخسر شيئاً ، نفضح اسرائيل عالمياً ، ونؤلب ضدها العالم ، ثم نبني قوتنا العسكرية ، فإذا اعددنا لكل شيء عدته ، لوحنا بقوتنا العسكرية فاما ترتدع اسرائيل ، أو نهتك حجاب الشمس ، فتمطر الدم ..

---

(١) اكتفينا هنا بمناقشة المواقف العربية ، التي تسعى لتحرير الأرض بالدم ، أو التي تدعي قدرتها تحقيق ذلك بالحل السلمي . اما الموقف الثالث الذي يرفض الحل السلمي ويمنع الشعب من تحرير الأرض بالقوة ، فهو موقف اسرائيلي .. يحقق اهداف اسرائيل ويطابق اسلوبها في الاحتفاظ بما احتلته .. رفض الحل السلمي .. ورفض الحرب ! .

الرأي العام العالمي

وفكرتهم عن كسب الرأي العام العالمي ، تقوم على استجداء عطفه .. بتعرية عاهاتهم ! . يظنون انه كلما بدا ضعفهم وتساهلهم وطيبة قلبهم ، في مواجهة جبروت وطغيان وتصلب اسرائيل .. كلما كسبوا عطف الرأي العام !

وهو تفكير فاسد لأن :

● تكوين الانسان الغربي ، الذي يطمعون في عطفه ، لا تثيره هذه الحالة من عدوان القوي على الضعيف . ان أقرب المقربين لهم من كتاب الغرب ، والذي يحتفون به ،ويوجهون له الدعوة لزيارة البلاد العربية تحية لموقفه وعطفه، يقول لهم صراحة ، ان ابادة الشعب العربي في فلسطين ، ليست جريمة بالمقاييس الغربية ، فهكذا كان تاريخ الغرب الاستعماري ، الانسان الغربي الذي بنى حضارته على إبادة شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا .. والذي علم الجنس البشري كله أن يطرب ويتحمس ويدفع نقوده لكي يرى الأبيض القوي يبيد الهندي الأحمر وينتزع أرضه .. حضارة طرازان والكاوي بوي .. لا يمكن أن نثير عطفها بالحديث عن ابادة « المتفوق » اليهودي ، « للمتخلف » العربي .. بالعكس ان الدعاية الصهيونية في كسبها للرأي العام الغربي ، لا تركز إلا على هذه « الجريمة » وتطالبه علناً بأن يدفع ثمن قتل العربي.. « ادفع دولاراً تقتل عربياً » ..

هذا الحيوان الرأسمالي ، الذي يستثيرون حماسته للتبرع ، بأن يؤكدوا له أن أمواله لن تذهب هباء ، بل ستحقق أكبر عائد ممكن ، وهو قتل العربي .. كل دولار بعربي ! .. أمثل هذا نتوقع استثارة عطفه ، بالنواح على ضعفنا ، وابراز تفوق وعدوانية اسرائيل ؟! ان من عناصر معاداة الرأي العام الغربي لنـــا ، انه يتصور الاسرائيليين يقومون بنفس الدور الذي قام به أسلافـــه الامريكيون ضد الهنود الحمر ، والاوروبيون ضد الافريقيين السود ..

الرأي العام الغربي لا يحترم ولا يعطف على الضعيف العاجز أبداً .. ان تكوينه وتاريخه وتفكيره لا يسمح له بهذا العطف ، ولا يسمح لنا بالجري وراء هذا الوهم .. انه نتاج خمسة قرون من الفتك بالشعوب الضعيفة ، وابادة الأمم العاجزة .. فما الذي يجعله يستنكر اليوم ما قام به هو بالأمس ؟ وما لا يتورع عن القيام به اليوم .. لولا أن عائده لم يعد يوازي تكلفته ..

● وليس صحيحاً ان الرأي العام العالمي يقف مع اسرائيل ، لأنها صورت نفسها ، في صورة الحمامة الوادعة ، الضعيفة ، التي لا أطماع لها الا العيش بسلام .. أبداً ان اسرائيل لا تتحفظ في اعلان ، أهدافها التوسعية .

وزير اعلامها يعلن « ان النصر العسكري الاسرائيلي قد أسقط اتفاقيات الهدنة » ويؤكد أن اسرائيل لن تعود لحدودها القديمة ..

وكتاب « يائيل ديان » الذي طبع مرتين في أقل من شهر ، تقول سطوره الأخيرة بكل عنجهية ، بلغة القرن التاسع عشر :

« أحب سيناء التي لم تكن قد أصبحت ملكاً لنا بعد » .

« قال اريك لقائد الطائرة : « طر على ارتفاع منخفض الى العريش واتبع الساحل وانت على أقل ارتفاع ممكن » جلسنا ونحن نحملق في المناظر من الجانب المفتوح من الطائرة . كان هناك الطريق وجبل لبني والعريش واشجار النخيل والشاطىء ، ثم رمال رفح البيضاء والمعسكر بالقرب من غزه والحناءة الشاطىء

وجمال الساحل والكثبان التي لم تطأها قدم أحد . حاول أريك أن يتكلم بصوت يعلو على صوت الطائرة ، كان يشير بيده كما لو كان يحاول أن يشير الى «المنظر» كأنما لم نكن قد رأيناه ، كان يحاول ان يقول شيئاً ، وعلى قطعة ورق كتب هذه الكلمات : « كل هذا ملك لنا » .. وابتسم كطفل فخوراً » .

« وقال لي دوف : سيكون كل شيء على ما يرام . لقد أصبح وطننا الآن شيئاً جديداً ، أكثر أماناً **وأوسع** وأقوى وأسعد » .

« كانت سماء الشرق الاوسط واجواؤها ملكاً لنا » .

هذه هي السطور الأخيرة من الكتاب الذي طبع ثلاث مرات في أقل من شهرين ، وبيع في العالم كله .. يتحدث بصراحة عن أهداف توسعية ، لم يعد في العالم من يجرؤ على الحديث عنها بمثل هذه الوقاحة .. الا الاستعمار الاسرائيلي .. ما من استعمار يتحدث الآن عن ملكية الأرض .. « **ملكنا** » « **ووطننا أوسع** » .. مصطلحات المفروض انها اختفت مع القرن التاسع عشر .. ولكنها تُقال وتُطبع وتُوزع ، ولا تحس اسرائيل – وهي صادقة – انها ستفقدها الرأي العام العالمي .. بل ان الكاتبة تتحدث عن نهب ثروتنا وخاماتنا وكأنها سيسل رودس ! ..

« **لقد ألغت الحرب اتفاقيات الحدود والهدنة السابقة** وتشير الحقيقة الجديدة في الشرق الأوسط ان **اسرائيل هي أقوى عنصر**، وعلى هذا الاساس تستطيع ان تتكلم لغة مختلفة كما يجب ان تكون لغة الحديث الموجه اليها مختلفة أيضاً » .

« وقلنا اما القدس فلا تحتمل أي مناقشة ، قلنا ذلك وشعرنا به وعنيناه ، سوف تظل موحدة ، ولن نسمح لأي قرار أو أي اتفاقية أن يحرم العاصمة من اطرافها الشرقية ومن الاماكن المقدسة .. واذا كان موضوع القدس لا يحتمل المناقشة فثمة عدد كبير من الموضوعات تجوز فيها المناقشة . كانت هناك سيناء .. صحراء لكنها تقع على ضفة القنال وبها بترول ومنجنيز (؟!) وبها كذلك

جبل سيناء وشرم الشيخ وهي تسيطر على الحركة البحرية بين آسيا وأوروبا وافريقيا . وهناك الضفة الغربية لنهر الأردن المزدحمة بالسكان، والتي تتمتع بوجود نهر الأردن كحدود طبيعية ، وهناك مرتفعات سورية وأهميتها الدفاعية معروفة . وهناك قطاع غزه وهو جزء مضاف الى مصر اضافة غير طبيعية ، ويسكنه في الغالب لاجئون . لقد ولت الحدود القديمة وذهبت ، وقد وهبنا التاريخ فرصة اعادة تشكيل بلادنا .. رائدنا في ذلك العدالة ومصلحتنا المشروعة ولكننا لن نترك هذه الفرصة تضيع » [1]

وأبوها يعلن من راديو وتلفيزيون وشنطن ان اسرائيل لن تعيد قطاع غزه الى مصر ولا الضفة الغربية الى الأردن ، ولا المرتفعات السورية ، وتنوي الاحتفاظ بالسيطرة الاسرائيلية على القدس وشرم الشيخ ..

ويخاطب ديان « الرأي العام » هذا ، باللغة التي يفهمها فيدعوه للاطمئنان « وعدم الانشغال بما يجري في الشرق الأوسط ، فهو لا يشكل أي تهديد عسكري » ..

● ذلك لأن كل ما يشغل بال الرأي العام العالمي هو الاضطرابات ، او احتمالات توسع النزاع وامتداده ، مما يؤثر طبعاً على الأوضاع الاقتصادية ، وأمن ورفاهية الانسان الغربي .. وهذا هو سر ما يسمى في العرف الدولي الغربي ، بالأمر الواقع ، والحرص على استمراره ، بصرف النظر عن عدالته ، بل وبرغم تجافيه غالباً مع العدالة .. لأن تغيير الأمر الواقع يعني الاضطراب ، يعني فتح الباب امام احتمالات غير معروفة ، وظهور أوضاع جديدة يكون على الانسان الغربي أن يعيد تشكيل موقفه منها ..

ومن هنا تتضح خطورة اي تنازل ، انه يصبح حقاً مكتسباً،وأمراً واقعاً ، تثير الرأي العام ، محاولة تعديله .. وذلك واضح من تجربتنا ، فمرور اسرائيل

(١) مذكرات جندي : ياليل ديان .

في خليج العقبة كانت تمنعه السلطات المصرية من ١٩٤٨ الى ١٩٥٦ ، ولم تكن اسرائيل رغم كل تفوقها الاعلامي ، وصلاتها بالغرب ، قادرة على تعبئة الرأي العام العالمي خلف اجراء ضد الموقف المصري .. فلما تنازلنا في ١٩٥٦ عـن هذا الحق ، لم يكن من حقنا ان ندهش لحالة الحمى المسعورة التي انتابت العالم كله لمجرد أننا أردنا إعادة الوضع الى ما كان عليه .. وقد بحت أصواتنا في الصراخ بان الوضع كان هكذا .. نعم كان هكذا.. ولكنكم تنازلتم..فلا يحق لكم أن تعيدوه مرة أخرى الا بالقوة ..

لذلك فإن استمرار الاحتلال الاسرائيلي لأرضنا لا يكسب قضية تحرير هذه الأرض أصدقاء جدد ، بل يفقدنا كل يوم جانباً من هذا الرأي العام الغربي ، الذي يدخل في صميم مقدساته ، احترام الأمر الواقع ..

ويكفي أن نقارن بين حجم الذين يقفون معنا الآن من اجل ازالة اسرائيل . وبين حجم المعارضين لانشاء دولة اسرائيل في ١٩٤٧ ..

ان «اندريه فيليب» الذي بشرت مجلة « المصور » قراءها بظهور « رجال شجعان من أمثال الزعيم الاشتراكي الوزير السابق اندريه فيليب » .. يقول : « منذ عشرين سنة كان أمل العرب تدمير اسرائيل كدولة ، على أن يحل محلها مجتمع مسلم مسيحي يهودي على الطراز اللبناني .. ولكن تحقيق هذا الهدف أصبح متأخراً ؛ فقد أصبح لاسرائيل مؤسسات وصناعات ومجتمع حي .. والغاء هذا معناه آلام جديدة هائلة .. بل انه ليس من مصلحة العرب ان يعيشوا في مجتمع مختلط مع الاسرائيليين بتفوقهم التكنيكي والمادي الذي سيجعلهم بمثابة أرباب عمل والعرب أجراء » .

هذا هو الصديق .. فما بالك بالعدو .. الوقت أصبح متأخراً على تدمير اسرائيل .. والأمر الواقع يتضمن وجود مؤسسات اسرائيلية وصناعات ومجتمع حي ، تدميرها يعني آلام جديـــدة هائلة ،.. اما مؤسسات العرب

وصناعتهم ومجتمعهم فقد تم الغاؤها ووقعت آلامها وانتهت .. فليقبل العرب ذلك ، ولا داعي لعودة اللاجئين ، لأنه ليس في مصلحتهم العيش مـع الاسرائيليين المتفوقين تكنيكياً ..

وتذكروا أن كل هذا قد تم منذ عشرين عاماً فقط .. وأن العام الثاني لاحتلال اسرائيل للأراضي العربية الجديدة يوشك على الانتهاء .. أي عشرة بالمائة من الزمن الذي أكسب الوجود الاسرائيلي شرعيته عند أصدقاء الصحف المصرية ..

ان الرأي العام العالمي لا يوجهه من هو صاحب الحق تاريخياً،ولا من هو الظالم ، ومن هو المظلوم.. بل من بيده القوة.. من هو المستعد للتنازل والتساهل.. ومهما تكن نظرتنا الاخلاقية [1] ، فإن الحضارة الغربية تحل المشاكل سلمياً عن طريق الضغط على الطرف المستعد للتساهل والتنازل ، وليس على المغتصب ..

لقد ظل اليهود يبكون ألفي سنة عند الحائط ، وعلى الحائط ، ولم يعرهم الانسان الغربي أي انتباه .. بل على العكس لم تخفف دموعهم من قسوته ، بل كانت آلامهم تغريه بالتنكيل بهم ، والامعان في امتهانهم .. وما كان يوماً على استعداد لمناصرة أي اجراء يهودي لانتزاع القدس والحـائط رغم كل حقـده على العرب والمسلمين ، وما أراقه من دماء في سبيل أن ينتزعها من يد المسلمين .. وعندما بدأ التخطيط لاعطاء فلسطين لليهود ، لم يكن بسبب قناعة الرأي العام بأنهم أصحاب حق فيها ، أو شفقة عليهم ، بل لمصالح وارتباطات وعوامل لا دخل للحق فيها ..

ولم يبدأ الرأي العام الغربي يسمع بانتباه وجدية لعواطف اليهود نحو الحائط بل عشرات الجدران التي يعلن اليهود كل يوم قدسيتها وأهميتها .. لم يستمع العالم بجدية لهذه الادعاءات ولم تنشرها صحفه وترددها اذاعاته، الا بعدمـا

---

(١) حضارتنا تطالبنا بمقاتلة الطائفة الباغية ..

احتلت الدبابات اليهودية القدس ..

ثم لنتأمل وضعنا نحن منذ الرابع من حزيران ..

كان المطلب المطروح في الأمم المتحدة ، يوم ٤ يونيه ، هو منع نشوب القتال وتسوية موضوع العقبة ، سلمياً ، مع رفض عبور اسرائيل بالقوة في الخليج.. لأننا كنا قد وضعنا العالم امام الأمر الواقع بتحرير المضايق من الوصايا الدولية .. بل وتوسط اوثانت . وقبلت اسرائيل ان تمتنع عن المرور في الخليج[1]

فلما انهزمنا يوم ٥ يونيه كان الاتجاه العام هو ضرورة انسحاب اسرائيل بلا قيد ولا شرط .. فيكفي ان نلاحظ تطور هذا المطلب ، في فهم اصدقائنا لا خصومنا :

في ١٧ حزيران (يونيه ١٩٦٧) قدم الاتحاد السوفيتي مشروع قرار للأمم المتحدة ، « يسجل خرق اسرائيل بفظاعة ميثاق الأمم المتحدة ومبادىء العرف والقانون الدولي . وشنت عدواناً مدبراً ومحضراً من قبل وخالفت قرارات مجلس الأمن .. وان اسرائيل توصل احتلال اراضي مصر وسوريا والاردن ..

ويدين بحزم الاعمال العدوانية واستمرار احتلال اراضي مصر وسوريا والأردن .. وهذا يشكل عملا عدوانياً صارخاً ..

ويطالب بأن تسحب اسرائيل حالا وبدون قيد أو شرط ، كل قواتها من أراضي الدول المشار اليها الى مواقعها وراء خطوط الهدنة التي حددتها الاتفاقات

---

(١) كجزء من الخدعة العامة .. تعهدت بعدم ارسال سفن وصدقناها وحلمنا بالحل السلمي ، فأرسلت طائرات !! .. وخدعتنا أمريكا بطلب ارسال مبعوث للتفاوض مع الرئيس الأمريكي على تسوية أزمة الشرق الأوسط .. وصدقنا أننا بهذا الحجم وحددنا موعداً للسفر يوم الاربعاء ، وانشغلنا باعداد هدايا من خان الخليلي .. فجاؤا يوم الاثنين ! تماماً كما حددوا لنا موعداً في اكتوبر ١٩٥٦ للتفاوض في جنيف .. ثم بكروا بالمجيء .. في كل مرة نخدع وبنفس الأسلوب لماذا ؟ لأننا نريد أن ننخدع .. نبغض الحرب ، و نتمنى لو تستمر لعبة الخطابة.. والآخرون يعرفون هذا فينا فيجيدون استغلاله .

العامة للهدنة ، وان تحترم وضع المناطق المجردة من السلاح ، كما نصت عليه اتفاقيات الهدنة (ليس حدود ٤ يونيه ، بل حدود ١٩٤٩) ..

كما يطالب المشروع بتعويض اسرائيل لمصر وسوريا والأردن عن خسائر العدوان ..

ولا كلمة في المشروع عن المرور البريء أو المريب .. ولا كلمة عن حدود آمنة .. أو انهاء حالة الحرب .. لا مماحكة تحت شعار بحث موضوع القدس ..

ولكن ماذا حدث بعد أن قبلنا الحل السلمي ، وشرعنا في بناء قواتنـــا المسلحة ؟ .. المفروض وفقاً لمنطق كسب الوقت . وكسب الرأي العام ، أن يتحسن موقفنا ، وتتضخم مطالبنا .. ولكن العكس هو الذي يحدث.. عُرض بعد المشروع السوفيتي مشروع الدول غير المنحازة :

خلا طبعاً من الادانة بالعدوان .. والتعويض .. ولكنه طالب بالانسحاب الاسرائيلي فوراً .. (مع اسقاط بدون قيد ولا شرط) الى خطوط الهدنة ..

ولأول مرة ، ظهرت محاولات ربط الانسحاب بالتسوية : « وعلى أثر اتمام سحب القوات المسلحة الاسرائيلية الى ما وراء خطوط الهدنة ، النظر في المسائل المتعلقة بالموقف القائم في هذه المنطقة » .

على أية حال لا صلح ولا حدود آمنة .. « النظر في المسائل » ..

وفي ٤ تموز تم التصويت وفشل المشروع السوفيتي ، وغير المنحاز ..

ولكن الأمم المتحدة أصدرت قراراً بعدم شرعية الاجراءات الاسرائيلية في القدس ، ومنع المساس بالاوضاع التي كانت قائمة قبل الحرب في القدس القديمة ..

ومرت خمسة شهور من كسب الرأي العام ، وبناء قوتنا العسكرية .. وجاء المشروع البريطاني :

انسحاب القوات الاسرائيلية من « أراضٍ » احتلتها في « النزاع » الأخير .

وهكذا تحول « العدوان » الى « نزاع » .

وكلنا نذكر المهزلة الدامية التي دارت حول « ال » التعريف .. فقد تمت صياغة المشروع البريطاني بالتقاليد البريطانية التي زرعت الشر في العالم كله.. فقال انسحاب القوات الاسرائيلية من « اراضي » .. وقرأته الدول العربية من « الاراضي ».. ونبه أحد المندوبين الى اختفاء « ال » The .. وأصر مندوب بريطانيا على عدم تعديل حرف في مشروعه ! وطالب كل دولة بالتصويت على المشروع كما تفسره هي !

وقبلنا ! .. وصوتنا على قراءة القوني ! .. وصوت الآخرون على قراءة كادوجان ! .. لم نستطع ان نتمسك حتى بإضافة « ال » وواضح ان الخبيث البريطاني لم يسقط « ال » هذه الا لغرض واضح هو المساومة على مساحة الأرض التي ستجلو عنها اسرائيل ، وقبولنا هذا الوضع كان يعني ، استعدادنا للتنازل هنا أو هناك .. عن مساحات « من الأراضي التي احتلتها اسرائيل في (النزاع) الأخير .. »

ولكن هل اقتصر التنازل على هذا ؟ .. لا .. أضيف الى الانسحاب :

« انهاء كل الدول حالة الحرب واحترام واقرار الاستقلال والسيادة الاقليمية ، والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة ، وحقها في أن تعيش في سلام، في نطاق حدود مأمونة ، ومعترف بها متحررة من أعمال القوة أو التهديد بها ..

- **ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة .**
- **تحقيق تسوية عاجلة لمشكلة اللاجئين .**
- **ضمان حدود كل دولة في المنطقة واستقلالها السياسي عن طريق اجراءات من بينها انشاء مناطق منزوعة السلاح » .**

الا ترى أن القرار يدين الدول العربية بالعدوان ؟! . ويسقط شرعية كل اجراءاتها ، ويعطي اسرائيل مبرراً في هجومها ؟! ..

إذا كانت هذه هي رغبة مجلس الأمن أو المجتمع الدولي .. بل ورغبتنا ما دمنا نوافق على المشروع .. ألسنا نحن العرب الذين نرفض منذ ٤٨ انهـــاء حالة الحرب ؟ ألسنا نحن الذين نرفض أن«نحترم ونقر» الاستقلال والسيادة الاقليمية للآخرين .. ألسنا نحن الذين لم نضمن حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة ..

أليس استعدادنا اليوم لقبول ذلك كله .. بفضل العدوان الاسرائيلي ، يعطي هذا العدوان على الأقل ، نبالة الهدف ، أو حسن النتيجة ، ويجعله عملا مثمراً ، سيفضي الى تحقيق السلام في « الشرق الأوسط » ؟!

ورغم أننا هوينا الى هذا الدرك الأسفل من التنازل ، فهل حققنا مكسباً ؟! ..أبداً .. قبلنا المشروع ، ورفضته اسرائيل .. وما زلنا بعد عام من صدوره نصرخ مطالبين اسرائيل بقبوله ! .. ولا شك أن قبول اسرائيل سيعد تنازلا كبيراً ، وخطوة هامة لمصلحة السلام العالمي ، يجب ان تقابلها خطوة عربية ، أي تنازل جديد يتجاوز حتى المشروع البريطاني ..

صدقت يا صب مصر : « ان من يتهاون ، ولو مرة واحدة ، في حقوق بلاده ، يبقى أبد الدهر مزعزع العقيدة ، سقيم الوجدان .. [1] » ..

اننا لا نكسب الرأي العام بتساهلنا ، واعلان استعدادنا للتنازل وتقديم تسهيلات جديدة في كل يوم ..

اننا نجني احتقار الانسان الغربي ، الذي لا يبغض أكثر من عاجز عـــن نتزاع حقه بالقوة ، مستعد للمساومة عليه ، ثم هو عاجز حتى عن اتخاذ الاجراءات اللازمة ، لارتكاب الفعل الذي يعيش في اعماقه .. انهم يسمون ذلك « النفاق الشرقي » أو « حفظ ماء الوجه » .. فنحن على استعداد لانهـــاء حالة الحرب ، وتسليم غزه ونزع سلاح مناطق من صميم أرضنا ، والسماح

---

(١) مصطفى كامل .

لسفن اسرائيل بالمرور في الخلجان والقنوات .. ولكن نهدد بحرب عالمية ثالثة .. اذا أجبرتنا اسرائيل على الجلوس معها ! .. أي مهانة وتفاهة نبدو بها في أعين العالم ؟! .

والواقع ان أحداً ، لم يكن يتوقع أبداً ، أن نبدأ حديث السلام ، بعد الهزيمة المذلة التي نزلت بنا ، وبعد احتلال أرضنا .. لقد أثبت ذلك صحة الدعاية الاسرائيلية التي ما فتئت تعلن منذ الثلاثينيات ،ان العرب لا يفهمون الا لغة القوة .. وان عدة ضربات تكال لهم ، ستجعلهم يتعقلون ويقبلون السلام ! !

ان العالم الذي أذهلته روحنا السلامية بعد الخامس من يونيه ، يفكر الآن جدياً أن ما بقي من تصلب العرب وتشنجهم يمكن أن تذيبه وتشفيه ، ضربة أخرى بارعة ..

ان البعض كان يتوقع منا بادرة سلامية قبل الخامس من حزيران .. اما بعد أن هجمت اسرائيل .. فما من شريف واحد في العالم كان سيعارض حقنا في القتال إلى آخر رمق .. ديغول الذي حذر بكل شدة من بدء الحرب ، عندما أبلغوه بالهجوم الاسرائيلي ونجاحه ، قال إن هذا متوقع ، ولكن العرب سيجبرون اسرائيل على مواصلة القتال الى أن تستنزف قواها ..

اما وقد ثبت اننا ننقلب الى دعاة سلام عقب كل هزيمة ، واننا نحرص على سلام العالم ، أكثر من حرصنا على شرفنا ، ونحرص على ارضاء الرأي العام العالمي أكثر من حرصنا على أرضنا وحريتنا .. فلا بأس من استمرار الضغط الاسرائيلي لتحل المشكلة بأسلوبها الخاص .. فالعالم مع الذي يقول : « ان سلام العالم لا يهمني في شيء اذا كانت اسرائيل ستمحى » [1] .

والى الجحيم بكل متخاذل يقول : « لقد ضحينا باستقلالنا القومي في

---

(١) يائيل ديان : مذكرات جندي ..

سبيل السلام العالمي » [1] .. استمروا اذن في حماية السلام العالمي .. والتفريط في « استقلالنا القومي » .

كيف وصلنا الى هذا المستوى؟..بالجري وراء وهم الحل السلمي، بالتفريط في حقنا المشروع، بالمساومة على حقنا وتاريخنا وماضينا، مقابل اوضاع لا شك انها تدمر مستقبلنا وتقضي على أمننا ..

أليس من الممكن أن يقال ان « حدوداً آمنة » هو مطلب عربي وليس اسرائيلياً !! وان كل ما كانت تنشده هذه الدول هو حدودا آمنة لا تهاجمها اسرائيل لكي تنعم خلفها بغفلتها وتفسخها وثوريتها ؟! ..

لو كنا حقاً نطمع في هدنة نستعيد بها قوتنا العسكرية ، لكان الوضع السليم هو رفض أي مساومة ، وتحديد موقفنا بأنه الانسحاب التام لاسرائيل أو الحرب الى الأبد .. فالوجود الاسرائيلي في أرضنا غزو استعماري صريح.

اما بالنسبة لفلسطين ، فقد أصبحت الكلمة من حق شعب حمل السلاح، وسيقرر هو بنفسه لمن ستكون الأرض والحياة .. واذا كان اليهودي الأمريكي الذي يعيش في نيويورك يرى نفسه ملزماً بالتضامن مع اليهودي الذي يحتل عكا وحيفا على بعد آلاف الأميال .. فان المصري الذي تحتل أرضه نفس القوات التي تحتل حيفا ونابلس.. يجد نفسه معنياً الى آخر قطرة من دمه بمصير المعركة الدائرة على أرض فلسطين بين الشعب العربي في اللد والرملة ، ونفس قوات الاحتلال التي تحتل أرضه ..

اما احتلال سيناء والجولان والضفة الغربية .. فإن الشرعية الوحيدة التي يستند اليها.. هي التفوق العسكري الاسرائيلي، وبالتالي فليس لأي هيئة عالمية أن تجبرنا على البدء من شرعية الغاب هذه لتحقيق أي مكسب لاسرائيل .. صحيح

---

(١) متحدث عربي ..

ان هذه الهيئات لا تستطيع ، ولا تريد ، أن ترغم اسرائيل على التخلي عن انتصارها ، ونحن لا نطالبها بذلك ولا نتوقع ذلك منها .. ولكن ليس لها أن تطالبنا بدفع ثمن هزيمة لم نقر بوقوعها بعد .. من حقنا أن نجرب السلاح ، مرة ومرة .. وألف مرة ..

ومن هنا يصبح منطقياً أن نرفض مفاوضة اسرائيل . لأننا لا نعترف بها ولن نعترف .. ولأننا لا نقر بهزيمتنا .. ولا نقبل أن يكون منطق العالم ، الكسب بالعدوان ..

لو كان هذا موقفنا ، لكان أشرف وأقوى ، وأكثر احتراماً عند العالم كله .. الاعداء قبل الاصدقاء ..

كسب الوقت

يبقى الزعم بأننا نكسب الوقت لبناء قوتنا العسكرية .. فما تأثير «الحل السلمي» على عملية البناء هذه ؟

ان المنطق الانتكاسي يصور لنا القوة العسكرية بنفس الأسلوب ، الذي يجري العمل به منذ ١٩٥٥ .. وهو شراء السلاح من روسيا !! ذلك هو مفهومهم في بناء القوة العسكرية ، فعندما يتحدثون عن اعادة بناء قوتنا العسكرية فهم يقصدون شراء أسلحة جديدة من روسيا ، وعندما يقولون انه « ما من دولة دُمر طيرانها واستعادته في شهور كما فعلت مصر .. وذلك بفضل الاتحاد السوفيتي » فهم يقصدون أننا حققنا معجزة .. هي شحن الطائرات من روسيا الى مصر ، وإعادة تركيبها ..

وعندما يقولون ان الفرق بين قوتنا اليوم ، وقوتنا في يونيه ، كالفرق بين السماء والأرض ، فهم يقصدون ان لدينا طائرات أحدث وأكثر ... الخ ..

طبعاً نحن نرفض هذا التصور الخاطىء لطبيعة المعركة ضد اسرائيل .. فالقوة العسكرية ، هي قوة المجتمع العربي كله .. وهي لا تبنى في مكان ما بمعزل عنه ، ولا في معسكرات الجيش وحده .. بل تكون قوة الوحدات الضاربة هي عنوان أو ثمرة قوة المجتمع ..

وحتى في هذا المجال المحدود .. هل الوقت في صالحنا .. اذا ما بددناه على هذا النحو .. شراء الأسلحة والتدريب عليها .. ؟!

هل لدى أي مصدر ، ما يشير الى وجود سلاح روسي متفوق بشكل

ساحق على الترسانة الأمريكية ؟ ..

هل لدى أي معلق شبه احتمال ، في ان تسلحنا روسيا بمعدات متفوقة بشكل ساحق، على ما يمكن أن تقدمه أمريكا لاسرائيل.. بحيث يتاح لنا بالتفوق الميكانيكي وحده ، أن نفرض الوضع المناسب لأهدافنا وحقوقنا ؟!

الجواب بالنفي طبعاً ..

اذن فسباق التسلح ، على وضعه الحالي ، محكوم بأحد وضعين .. اما تكافؤ السلاح على الجانبين .. واما وصول القوى العالمية الى تسوية تفرض حظراً عليه .. وقد بدأ الاتحاد السوفيتي فعلا يناقش هذا الاحتمال .. **فالعامل الحاسم في التفوق العسكري هو اضافة عنصر لا يستطيع الخصم توفيره ، ولا يستطيع استيراده .. ذلك هو: الأرض.. والشعب .. ان نقاتل اسرائيل بكل شعبنا .. وعلى كل أرضنا ..**

ولكن سياسة الحل السياسي تدمر هذا العنصر وتجردنا منه .. انه كما قال سكرتير عام نقابة الاطباء المصريين امام المؤتمر القومي .

« اذا وضح في ذهننا أن الحل السلمي ، قد استنفد اغراضه بالفعل ، فاننا سنقبل على التعبئة الاقتصادية والتعبئة السياسية ، والتعبئة الداخلية بطريقة تختلف تماماً عما جاء في تقرير اللجنة التحضيرية ، أكثر حيوية ، أكثر اندفاعاً ، فنسبق الزمن ، ونبذل كل ما في جهدنا لكي نصل الى آمالنا في معركة النصر . ان طاقات شعبنا لا حدود لها ، واني واثق اننا اذا حددنا هذا الموقف، وكنت آمل أن يتصدر تقرير لجنة المائة تحليلا لذلك واقراراً بأنها ترى ان الحل السلمي قد استنفد اغراضه ، لأني كنت أحس أن هناك قيداً على التقرير ، قيداً في الكلام وقيداً في الجهد الذي يمكن أن يُبذل . هذا القيد أعتقد انه يتمثل في أن الحل السلمي لا زال له مجال ، ولا زال له مكان » [1] .

واذا كان مجال الحديث أمام المؤتمر القومي قد سمح للمتحدث أن يقول ان الحل السلمي يؤدي الى اعاقة التعبئة العسكرية المطلوبة .. فإنني أستطيع أن

---

(١) الدكتور عبد القادر خلاف / الأهرام ١٩٦٨/٩/١٥ عن جلسة ٩/١٤/

أقول خارج المؤتمر ان الحل السلمي يراد به استبعاد متطلبات التعبئة الصحيحة ..

ان الجبهة الداخلية والجبهة العربية يمكن الوصول بهما الى أعلى درجات البذل والتضحية خلال تعبئة قتالية .. اما عندما تبدأ دوامة المفاوضات والأمم المتحدة ويارنج .. وخذ وطالب .. فإن التفكك سرعان ما يدب في جميع الصفوف ، وتبرز الخلافات من جديد ، وتنتشر الاتهامات والمزايدات ، فتنهار قدرتنا على الضغط والتهديد ، فنقبل شروطاً أسوأ ، فيزداد انهيارنا الداخلي .. وهكذا ..

ولا شك أن موقف العرب ، وهم بلا جيوش ، في مؤتمر الخرطوم ، كان أقوى منه في اجتماع وزراء الخارجية الأخير الذي أنهته انذارات سوريا .. ومواعظ تونس ..

ان الجري وراء الحل السياسي هو المسؤول على أننا لم نوفر لسكان القاهرة حتى المخابىء .. اننا نترك الزيتية ملطشة لاسرائيل .. اننا لم نوفر الحماية لمحطات الكهرباء.. اننا لم نصدر مرسوم انشاء الجيش الشعبي خلال ١٥ شهراً من غزو بلادنا .. ولم نصدره الا غداة ضرب نجع حمادى [1] .

اسرائيل تبني قواعد صواريخ على القناة ، ونحن لم نصدق بعد أن هناك احتمالا بقتال جديد .. ولم نجد حاجة لانشاء الجيش الشعبي ..

وفي منتصف نوفمبر أي بعد عام من المشروع البريطاني نعلن أننا قررنا بناء مخابىء في القاهرة .. إن نية القتال هي ما نفتقر اليه .. اننا نقدم رجلا ونؤخر ألف رجل .. لعل يارنج يبعث بالفرج ..

فلعبة كسب الوقت تحقق الكسب لاسرائيل ، حتى من زاوية الاعداد العسكري الضيقة ، قوات الاحتلال تصبح أكثر خبرة بالأرض المحتلة ، واكثر اعتياداً على ظروفها ، وتقيم فيها تحصيناتها ومواقعها .. وتجدد قواتها التي فقدت في الحرب .. ونحن نفقد العنصر الحاسم في المعركة .. حماس الجماهير وثقتها في هذه القيادات التي تستورد السلاح .

(١) اعلن رسمياً أن الغارة قدمت موعده شهراً كاملا !

الجيشُ الشعبيّ

وعلى ضوء هذا التحليل لمخاطر الحل السلمي فما هي حقيقة الجدل الدائر حول الجيش الشعبي ؟ .. ولماذا تعثر انشاؤه خمسة عشر شهراً ، ثم صدر أخيراً وبفضل الغارة على « نجع حمادى » وحددت واجباته في حراسة المنشآت ؟! .. وما علاقة هذا الجدل بالجري وراء الحل السلمي ؟ ..

اعتقد ان افضل منطلق لفهم هذه القضية هو ان نبدأ بالتصريح الذي أعلنه اللواء جمال هدايت رئيس جهاز الاعداد العسكري في القاهرة..وستعرف بعد قراءته ، لماذا تحرص كل الدول المتمدينة على منع العسكريين من الحديث في السياسة ، فهم يمتازون بالصراحة المدهشة .. أو كما نقول « اللي في قلبهم على لسانهم » قال اللواء جمال هدايت ، رئيس جهاز الاعداد العسكري : « لا بد أن يزول مفهوم خاطىء سائد بين جماهير شعبنا ، وهو ان الاشتراك في المعركة معناه حمل البندقية .. وكل الشعب بجميع فئاته لا بد أن يعي هذه الحقيقة وهي أن الحرب متعددة الجبهات ، وان المشاركة في المعركة ليست فقط قائمة على حمل السلاح ، بل يمكن أن تكون في جبهات متعددة عن طريق ما يأتي : ... » [1]

ثم كلام يعيد لأذهان المخضرمين ، خطب وبيانات الباشوات والبكوات

(١) جريدة الأنوار

من المستوزرين في عهد الاحتلال ، عن خدمة الوطن .. الطالب في مدرسته ، والعامل في مصنعه ، والفلاح في حقله ، والفنان في كباريه .. الخ الخ ..

هذا هو لب القضية .. مفهوم الشعب : « الاشتراك في المعركة هو حمل البندقية »

وعند المسؤولين ان هذا المفهوم خاطىء .. فالشعب يجب ألا يحمل البندقية . والاشتراك في المعركة لا يحتاج لبندقية ! ..

بلا لف ولا دوران ! .. هل يحمل الشعب البندقية في ظل « الحكومة الثورية » القائمة في مصر وسوريا أم لا ؟! .

هذه هي القضية ، وكل ما تسود به الصحائف وتثرثر به الندوات والمؤتمرات ، ويتجادل حوله العقائديون ، ليس أكثر من محاولات يائسة لتفادي الجواب على هذا السؤال ..

الشعب يريد خوض معركته وهو يعرف أن السبيل الوحيد لذلك .. هو حمل البندقية .. والنظام لا يسمح بذلك ولا يتصوره .. لذلك يدور الجدل ، وتكتشف الف وسيلة لامتصاص حماس الشباب بعيداً عن حمل البندقية . وأمام المؤتمر القومي قال عبد الحميد حسن محمد ، رئيس اتحاد الطلاب في مصر [1] :

« ان شباب هذه الأمة يريد أن يحس بأن الدور يعطى له للاستفادة من طاقاته ، وليس لامتصاص انفعالاته » .

ولكن اللواء هدايت يكشف في صراحة نادرة التفكير المسيطر على حركة الاعداد العسكري ، فبعد أن يفند المفهوم الخاطىء والرائج بين الشعب عن الاشتراك في المعركة ، وبعد ما ينصح بالعمل على زيادة الانتاج ورصف الطرق

---

(١) نشرت « الأهرام » انه استقال للتفرغ للعمل في القصر العيني ! !

والتوجيه المعنوي للجيش ، يقول : « ولقد تقرر انشاء ١٤ معسكراً لمدة اسبوعين »

كأنها مخيمات العطلة الصيفية ! (١)

ثم يجري تحويل المدربين فيها على مراكز الدفاع المدني ..

ولكن :

« نظراً لأن هناك رغبة ملحة من شبابنا المتحمس للاشتراك في القتال الفعلي ، فقد فتح باب التطوع في وحدات القوات المسلحة » .

وهكذا يتم امتصاص الانفعال الحماسي ، غير أنه اشترط لذلك عدة شروط ، بعضها يتجلى فيه روح الأبوة الصادقة ، الحريصة على مستقبل الطلبة ، حتى لو كان ذلك على حساب مستقبل الوطن ..

« حتى يمكن للطالب ان يحتفظ بمكانه في كليته ، وحتى يحتفظ بحقه في دخول الامتحانات حرصاً على مستقبله » !!

ولكن أهم هذه الشروط هو :

« ان يكون الطالب خاضعاً طوال فترة التطوع لقانون الاحكام العسكرية »

فلا بأس من ارضاء شهوة الطلبة لحمل البنادق ، وتفريغ حماسنهم نحو القتال ، ولكن في حدود الاطار الحديدي والحائط الصيني الذي يفصل بين البندقية والشعب .. فإذا أراد الشاب أن يحمل البندقية فلينضم للجيش ، وليخضع لقانون الاحكام العسكرية .. وذلك بعيد كل البعد عن شعار : « حمل الشعب للبندقية » « أو تسليح الشعب » .

انه الشعار الذي يدور حوله الصراع في الوطن العربي ، أو في مصر بالذات ، منذ اعلان دستور ٢٣ .. ونستطيع هنا أن نتفرغ لمناقشة هذا المطلب ولكن لأننا نؤثر أن نفرغ وبصفة نهائية من فكر النكسة ، لذلك فأنا أوثر أن

---

(١) جاء في تحقيقات الاهرام التي نشرت حول حوادث المنصورة والاسكندرية ان طلبة الهندسة بالذات ، أضربوا ضد سياسة هذه المعسكرات واسلوبها القائم على امتصاص حماسة الطلبة وليس الاستفادة منها .

نناقش ما يقدم من حجج ضد تسليح الشعب .

فلنبدأ إذن بتعليلات ، واعتذارات ، الصريح ، وهو رغم كل تأكيداته ، بأنها اجتهادات شخصية وأنه يرجو ان يسبق بها قرار المؤتمر ، فإن الحقيقة المؤسفة ، ان ما يقوله هو ما يتحقق .. ولقد صدر مرسوم انشاء الجيش الشعبي محدداً واجباته في نفس الاطار الذي تحدث عنه الصريح .. واذا كان سيتطور خطوات أفضل ، فالفضل للعدوان على نجع حمادى ، ومطالبة الجماهير بحقها في حماية حياتها .. واكتشاف أن « البندقية تسقط طائرة ! .. »

انحاول اذن أن نتعرف على الاعتراضات التي تقال حول الجيش الشعبي دون أن تنسينا ثرثرة النقاش جوهر القضية وهو :

اما توفر ارادة القتال .. ومن ثم تسليح الشعب وخوض حرب شاملة ..

أو ارادة المساومة والتسليم ، ومن ثم الخوف من الشعب ، والحرص على عزله تماماً .

يبدأ الصريح بتعريف « الجيش الشعبي » وهو تعريف يصل اليه عبر تعريف الجيش النظامي بأنه « جيش الشعب ، وهو الجيش النظامي ، أو ما نسميه بالقوات المسلحة التي تتولى المسئولية القتالية الأولى ، وعلى الخط الأول ، والتي تقع عليها بالدرجة الأولى ، مسؤولية ازالة آثار العدوان والذي يتكون جنوده وضباطه من ابناء تحالف قوى الشعب العاملة .. »

« والثاني : الجيش الشعبي ، وهو موضوع الاهتمام الآن ، في مناقشات المؤتمر ، وفي هذه الأحاديث ، والمسؤولية التي نتصورها له ، هي مسؤولية الخطوط الخلفية والاعمال ذات الطبيعة العسكرية وشبه العسكرية المتصلة بحياة الجبهة الداخلية واستعدادها لتحمل الآثار المتصلة والمترتبة على نشوب القتال نفسه ، وبالتالي فلقد نستطيع بوصف أكثر دقة وانطباقاً ان نسميه قوات الدفاع الوطني .. »

بالطبع نحن نرفض هذا التعريف أو هذا الفصل بين الجيش والشعب ..

ولكن خطورة هذا التعريف تكمن في أنه يحدد بالضبط التصور الانتكاسي للمعركة ..

فمهمة ازالة العدوان ، هي مهمة القوات المسلحة .. الجيش النظامي ..

اما الجيش الشعبي (وتعبير الشعبي في مصر له دلالة خاصة .. احذية شعبية .. أكلة شعبية .. فنون شعبية .. حي شعبي) .. هذا الجيش مهمته في الخطوط الخلفية .. حماية الجبهة الداخلية ، وهو بالضبط ما استخدمت فيه المقاومة الشعبية طوال الشهور الحرجة من يونيه الى ١٤ سبتمبر [١] .. ثم سرحت.

ومعنى ذلك أن الشعب لا دخل له في ازالة آثار العدوان .. وان التشكيلات شبه العسكرية التي تكون من أفراده مهمتها حماية النظام .. والتشيكلات التي تضم الجماهير مهمتها حراسة الكباري والصياح تحت النوافذ « طفي النور يا اللي فوق » !

هذا التصور هو الذي جعلنا يوم ٧ يونيه بلا جيش .. بل ونفتخر ، بعارنا ، فنقول إنه لم يكن هناك جندي واحد بين القناة والقاهرة ، وان فرصة العمر ضاعت من ديان ، ولا يقال لنا كيف ضاعت ما دمنا نسير على نفس الأسلوب .. ؟! وهو حصر واجب القتال الفعلي في القوات المسلحة ، فلما نجحت الضربة الاسرائيلية في تمزيق هذه القوات أصبحت مصر بلا مقاتلين .. ولو كان الشعب كله مسلحاً ومدرباً ومعداً للقتال .. لكانت خسارة مائتي الف جندي ، أي أقل من واحد في المائة من الشعب المصري ، لا تعني أبداً ان تصبح كبرى الدول العربية ، مدينة مفتوحة .. بل كان يمكن بسهولة ، ان يأخذ مليون مقاتل موضعهم على خط الدفاع الثاني .. لماذا تستطيع اسرائيل ان تضع على خط النار عشرة في المائة من سكانها ، بينما تعجز مصر عن تجنيد واحد بالمائة من شعبها رغم اصرارنا على التباهي بتفوقنا البشري ؟! .. لأن

(١) تاريخ اعلان انتحار المشير عامر .

المجتمع الاسرائيلي مجتمع مقاتل ، الشعب فيه هو الجيش ، والجيش هو كل الشعب .. أو ليس من العار أن يكون هذا هو الوضع في دولة عنصرية استعمارية تقاتل من أجل أطماع امبراطورية .. تضم خليطاً من ثمانين قومية ! .. بينما تخشى الدول الثورية الاشتراكية تسليح شعبها ، وتجند كل منطق ممكن لمنع هذا التسلح .. وتسوفه قدر الامكان .. وتقبل عليه كارهة ، وبعدما تتساقط القنابل .. وتنقطع الكهرباء ..

والنتيجة .. هي مصيدة للقوات النظامية في سيناء .. وانهيار الدولة .. واحتلال الأرض .. بمجرد تحطيم هذا الجيش أو تحطيم معداته ..

لذلك فإن الاستمرار في الفصل بين جيش الشعب ، والجيش الشعبي ، هو استمرار في أسلوب عزل الشعب ، استمرار في تصور الحرب على انهـا معركة عسكرية .. استمرار في محاولة حصر « النزاع » العربي – الاسرائيلي في دائرة محدودة بعيداً عن احتمالات التحول الى الصورة الطبيعية المنتظرة للصدام .. أي : ثورة شعبية شاملة ضد الغزو الامبريالي .. ثورة تجعل الشعب سيد مصيره في الأرض غير المحتلة ، وصاحب المسؤولية الأولى في تحرير الأرض المحتلة .. مثل هذه الثورة الشعبية الشاملة ، تفترض تسليح الشعب ، تفترض انهاء الوصاية عليه .. وهي أيضاً بقدر ما تعني تبدلا شاملا في أسلوب الحياة في الجزء غير المحتل والعلاقات الاجتماعية والسياسية داخله ، فهي أيضاً تعني انهاء اسلوب المناورات والمساومات في السياسة الخارجية .

ورغم أن الصريح يعتبر ان القوات النظامية : « تقع عليها بالدرجة الأولى مسؤولية ازالة اثار العدوان »

الا أنه عاد وأباح للشعب القتال في حالة فقدان الدولة او « اذا كانت الدولة على أرضه لا تعبر عنه وانما هي اداة للمستعمر ضده . وبالتالي فوسيلته هي جيش التحرير الشعبي » . أو « وجود قوة استعمارية قاهرة كما كان الحال في

فيتنام والجزائر .. »

ولاحظ اننا قد أوجدنا نوعاً ثالثاً من الجيوش .. ففي البداية كان « جيش الشعب » وبنفيه حصلنا على « الجيش الشعبي » ومن اختلاطهما ظهر « جيش التحرير الشعبي » !

ولأن « الحرب بين مصر واسرائيل هي حرب بين دولتين فإن جيش « الدولة » المصرية (وقد وضع « الدولة » بين قوسين ، وكتبها بحروف سوداء) هو الذي يتحمل المسؤولية القتالية الأولى وعلى خط النار الأول » .

وهو بذلك يكشف عن التفرقة الواضحة بين « الدولة » « والشعب » .. وهي — كما قلنا — محور الجدال كله .. فإن الحاجز الحقيقي بين الدولة والشعب هو البندقية .. لأن الدولة اداة قهر ، فإذا حمل الشعب السلاح ، فقد زالت وسيلة القهر ، لذلك كان الثوريون دائماً يعرفون الديموقراطية الصحيحة بأنها حق الشعب في حمل السلاح .. وعندما يباح للشعب حمل السلاح ، فإن التفوق القهري للدولة يزول نظرياً .. اما عندما يحمل الشعب السلاح ويقاتل فعلا .. فإن القهر الداخلي يستحيل تماماً .. وأهم من ذلك كله انه في هذه الحالة يتحتم وحدة الشعب والحكم .. ان شعباً يقاتل ويموت عند خط النار لا يمكن ان يُحكم الا بقيادة يرضاها ويقر سلوكها ..

وبداية قهر الشعوب تاريخياً ، كانت بتكوين المقاتلين المحترفين .. عندئذ تنقسم الأمة الى حاكمين ومحكومين .. واداة التمييز هي تلك البندقية .. بأمر من تنطلق ؟! ..

كذلك فإن التمييز بين مصر من جانب ، وبين الجزائر وفيتنام الجنوبية من جانب آخر ، تمييز لا يستقيم .. فحيثما توجد اجزاء محتلة من الوطن .. فإن أسلوب الحرب يتشابه .. فأرضنا المحتلة في سيناء تحتم ظهور : « جيش التحرير الشعبي » .

ونحن لا نستطيع ان نجد هذه التفرقة التي يتحدث عنها « الصريح » بين المقاتلين الفيتناميين : « اما الشعب في فيتنام الشمالية الآن — حيث « الدولة » تعبر عنه — فانه يحارب بجيشه النظامي تحت قيادة وزير دفاعه المسؤول «الجنرال جياب » واذا كان هذا الجيش يتخذ من الاساليب في حربه ما هو انسب بظروفه من ناحية استخدام القوات فانه يبقى ان فرق الجيش الفيتنامي الشمالي النظامية هي التي تحارب ولا تترك الحرب على مسؤولية جيش شعبي من المتحمسين المتطوعين » .

واضح سخريته واحتقاره للجيش الشعبي ، فهو من « متحمسين متطوعين» ولا يجوز ترك مسؤولية الحرب على عاتقه ! .

هذه التفرقة غير موجودة في فيتنام . واذا كان استخدام الطائرات والدبابات يغري باطلاق اسم « القوات النظامية » على العاملين عليها .. فإن « المتحمسين المتطوعين » ليس بالاسم الدقيق الذي يمكن اطلاقه على وحدات العصابات التي تقوم بعملية هجوم على سايجون بالغة الدقة والاحكام ..

لا .. ليسوا « متطوعين متحمسين » .. بما يحيط بهذا الوصف من سخرية الصريح ، المحترف غير المتحمس ..

ان قهرة امريكا في فيتنام كلهم «متطوعون متحمسون» الجيش المحترف، هو الجيش الامريكي، والجيش المأجور أو المجبور هو جيش حكومة سايجون العميلة..

أما جيش الشعب الفيتنامي ، على جانبي خط الحدود الوهمية فهم أولا متطوعون متحمسون .. ولذا فهم مقاتلون ممتازون .. يخضعون بكل تأكيد لنظام عسكري صارم ولقيادة « الجنرال جياب » ويعملون وفق مخطط واحد يحرك الطائرات والدبابات والصواريخ في الجزء المحرر (فيتنام الشمالية) ويبث الألغام ويشن الهجوم بالهاون والرشاشات وحتى بالنحل من المناطق المحتلة .. هذه التفرقة لا وجود لها الا في مخيلة من يرعبهم تصور ثلاثين مليوناً يحملون السلاح ويخوضون الحرب ..

المقاومة في سيناء

وازاء حقيقة وجود منطقة محتلة هي شبه جزيرة سيناء ، وانعدام وجود « الدولة » المصرية هناك يجد الصريح نفسه في مأزق حرج . فبأي حجة وبأي منطق يمنع اذن نشاط « المتطوعين المتحمسين..» الهواة.. من مقاتلة الاسرائيليين في سيناء حيث لا وجود للدولة المصرية أو كما صرح الزيات ، « ليس لمصر بوليس في سيناء » في مجال نفي مسؤولية مصر عن اعمال فدائية « ادعت » اسرائيل انها وقعت في سيناء ! !

ما هي الحجة التي تمنع اعمال المقاومة في سيناء ؟

ان منع الشعب المصري من حمل السلاح غرب القناة ، قد بُرر بوجود الدولة ، ووجود القوات النظامية التي هي جيش الشعب ، باعتبارهم أولاد تحالف قوى الشعب ..

على أي أساس يحظر الكفاح في سيناء ؟ حيث لا توجد دولة ولا جيش الشعب ؟ ..

لا بد « للصريح » أن يجد سبباً ، فهذه صناعة الصحفيين ، في نظام القبيلة الذي نعيشه في الوطن العربي .. حيث الكاتب هو شاعر القبيلة ، لا بد أن يبرر تصرفات شيوخها .. وسرعان ما يجد الصريح ، الأسباب التي تمنع العمل المسلح في سيناء .. وذلك بإلغاء وجود الشعب المصري في سيناء .. اعلانها « أرض بلا شعب .. »

« ان كل سكان سيناء الآن لا يزيدون عن خمسة وعشرين ألف من المواطنين ومراكز تجمعهم قليلة ، والجزء الاكبر منهم قبائل بدو رحل . يضاف الى ذلك ان توازن عددهم ازاء قوات العدو يعطي العدو تفوقاً مضاعفاً في العدد فضلا عن نوع السلاح الذي يملكه العدو .. ذلك انه ازاء خمسة وعشرين الف مواطن مصري في سيناء توجد الآن فرقتان للجيش الاسرائيلي أي أكثر من أربعين الفاً .. وهكذا (ونصل الى الحروف السوداء) فإن الموقف في سيناء يختلف اختلافاً كبيراً عن الموقف في الضفة الغربية ، حيث تتمكن حركةالمقاومة الفلسطينية العظيمة وسط جماهير أوسع من شعبها من توجيه ضربات للعدو ، يمكن أن نقول عنها – برغم صعوبة الظروف – انها نوع من حرب التحرير الشعبية الجزئية »[1] ..

وهكذا ترى ان المقاومة المسلحة في سيناء ممنوعة ، لأنه لا يوجد هناك بشر .. وتعدادهم « الآن » لا يزيد عن خمسة وعشرين ألف ..

و « الآن » هذه تفتح المجال لاكثر من حديث .. ربما سيقال يوماً ، ان انتفاء ارادة القتال ، هي المسؤولة عن خلو سيناء من السكان نسبياً .. فلو أنفق ما بدد في الصحراء الغربية على خرافة الوادي الجديد ، في تعمير سيناء ، ولجأنا الى التهجير اليها ، بدلا من التهجير الى الصحراء الغربية . لكنا قد حققنا تغييراً استراتيجياً في طبيعة الجبهة الشرقية ..

ويمكن أن نقول اننا لوأخذنا بأسلوب تعبئة الشعب ، لما كان تعداد سيناء الآن .. « لا يزيد عن خمسة وعشرين ألفاً » .. فإن سيناء من المناطق التعدينية الهامة ، وكان يعمل بها مئات الالوف من العمال والموظفين ، ولكن الفصل بين جيش الشعب ، وشعب الجيش ، لا يدع أمام المواطنين العرب ، من سبيل ، عندما يقع الغزو الا التحول الى لاجئين ، والنجاة بحياتهم من بطش

(١) الأهرام

جيش الدولة الغازية . بعدما ينكسر جيش دولتهم العربية .. اما لو كان الشعب يتكون كله من مقاتلين فإنه يبقى ويقاتل حتّى بعدما تنتهي الجولة الأولى بانكسار القوات الرئيسية التي يسمونها النظامية ..

واذا استمر الحال على نفس المنوال ، واستمر اعتناق نفس الأسلوب ، فستتكرر حالة الفراغ ، التي تعانيها سيناء — على ما يقال — في كل مدينة يحتلها العدو حتّى ولو كانت القاهرة ..

وما من منصف يلوم شعباً على الفرار ، ما دام لم يُعد للقتال ، ولم يُدرب عليه ولا حتّى تمت تهيئته نفسياً للقتال .. بل اغرب من ذلك اننا كثيراً ما نلجأ الى اجلاء السكان .. أو ما نسميه بالتهجير ، فقد هجرنا السكان من منطقة القنال ، وبالذات من الاسماعيلية والسويس ، فالأصل هو استبعاد قيام الجماهير باعمال الكفاح المسلح ضد الغزو الصهيوني .. ثم بعد ذلك تأتي النظريات ، فتارة هم غير موجودين فإذا وجدوا قمنا بإخلاء المدن منهم حتّى لا يعوق وجودهم العمليات العسكرية .. !

وفي مواجهة السؤال .. ولماذا لا ينتقل الفدائيون أو المقاومون الى الضفة الشرقية من القناة ؟! .. بافتراض ان المقيمين هناك لا يكفون عددياً ، أو لا يصلحون لأنهم « بدو رحل » .. يضع « الصريح » عقبة لا سبيل لمعالجتها الا بعد ملايين السنين.. فهناك استحالة «جيولوجية » لمقاومة الاحتلال الصهيوني .. يقول :

« ان طبيعة الأرض المصرية التي يحتلها العدو الاسرائيلي ، طبيعة خاصة لانها في امتدادها الاكبر صحراء شاسعة مكشوفة وجرداء ، أقصد أنني لا إستطيع أن أتصور بسهولة امكانية تسلل قوات فدائية شعبية للقتال فيها ضد العدو ، ذلك ان مثل هذا سوف يكون نوعاً من العمل الانتحاري اليائس ، وليس نوعاً من العمل الفدائي المحسوب .

« أي ان أي عمل داخل سيناء حتى وان كان محدوداً يتطلب قدراً من الاستعداد لا يمكن أن يتوفر بغير وسائل كبيرة من الحماية كالمدفعية والطيران مثلا ، وهي وسائل يمكن أن تتوفر لجيش الشعب ، جيش الدولة الممثلة لارادة شعبها ، ويصعب تكرارها ، بل لا داعي لتكرارها لكي يكون هناك مثلها للجيش الشعبي »[1]

وفي سيناء كما يعرف كل طالب ، أعلى جبل في الجمهورية العربية المتحدة .. وفي سيناء ، كان المهربون يصولون ويجولون ، وتعجز قوات الدولة المستقرة الآمنة الشرعية عن ان تضع حداً لنشاطهم ..

وهؤلاء البدو الرحل هم أفضل نواة لحرب عصابات في الصحراء ، بل هم فرسانها الذين لا يمكن لجيوش العالم كله أن تضع حداً لنشاطهم .. انهم جزء من صميم الصحراء ، من صميم تكوينها وتضاريسها ومناخها .. ولكن بدلا من أن نضع الى جانبنا ، كعنصر من عناصر التفوق ، وجود العرب ، البدو الرحل، الذين يعرفون الصحراء شبراً شبراً، والأقدر على القتال فيها، ضد القادمين من ثلوج روسيا ومدن بولندا وغابات بوهيميا والشارع الخامس.. بدلا من ذلك نراه يعتبرها من نقط الضعف..ان البدو الرحل هم الذين اسقطوا الامبراطورية العثمانية ، وكتبوا النصر للحلفاء في الجبهة الشرقية ، خلال الحرب العالمية الأولى ، عندما قادهم لورنس ضد مصلحتهم ، وباسلوب حرب العصابات ..

ان الصحراء هي المنبت الطبيعي لحرب العصابات .. اسلوب الهجمات الخاطفة يشنها عدد قليل ضد قوة أكبر ولكنها دخيلة على البيئة .. وهل حرب العصابات الا تجنيد الطبيعة ضد العدو الغريب.. مواجهته بكتلة واحدة من شعب وأرض.. وحدة واحدة تلفظه، وتسحقه، وتصر على أن تجعل وجوده فيها مستحيلا ..

اما عندما تنتفي ارادة القتال ، فإن الجبان يطلب غابات وجبالاً وأمطاراً

---

(١) الأهرام

موسمية وثلوجاً .. بل ومجارٍ كمجاري بولندا وفرنسا ، لكي يسهل التنقل فيها ، والاتصال ، كما يشاهدون في الافلام ! ..

هل فكرنا خلال عشر سنوات ما بين احتلال سيناء الأول ، واحتلالها الثاني .. هل فكرنا في العمل بين هؤلاء البدو الرحل .. واعدادهم لمقاومة العدو . ؟! .. أم تفرغنا لاستفزازهم تارة كمهربين .. وتارة باسقاط عضوية الاتحاد الاشتراكي .. حتى أنه ما كان يعقد اجتماع في سيناء الا وتكون المشكلة الرئيسية فيه ، هي مطالبة زعماء القبائل برد الحقوق السياسية اليهم ؟! .. جردناهم من الحقوق السياسية ، وتركناهم يتزعسون جماهيرهم .. تركناهم يحملون اتهاماً رسمياً بالخيانة العظمى .. دون اتخاذ أي اجراء ضدهم .. الا حكاية التجريد من الحقوق السياسية .. كأنما نحرضهم على كراهية الدولة ونتيح لهم في نفس الوقت ، فرصة التعبير عن هذه الكراهية !! هل جرى تحقيق في هذا الاستفزاز المرسوم المخطط .. لنعرف من المسؤول عنه ؟! ..

ألم يكن بوسع « البدو الرحل » ان ينسفوا آبار البترول ومعدات استخراجه في حقل سدر ؟! ..

هل سمع تاريخ الحروب ، بانسحاب يترك سيناء خالية من السكان .. ولكنه ينسى نسف أغنى حقل بترول ، أو حتى اشعال حريق فيه يعطل انتفاع اسرائيل به ، ولو لبضعة أيام مدة الحرب .. أليس من العار على التنظيمات التي كان يعج بها حقل سدر : اللجان النقابية ، الوحدة الاساسية ، لجنة العشرين ، لجنة القسم ، اللجنة القيادية .. « الجهاز السياسي » .. منظمة الشباب .. الخ .

كل هؤلاء يسلمون الحقل سليماً حتى تستخدم اسرائيل بتروله في المعارك الدائرة فوراً ؟! . أكان هؤلاء بدو رحل ؟! . أم بروليتاريا صناعية ومثقفين ،

لم نغرس فيهم ارادة القتال ، ولم نعلمهم كيف يحاربون ، ولا كيف ينسحبون[1].

ان الأمم تحقد وتقاتل وتدمر وتنتصر .. اما الحيوانات اللافقارية التي لا تعرف كيف تحقد الا على مواطنيها ، فهي لا تدري كيف تحارب ولا حتى كيف تنهزم .. ثم بعد أن تسلم كل شيء لليهود تحاول أن تمنع حتى الغضبة العفوية من الانتقام لليهود ؟ .

ومن عجائب المصادفات ، أن « الأهرام » في نفس اليوم الذي يصدر فيه حاملا هذه الفتوى الصريحة بتحريم العمل الفدائي في سيناء ، ووصفه بأنه نوع من العمل الانتحاري اليائس .. وليس نوعاً من العمل الفدائي المحسوب ..

في نفس اليوم تضطر « الأهرام » لنشر نبأ في صفحتها الأولى ، وعلى بعد سنتمترات من مقال الصريح :

« صرحت المصادر الاسرائيلية الرسمية بأن موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلي ، هدد في الاجتماع الذي عقده أمس لشيوخ القبائل العربية في شمال سيناء وصحراء النقب بطردهم من المناطق التي يعيشون فيها اذا لم يتعاونوا مع السلطات الاسرائيلية في منع رجال المقاومة من دخول هذه المنطقة والارشاد عنهم . وقالت هذه المصادر ان ديان انذر زعماء القبائل باجراءات مشددة ، اذا تكررت حوادث الانفجار وبث الالغام في سيناء » [2] .

دعنا من صيغة الخبر الكئيبة والتي نرجو ألا تكون مقصودة ، مثل : « شيوخ القبائل العربية » « المناطق التي يعيشون فيها ».. لماذا.. أليسوا مصريين؟.. لماذا لا تقول الصحيفة حتى : « مشايخ قبائل سيناء ! » .

المهم أن هناك حوادث انفجار وبث الغام في سيناء .. وان الفدائيين أو رجال المقاومة يدخلون سيناء ، ويختفون هناك بغير حاجة الى طيران ومدفعية ! بل ويعجز ديان والفرقتان الاسرائيليتان عن اكتشافهم الى حد يدفع مجرم الحرب ، الى تهديد ، مشايخ القبائل ..

(١) أما من لجنة تحقيق تبحث كيف لم يتوقف العمل في هذا الحقل ولم توضع ترتيبات تعطيله .. هل لم تكن هناك اية نية جدية في الحرب .. ام الأمر أخطر من ذلك ؟! .

(٢) الأهرام

اخطأ ديان .. لو عرف لقرأ على رجال القبائل مقال « الاهرام » ليثبت لهم أنهم « عرب بدو رحل » .. لا شأن لهم بالاحتلال وأعمال المقاومة . ولو عرف لعلق مقال هيكل عند مداخل سيناء وكتب عليه : « منطقة محظورة على الفدائيين .. طبقاً لتحليل الصريح » « ايها الفدائي عد من حيث جئت .. فالتسلل الى هنا نوع من العمل الانتحاري اليائس وليس نوعاً من العمل الفدائي المحسوب » !

من حسن الحظ ان الفدائيين لا يستقون معلوماتهم من « الاهرام » والا لنالت منهم هذه العبارات ، بأكثر مما تبلغه قوات ديان وتهديداته ..

« ان أي عمل داخل سيناء حتى وان كان محدوداً يتطلب قدراً من الاستعداد لا يمكن أن يتوفر بغير وسائل كبيرة من الحماية كالمدفعية والطيران مثلا » ..

لا .. العمل الفدائي يثبت خطأ « الصريح » .. لقد كان لنا في سيناء أكبر قدر من الاستعداد عرفته سيناء في تاريخها منذ أن برزت الى الوجود .. ومع ذلك لم نقم بالعمل المنتظر .. بينما يقوم ابطالنا اليوم .. نعم ابطالنا المصريون ، رغم التحذير والتحليل .. يقومون بأعمال مجيدة هي البداية الطبيعية لكل حرب تحرير ناجحة ..

ان العمل الفدائي .. أو حرب التحرير الشعبية ، أو أعمال المقاومة لا تتطلب طائرات ولا دبابات .. ومثير حقاً ذلك الاصرار على الفصل بحائط صيني بين القوات النظامية وقوات المقاومة الى حد أن يعتبر استعانتها بالطائرات أو المدفعية تكراراً لا نطيقه ؟! .. ما الذي يمنع ان تقوم عملية موحدة ، ينفذها فدائيون داخل المنطقة المحتلة بمعاونة مدفعية بل وطيران من الضفة الغربية ؟ .. انه يخشى المسؤولية والعقاب .. ويفكر في عمل فدائي يستطيع التنصل من مسؤوليته .. وبالتالي يقترح ملكية هذا العمل لطيرانه ومدفعيته .. لتقديم شهادة المنشأ عند وقوع المساءلة ! ..

اما نحن فنؤمن بشعب واحد وجيش واحد ، بعضه يقود طائرات ، وبعضه يزرع ألغام ، وبعضه يساند هؤلاء وهؤلاء بضرب المدفعية ..

إحتمالات الغزو

ولأن القضية هي منع تسليح الشعب المصري .. فلا بد من أن تسد كل الابواب التي يحتمل أن يتسرب منها هذا المطلب .

● فالجيش النظامي هو المسؤول عن تحرير الأرض المحتلة ..

● وسيناء ليس بها سكان يكفون لشن حرب عصابات ، وسكانها بدو رحل .. لذلك فهم قد أعفوا من مسؤولية مقاومة الاحتلال الصهيوني .. والشعب المصري على الضفة الغربية يجب الا ينتقل الى الضفة المحتلة لمقاتلة اليهود لأن سيناء صحراء لا تصلح للعمليات العسكرية الا بالاعداد الواسع وباشتراك الطيران والمدفعية على الأقل ، وإلا أصبح العمل انتحاراً يائساً ، وجميع القوانين تعاقب على محاولة الانتحار ! ..

وبذلك ينهار — كما يعتقد — كل اساس في المطالبة بتسليح الشعب لتحرير الجزء المحتل ..

● وتبقى المطالبة بتسليح الشعب لمواجهة احتمال عبور اليهود للقناة واحتلال الأجزاء « غير الصحراوية » التي لا يسكنها « بدو رحل » والتي لا تشكو فراغاً سكانياً ، بل كثافة بشرية مرهقة ؟! ..

قد يبدو أنه مطلب لا حيلة للصريح فيه .. ولكن هيهات .. بنفس الأسلوب يفلت الصريح ، كما ألغى وجود الشعب في سيناء ، وأعلن عدم صلاحيتها

للأعمال الفدائية .. بنفس الأسلوب، يعلن الغاء الهجوم الاسرائيلي.. يسأل ويرد على نفسه :

« هل يمكن أن يكون قيام الجيش نوعاً من « جيش التحرير الوطني » تحسباً لاحتمالات قادمة ، أكثر منه محاولة في تصحيح ما وقع سابقاً ، أعني جيشاً للتحرير الوطني اذا تمكن العدو من اجتياز خطوطنا العسكرية الحالية ، ودخل الى اجزاء من وطننا صالحة بحكم كثافتها السكانية ، وبحكم طبيعتها كالأرض الزراعية والمدن لحرب التحرير الوطني .. وتصوري للرد على هذا السؤال ، على النحو التالي : من واجبنا أن نحسن تقدير العدو ، ولكنه ليس من حقنا أن نبالغ في أمره ، ونعطيه ما لا يمكن أن يكون له » .

ثم حسبة تثبت في النهاية « انه لعملية كغزو مصر يحتاج الغازي على أقل تقدير ما بين ثلاثين الى أربعين فرقة وهو حجم من القوة غير متاح لاسرائيل ولن يكون لها في أي يوم من الأيام » « وبعد ذلك فإن قواتنا المسلحة الآن في وضع يختلف وهو بعيد عن أوضاع يونيه سنة ١٩٦٧ بعد السماء عن الأرض » ولهذا ..

« فإن إسرائيل لن تتقدم إلى أكثر مما تقدمت اليه لأنها لا تريد ذلك فضلاً عن أنها لا تستطيعه »[1] .

وأعلن أن « الدور علينا » في التقدم هذه المرة ، كأنها لعبة ..

وذلك طبعاً يضعنا أمام السؤال الحائر .. لماذا إذن قبلوا وقف اطلاق النار .. لماذا لم يدفعوا اسرائيل إلى الانتحار ..

ولكن المؤلم ، انه قبل مرور شهر على هذه التأكيدات التي تنضح غروراً وادعاء .. كانت « طائرة اسرائيلية تتسلل من مطار الطور في جنوب سيناء ،

---

(١) الأهرام ١٩٦٨/٩/٢٠

واتجهت فوق البحر الأحمر إلى شمال القصير ثم عبرت الصحراء الشرقية الخالية إلى فوق منطقة الهدف[1] » .

أليس من الممكن أن تعبر أكثر من طائرة « الصحراء الخالية » وتنزل وحدات مظلات تعززها قطع بحرية أو غواصات أو انزال جوي على نقطة عند الساحل وتحتل الصعيد الذي ثبت أنه يفتقر تماماً إلى وسائل الدفاع ، إذ لم تُطلق طلقة واحدة ضد الطائرة التي ضربت كل الأهداف الصالحة للضرب في نجع حمادي .. بل والتي ثبت انها طائرة من شهادة الشهود كمثل « لا يعقل أن يكون لدى اسرائيل طائرة هليكوبتر من هذا الطراز .. » « الطائرة كانت مسموعة الصوت » « أحد مواقع العمل المدني قرب الصحراء الشرقية أفاد بأن أحد العاملين سمع صوت طائرة تعبر » .. كأنها طائرة دخلت المجال الجوي اليمني أو تسللت من سويسرا .. وليس في دولة محاربة ، أصبحت استعداداتها كالسماء بالنسبة لوضعها في يونيه ..

هل ننتظر حتى يأتي اليهود القاهرة من الجنوب .. ووقتها نقول إن العدو الذي كنا نتوقعه من سيناء جاءنا من الجيزة ! !

هل من المعقول أن تترك أمة مصيرها لصحفي يفتي في السياسة والاقتصاد والخطط العسكرية ؟!

ألم يكن هو وأمثاله يفتون باستحالة هجوم اسرائيل على المطارات العربية ، وترك اسرائيل بلا طيران للدفاع عنها .. وحدث ذلك وكانت نتيجة حساباتهم الخامس من يونيه .

أيجوز أن يقول مسؤول عسكري ، ان اسرائيل إذا أرادت أن تتقدم فيجب أن تشق طريقها عبر القناة .. لماذا ؟.. ألا يعرف أن هناك طريقاً من السويس على بعد ساعتين حتى المعادي ؟..

---

(١) الأهرام ١٩٦٨/١١/٤

ثم ما هي الاضرار التي ستعود علينا من تسليح الشعب ؟..

هل لو كان شعب نجع حمادي ، مسلحاً ، منظماً ، متخذاً مواقعه العسكرية أكان يمكن أن تقع هذه الغارة ، ثم يدور الجدل حول ماهية المغير ؟! أهو طائرة هليكوبتر أم سكاي هوك ؟..

سيناء لا تصلح لأعمال فدائية .. فلا داعي للانتحار .. صدقنا .. ما المانع من تسليح الشعب غرب القناة حتى ولو كان احتمال الغزو الاسرائيلي واحد في المليون .. ما الذي سنخسره إذا ما أصبح لدينا عشرة ملايين مقاتل ومقاتلة ؟..

بلا لف ولا دوران ..

هل تسمح مراكز القوى للشعب المصري بحمل السلاح ؟..

هل يقوى نظام ٥ يونيه على خوض حرب بمستوى الضراوة والاستمرار والاصرار المطلوب لاحراز النصر على اسرائيل ؟..

أما كل هذه الاعتراضات فهي فاسدة .. سيناء أرض نموذجية لحرب العصابات ، عرب سيناء جنود بواسل ونواة صالحة لأعمال المقاومة ، والوقت لا يكون متأخراً أبداً في حياة الأمم ، إذا ما بدأت .. الوقت ليس في صالح من لا يعمل ..

ومن الذي حتم على المصريين أن يقاتلوا اسرائيل في سيناء وحولها .. لماذا تختار اسرائيل الجبهة الأنسب في الضرب ، وتتنقل بضرباتها شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ... لماذا لم تلتزم بضرب خط المواجهة وضربت في نجع حمادي ؟! لماذا لا ينتقل عشرة آلاف مصري للانضمام إلى العمل الفدائي في الاردن ، أو فتحه في جولان .. أو التحرك داخل اسرائيل ذاتها ..

عملية انتحارية ؟!.. وهل بقي لنا إلا أن ننال حق الحياة عبر ملايين الانتحارات ؟..

ما أعظم وأمجد أن ننتحر مهاجمين الاسرائيليين بدلاً من أن يذبحنا ويحرقنا

الاسرائيليون ونحن نفر هاربين !..

لقد آن أن نتكلم بصراحة،ان الفرق بين الضفة الشرقية وجولان،والضفة الغربية هو في نوعية الحكومة في الاردن ، ونوعيتها في دمشق والقاهرة ..

الفارق ان الحكومة الاردنية يمكن أن تُبيح العمل الفدائي ، أو بمعنى آخر تترك لشعب فلسطين حرية ممارسة الكفاح ضد محتل أرضه . نستطيع أن نقول إن موقفها في ذلك يشبه موقف حكومـــة تونس والمغرب وليبيا من نشاط الثوار الجزائريين على أرض هذه الحكومات ..

أما في مصر وسوريا فالوضع مختلف .. إذ لا يمكن قيام علاقة التعـــايش الواقعة بين شعب الأردن وحكومته .. أو دعه يعمل .. دعه يمر إلى الضفـــة الغربية .. إذ لا بدّ أن تقود الحكومة الثورية مثل هذا الكفاح الثوري ، أو أن تمنعه ، ولا يمكن أن تسمح له بأن يتم بمنأى عنها ..

فالسؤال المطروح هو : هل تقود هذه الحكومات العمل الفدائي .. بل هل يجوز أن نطلق على حرب التحرير الشعبية في مصر وسوريا .. صفـــة « العمل الفدائي ؟ ... »

وهل لا بد أن تكتسح حرب التحرير الشعبية ، أولاً ، « مراكز القوى » التي تمنعها .. لكي تنطلق إلى تحرير سيناء والجولان ؟ . .

هذه هي الأسئلة التي تطرح .. ولندع جانباً قضية التضاريس والمنـــاخ والصحراء والتلال والأنهار .. فإن الجبان يجد ألف حل لمشكلته ولكنه لا يقبل إلا حلاً واحداً ـ هو الجري !

أيهما أولاً ..؟!

بقيت نقطة أخيرة ، يثيرها « الصريح » ولكن صياغتها الأكثر ذكاء تأتي من بيروت .. فإذا كان « هيكل » ، استناداً إلى حق التفويض الالهي يقول ما يشاء بصراحة ، وبركاكة الكهان التي يتحدث عنها الشدياق .. فإن الكاتب البيروتي يواجه منافسة حادة ، وأقلاماً تتحرش للصدام .. والتزامات حركية وعقائدية .. لذلك فلا بد من إعادة صياغة الحيثيات لتبدو أكثر وجاهة ..

« هيكل » يقولها صراحة ان الجيش الشعبي مهمته حراسة الكباري ومراقبة اطفاء الأنوار .. ولكن البيروتي الأريب يصوغها على نحو أفضل .. « ان جهاز الدفاع المدني ، يستولد فيما بعد من تلقائه الحرس الشعبي أو المقاتل المدني .. فالجيش الشعبي هو سلاح في يد الدفاع المدني ، ولا يمكن انشاؤه قبل ايجاد تلك اليد التي تحمله » ..

« حين نلمس أن المواطن بات يعرف ماذا يفعل حين يعول صوت صفارة الانذار[1] ، والسائق أين يضع نفسه ، والمستشفى يعرف أين ولماذا وكيف يتصرف مع المتطوعين والمتطوعات ، وربة البيت تعرف كيف تحصل على خبزها وكم ، وسكان الحي يعرفون كيف يخمدون حريقاً ، وينقلون مصاباً ،

(١) نجع حمادى لم يكن فيها ولا صفارة انذار .. بني سويف أقاموا فيها مطاراً عسكرياً ونسوا تركيب صفارة انذار الى ما بعد ضرب المطار !

وينقذون محاصراً ، والشبان يعرفون أين يتعين عليهم أن يجدوا مواقعهم ، فقط عند ذلك نكون قد أنشأنا نواة لا تُقهر لمجتمع مقاتل يستطيع ليس فقط أن يستولد جيشاً شعبياً حاشداً ولكن أيضاً أن يكون ذا قيمة لا تقدر بثمن لكفاءة وفعالية الجيش النظامي في ذاته »[1] .

وهكذا بدلاً من الرفض الفظ .. نترك فسحة من الأمل .. تعلموا أولاً الدفاع المدني .. والسلوك الحسن أثناء الغارة ، ومن خلال ذلك يأتي الجيش الشعبي ، ويتكون رجال التحرير ! !

وطبعاً ذلك مخالف لكل تجارب الشعوب ، ولصميم التجربة الفلسطينية التي تقع أمام أعيننا الآن ..

فلم يحدث أبدا أن نشأت حركة المقاومة الفرنسية من بين صفوف الدفاع المدني ومتطوعات الصليب الأحمر .. ولا في فيتنام .. ولا في فتح أو الجبهة الشعبية ..

وهو لم يجد مثالاً يضربه إلا بريطانيا ، حيث الشبه منعدم بين ما نريده في بلد محتل ، وأمة في حالة ثورة ، وبين ما يمكن أن يجري في أعرق الـــدول الاستعمارية حيث أقدم جهاز امبراطوري ، وصحيح ان بريطانيا لم تكسب الحرب بجيشها .. ومن البلاغة فقط أن نقول انها كسبتها بدفاعها المدني .. لا بل بجيوش الآخرين .. بالدم الروسي والتكنولوجيا الامريكية .. وصمود الشعب البريطاني والدولة البريطانية ، ورفض أي نهاية للحرب الا تسليم العدو بلا قيد ولا شرط ..

ونستطيع أن نقول ان عكس هذه النظرية هو الصحيح .. ان شـــعباً من المقاتلين المدربين يعرف جيداً كيف يتصرف عند وقوع غارة جوية تماماً كما يتصرف الجيش النظامي .. بل وأفضل منه ..

ونستطيع أن نعكس القضية فنقول ان تكوين جيش التحرير الشعبي يحل

---

(١) الانوار ١٩٦٨/٩/٢٢ – أي بعد يومين من نشر مقالة الصريح وهي مدة كافية للاستيعاب والتنظير ..

من تلقاء نفسه قضايا الخطوط الخلفية[١] ، ولا نقول الجبهة الداخلية .. فذلك تقسيم من يقاتلون على جبهتين .. جبهة خارجية ضد الغزو ، وجبهة داخلية ضد شعوبهم ، هذا تعبير جدير بحكومة فيتنام الجنوبية أو حتى الحكومة الامريكية في حربها في فيتنام التي يعاديها جانب من الشعب الأمريكي ، الأمر الذي يشكل جبهة أخرى داخلية ، يجب القتال عليها ، مهما تكن محدودة .. أما الحرب التي نتصورها ضد اسرائيل فهي تتكون من جبهة واحدة ضد العدو وحده ..

في اسرائيل يفكرون في جبهة واحدة ، هي جبهة القتال ضد العرب ، لذلك فهم يفكرون ويعملون دائماً في تنمية قدرة المجتمع الاسرائيلي على التأثير في جبهة القتال مع العرب ..

أما عندنا فالوضع منقلب ، انهم يفكرون دائماً في تأثير الوضع عند جبهة القتال ، على الاوضاع في الجبهة الداخلية ..

هناك يفكرون في كل ما يؤدي إلى النصر عند خط النار .. أما عندنا فهم يتحركون عند خط النار بما يخدم استمرار خضوع « الجبهة الداخلية » لحكمهم .

ومن ثم فإن جميع التحركات ضد اسرائيل مسخرة لخدمة هذا الهدف ..

هناك .. الاستراتيجية هي قهر العرب وانتزاع أرضهم وإبادتهم ... والتاكتيك كله في خدمة هذه الاستراتيجية ..

وعندنا الاستراتيجية هي البقاء في السلطة .. والتاكتيك يختلف .. تارة بالتهديد والتأكيد على فتح اسرائيل .. وتارة بمنع الحرب الحقيقية .. والجري وراء الحل السلمي ، وتارة بفتح جبهات في أي مكان الا في اسرائيل .. والهدف كله .. سلامة الجبهة الداخلية .. الميدان الذي اثبتوا انهم فرسانه الوحيدون ..

والتفسير الوحيد المقبول ، لاعتناقهم سياسة الحل السلمي ، هو انها أعطتهم فسحة للقتال في الجبهة الداخلية ، وتصفية الجيوب المعارضة ، وتلهية الجماهير عما حدث في ٥ يونيه .. وتخفيف حدة غضبها ، وامتصاص انفعالاتها ..

والأمل معقود على تسوية سياسية تحولها اجهزة الاعلام الى نصر تاريخي ، يتحول الى عيد قومي ، يضاف الى ايام التعطل عن العمل .. وتعود الميكروفونات تصبح من جديد .. ميكروفونات واذاعات جديدة ، فسنلغي مكتب المقاطعة بانهاء حالة الحرب .. وتعود الشركات الامريكية فتقتسم بلادنا مع المؤسسات السوفيتية وكأن شيئاً لم يكن [1] ..

ولكن هيهات .. ان الشعوب بالمرصاد ..

(١) سطا دكتور انتكاسي على فكرة هذا الفصل ونشرها في مجلة دراسات عربية بكل الأمانة التي يتحلى بها الانقلابيون

(١) (قبيل الطبع) التحركات كلها تؤكد ذلك فقروض امريكية تعقد .. ومفتش امريكي يطوف بالمنطقة ويستبشر خلال جولته لتقصي الحقائق .. وآمال تنتعش بمرحلة جديـــدة من التفهم الأمريكي وذلك مـــا قلناه في « دراسة في فكر منحل » .. ان نهاية سياسة فتح الباب للنفوذ السوفييتي ، هي عودة النفوذ الأمريكي منفرداً أو مقتسماً مع الشريك الشيوعي ..

القسم الثالث

... حرب تحرير شاملة

الحرب أو الفناء!

ربما تكون خطوط الفكر الذي نؤمن به ، قد اتضحت خلال مناقشتنا لفكر النكسة ، ومحاولتنا كشف أصوله ، وفضح مصادره .. ومن ثم فلعلنا نحاول في هذا القسم الثالث ، أن نحدد بعض الواجبات العاجلة التي تواجه الأمة العربية ، في أحرج لحظات مصيرها ..

ونقطة البدء التي يجب أن تتجسد في وعي كل عربي .. هي أنه يعيش لحظة المصير الحاسمة .. اما الفناء والخروج نهائياً من تيار الحضارة والبشرية المتقدمة .. او الوحدة والقوة ودخول عصر الفضاء .. يجب أن نوقن ونردد دائماً ، انه بغير القتال ، فإن الوقت لا يعمل لصالحنا .. وليس أمامنا فرصة للخيار . ولا أمل في تأجيل لحظة المصير ..

نحن في سباق مع قوى التاريخ كله .. فالغزو الاسرائيلي يأتي في لحظة حاسمة في مصير شعوب العالم كله .. انهم في فرنسا ، يدقون ناقوس الخطر ويقولون ان أوروبا تواجه مصيراً مظلماً في عام ١٩٨٠ اذا لم تلهث من أجل انجاز الثورة التكنولوجية .. يهددون أوروبا الغربية بانها اذا لم توحد مواردها وتعبىء طاقاتها لخوض السباق ضد التفوق الأمريكي ، فإن الفارق بينها وبين امريكا في ١٩٨٠ سيصبح « كالفارق بين فرنسا الآن وبين مصر أو نيجيريا » (١) .

(١) التحدي الامريكي – شرايبر

والسؤال الخطير.. فأين سنكون نحن في ١٩٨٠؟ خارج المجموعة البشرية بكل تأكيد .. وهل يمكن ان نحقق الثورة الصناعية الثانية ونحن على وضعنـــا الحالي من التمزق والتخلف .. والخضوع للسيطرة الاسرائيلية ؟! ..

واذا كان من المصادفات التعسة في تاريخ العرب ، ان الاستعمار الغربي ، غزا بلادهم في بداية الثورة الصناعية الأولى ، فحرم الوطن العربي من تحقيق ما حققته اليابان ، وحرمنا من دخول عصر الصناعة .. فانه سيغدو أكثر من كارثة أن نسمح للاستعمار الصهيوني بحرماننا من دخول عصر الثورة الصناعية الثانية .. ان ما حققته الثورة الصناعية الأولى كان تفوقاً «كمياً» في قدرات الانسان الغربي .. كان دائماً من الممكن ادراكه ، هكذا فعلت اليابان ، وهكذا فعلت روسيا ، وتفعل الصين .. ولكن ما ستحققه الثورة الصناعية الثانية (التي نعيشها) هـــو تفوق «كيفي» في قدرات منجزيها .. ستصبح الثغرة كتلك التي تفصل الانسان عن القرد .. أي مستحيلة الاجتياز .. فاما الآن .. واما الخروج نهائياً من السباق ..

ولا أمل للعرب في التحول الى أمة قوية ، في مستوى تحديات العصر ، الا بتوحيد مواردهم ، وتعبئة كل طاقاتهم في اتجاه واحد هو التنمية ،وبمعدلات لم تحققها أي أمة قبلنا ، لأننا نريد أن نقطع ، في ما تبقى من سنوات ، مسموح فيها بتخطي حاجز التخلف ، نريد أن نقطع ما قطعته أوروبا وأمريكا في عشرات السنين ..

فهل تسمح لنا اسرائيل بالوحدة أو بتوحيد الموارد ؟! ..

أبداً

ان اسرائيل قبل الخامس من يونيه كانت تعلن انها لن تسمح بتغيير الأوضاع في هذا البلد العربي .. وانها ستزحف لتغيير الأوضاع في بلد عربي آخر .. وانها لا تسمح باقامة سد على نهر عربي في بلد عربي .. ولا تسمح

بتحويل مياه عربية داخل ارض عربية ..

اتراها تقف مكتوفة اليدين ، بعد الخامس من يونيه ، اذا ما شرع العرب في الوحدة أو بدأوا تعبئة مواردهم ، أو توجيه طاقاتهم نحو التنمية الصناعية ، الأساس الحقيقي ، لكل قوة عسكرية ؟! .

محال ! ..

كما كانت بريطانيا تمنع تصنيع الهند .. وتقيل أي وزارة ، وتسقط أي حكومة تفكر في التصنيع في الوطن العربي .. وكما كانت الدول الأوروبية تمنع وحدة الصين .. بل كما كانت فرنسا تمنع وحدة المانيا أو ايطاليا .. ستمنع العسكرية الاسرائيلية المتفوقة ، أية محاولة للوحدة العربية ، وستضرب أي محاولة جدية للنمو العربي ، قبل أن تكتمل ، أو أن تتحدد ملامحها ..

ان العرب اذا قبلوا استمرار حالة عدم القتال ضد اسرائيل على أية وضع ، سواء باستمرار اسرائيل في مواقعها الحالية ، او بالتسليم لشروطها .. أي اقامة حدود آمنة كما تحب اسرائيل ، فلا شك أن العرب في الحالة الأولى،أي استمرار القوات الاسرائيلية في وضعها الحالي ، كلما مر عليهم الزمن ، تضعف قدرتهم على شن هجوم فعال .. اذا ما اعتمدوا الوسائل التقليدية في القتال .. وفي الوضع الثاني .. وضع الحدود الآمنة ، فإن اسرائيل .. ستشترط طبعاً تصفية العمل الفدائي ، ووضع الجيوش العربية في مواقع لا تسمح لها بشن هجوم مفاجيء ولا بدء حرب حاسمة ، بل سيكون لاسرائيل المبادرة دائماً في ضرب أي محاولة قبل أن تتحول الى فعل مؤثر .. يجب ألا يخدعنا أي وهم ، بقبول صلح ، نستعد خلاله للثأر .. لن يُسمح لنا بذلك ابداً .. إما الآن .. والا فلا ..

وخلال السنوات القليلة القادمة ، واذا ما استمر تمتع اسرائيل بالسلام ، فانها ستصبح دولة ذرية ..

ومهما يقال عن تأثير ذلك بالنسبة للعرب فليس هذا هو ما يحرك اسرائيل

لا تتاج القنبلة الذرية .. بالطبع ان تأثيره المعنوي ، في مثل اوضاعنا الراهنة ، لا يستهان به .. ولكنني اعتقد ان اسرائيل تسعى لدخول النادي الذري ، لغير المواجهة العسكرية مع العرب.. لأن العرب لو ظلوا مسالمين حتّى تنتج اسرائيل قنبلتها الذرية ، فلن تكون اسرائيل بحاجة الى استخدامها .. واذا ما بدأنا حرب التحرير الشاملة ، فانها لن تتمكن من صنعها ، ولو حصلت عليها ، فليس في حرب التحرير الشاملة ، هدفاً ، يصلح للضرب بقنبلة ذرية .. هذا سلاح مؤثر ضد جهاز عسكري على درجة عالية من التعقيد التكنيكي .. وحرب التحرير الشاملة تدور داخل الأرض التي يحتلها العدو .. ومن ثم فالقنبلة الذرية ليست بالسلاح الحاسم .

المهم — في اعتقادي — من ناحية تحول اسرائيل الى دولة نووية ، هو تحولها الى دولة عظمى ، ان هذا هو ما تفكر فيه اسرائيل فعلا .. وصياح « الجرو في وجه الفيل » — على حد تعبير البرافدا — ليس مجرد تهويش ، بل لعله يعكس ما يدور الآن في تفكير الولايات المتحدة الأمريكية ، والصهيونية العالمية .. امبراطورية اسرائيل غرب آسيا وافريقيا .. وشرق وجنوب البحر الأبيض .. الجبهة الجنوبية لحلف الأطلسي .. ضد روسيا الى حد ما ، وضد اوروبا الغربية أساساً .. ومن أجل استثمارات فلكية في آسيا وافريقيا .. استثمارات بحجم عصر الفضاء وتتطلب حماية خاصة ضد شعوب آسيا وافريقيا واطماع المستثمرين الآخرين ..

استثمارات من الصعب التنبؤ بابعادها ، ولكن من المؤكد انها تختلف تماماً عما عرفه تاريخ الاستعمار حتّى الآن ..

الاستثمار الاستعماري حتّى الآن .. — في معظمه — كان يقوم على استغلال السكان الأصليين ، وكان يحمل بفعل تناقضاته ، بعض عوامل التقدم في ظل

التخلف العام الذي يفرضه على هؤلاء السكان ..

ولقد خدعنا أنفسنا ، بالحديث ، عن نهاية عصر الاستعمار .. والحقيقة انه طالما ظلت الغلبة للحضارة الغربية البيضاء ، فان الاستعمار مستمر ، ربما تتغير أشكاله، ولكن جوهره سيبقى.. تطلع الاقوياء الى أرض وثروات الضعفاء.

كذلك فإن ظهور اشكال جديدة للاستعمار لا يعني حتمية اختفاء الاشكال القديمة .. بالعكس ، انها تستمر الى جانبها وتخضع نفسها للشكل الجديد ..

وظهور عصر الفضاء لا يمنع ، بل لعله يؤدي ، الى ظهور اشكال جديدة من الاستعمار ، واعادة بعث اشد اشكاله وحشية وبدائية .. وهو اسلوب ابادة الشعوب ، والاستيطان في أرضهم .. والمخطط الصهيوني واضح في اعتماده خطة ابادة العرب ، لبناء الامبراطورية الاسرائيلية فوق أرضهم .. وهذه الابادة — اذا ما تم النصر الاسرائيلي — ستمتد جنوباً في افريقيا — لتلتقي مع توأمها الاستعمار العنصري الأبيض الزاحف شمالا من جنوب افريقيا ..

ان العالم يصبح أكثر ضيقاً بزيادة السكان ، واصرار الجنس الأبيض على أنانيته وتمتعه بمستواه المرتفع على حساب الآخرين .. وتأزم الوضع داخل الدول الغنية ، أو هذه الثورات التي يفرح بها البعض عندنا ، كظاهرة أزمة في حضارة المتفوقين .. هي بدورها تثير انتباه مخططي الحضارة البيضاء .. والحل عندهم ، هو نفس الحل الذي عرفه « سسل رودس » في القرن التاسع عشر ، تصدير المتاعب الى الخارج .. انهم في القرن التاسع عشر ، كانوا يبحثون عن أسواق جديدة ، عن مصادر رخيصة للخامات .. ولكن استعماريي عصر الفضاء يبحثون عن قارات خالية من السكان .. وسيبيدون كل أمة تقبل لنفسها دور المستضعف ..

ان اسرائيل لديها دراسات معدة فعلا عن زراعة الصحراوات [1] في جميع الوطن العربي من المحيط للخليج .. برامج عملاقة ، ستمولها احتكارات عصر الفضاء ، ولن يزرعوا الأرض لنا .. ولا ليهود حائط المبكى .. بل للاستعمار

(١) نشر بعضها فعلا..

الجديد..للحضارة البيضاء الجديدة..التي تحاول اسرائيل ان تكون جزءاً منها..

فنحن نواجه غزواً استعمارياً خطيراً .. والقوة النووية التي تسعى اليها اسرائيل ، هي من مستلزمات هذا التوسع الامبراطوري .. لا لمواجهة العرب ، بل لمواجهة القوى العالمية الأخرى ..

ان هذه المخططات ، تفسر لنا ما بدأ البعض يلاحظه من قلق في بعض دوائر الغرب التقليدية ، وما يشبه التحول في موقف اجزاء من القوى التقليدية في غرب أوروبا .. ويجب الا نخدع أنفسنا ، وننسب ذلك الى جهودناالإعلامية . فما زلنا نتمتع بأفشل جهاز إعلامي .. ولكن مرجعه الى تنبه هذه القوى الى ظهور الخطر الجديد على مصالحها وارتباطاتها وتطلعاتها في هذا الجزء من العالم .. ان القوى الامبراطورية في الغرب وفي فرنسا وبريطانيا خاصة ، كانت تعادي العرب ، وتقاوم الحركات الاسلامية ، تحسباً من قيام دولة كبرى في شرق البحر الابيض ، وبافتراض ان الامكانية التاريخية الوحيدة لظهور هذه الدولة ، هي امكانية عربية اسلامية .. ولكن هذه القوى تنبهت فجأة بعد الخامس من يونيه الى ان الخطر الذي ظلت تتقيه ثلاثة قرون ، قد أطل عليها ، بل وبفضل جهودها ! .. ولكنه لم يقم كما توقعوه ، عربياً اسلامياً .. بل اسرائيلياً ! .. من هنا فإن بعض هذه القوى ، قد تنبه بعنف ، ما زال يشل قدرته على التصرف .. ولكن استياءه واضح .. وفي مواجهة هذا الاستياء تنشد اسرائيل القنبلة الذرية لحماية مناطق نفوذها الجديدة ! .

كل هذا يؤكد خطورة اللحظة التاريخية التي يقع فيها الغزو الصهيوني ..

اضف الى ذلك ان التخريب الاستعماري، والغزو الفكري الصهيوني قد استشرى في الكيان العربي ، إلى حد أصبح استمرار هذا الكيان في ظل ظروف استسلامية ، موضع شك كبير .. فالوجود العربي كله يمكن ان يتقوض وينهار في ظل مناخ استسلامي يتيح لعناصر الفساد أن تنشط من جديد .. وليس سوى نار حرب التحرير تلتهم هذه العناصر المخربة ، وتحرق الأجزاء المنهارة المتآكلة من الكيان العربي ..

حربٌ وطنيّة

ان الأمة العربية يجب أن توقن انها تعيش مرحلة الوحدة الوطنية .. التي بدأت منذ عام ١٨٣٠ عندما غزت فرنسا الجزائر ، وغزت بريطانيا جنوب الجزيرة .

هذه المرحلة ، ما زلنا نعيشها ، لم يتغير جوهرها بعكس كل ما روجته القوى الضالة والمضللة .. لكي تزيف علينا أهدافنا .

بالعكس ان الطابع الوطني للمرحلة ، كان يتأكد ، باستمرار التوسع الاستعماري في غزو بلادنا ، الى أن انتهى الى اقتسامها بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا في نهاية الحرب العالمية الأولى .. ثم تغلب هذا العامل (الوطني) على كل عامل آخر بظهور الاستعمار الاستيطاني ، القائم على ابادة الشعب وانتزاع الأرض ، وهو الغزو الصهيوني الأمريكي .

كل هذه المراحل أكدت الطابع الوطني للثورة العربية ، فهي موجهة اساساً ضد الغزو الأجنبي .. وما من ثورة اجتماعية ، يحق التحدث عنها ، طالما أن الوطن مهدد بالاحتلال الأجنبي .. فإذا كان الاحتلال يقوم على ابـــادة الشعب والاستيلاء على الأرض .. وهو الاستعمار الاستيطاني .. وجب أن تتراجع كل القضايا الأخرى ، لتحتل قضية تحرير الوطن المقام الأول والأخير . لأن التناقض الأساسي هو بين الأمة العربية ، وغزاتها الصهيونيين .. هذا

التناقض يجبّ ويحجب أي تناقضات ..

لقد طرحنا في ١٩٦٤ شعار « الوطن أولاً » واليوم نقول « الوطن أولا وأخيراً » ..

ولكن الحرب الوطنية ، لا تتخذ صورة جامدة .. ولا يمكن القول بوجود مواصفات محددة لا تتغير لشكل هذه الحرب ، أو لتكوين القوى المشتركة فيها ، ومراكزها .. بالعكس ! .. انها ككل ظاهرة صراع ، تتغير وتتطور من خلال صدامها مع الظواهر الأخرى ..

والحرب الوطنية العربية التي تقترب من منتصف قرنها الثاني .. اصطدمت خلال هذه الفترة بشتى اشكال الاستعماريات ، وضمت الى صفوفها مختلف القوى الاجتماعية في البلدان العربية المتعددة التكوينات الاجتماعية والفكرية .. ومن خلال العزلة والالتحام ، تتابعت عليها قيادات عديدة ، متباينة التفكير والاتجاهات ..

هذه الحرب ، الممتدة في الزمان والمكان ، لا بد انها في حركة مستمرة وتغيير دائم : خبراتها تتجدد .. وتكويناتها تتبدل : فقوى اجتماعية جديدة تظهر ، وقوى اجتماعية تتدهور مكانتها ، وتتغير مواقعها .. استعماريات قديمة تنهار ، فتنهار معها ارتباطاتها ، واستعماريات جديدة تزحف ، فتعكس ظلالها ..

وليس ثمة من يملك فرض وصايته على حركة التاريخ ، فيمنح الخلود لقيادة ، أو الاستمرار الأبدي لحزب ..

وما من عاقل يتصور ان الكفاح ضد الغزو الصهيوني اليوم ، سيتم بنفس الاساليب ونفس القوى التي واجهت غزو فرنسا للجزائر او بريطانيا لمصر ، أو ايطاليا لليبيا ، أو حتى الغزو الصهيوني في الاربعينيات .. لا .. ان خصمنا يتطور ، ويطور اساليبه ، ولا بد أن نتطور في مواجهته . ولكن جوهر القضية

يبقى كما هو ، الاستراتيجية واحدة .. حرب وطنية ضد غزو استعماري ، حرب وطنية تشنها الأمة العربية مرتبطة ومدعمة بالعالم الاسلامي ، والجماهير المسلمة .. تؤيدها وتناصرها قوى التحرر في العالم كله .. مستعينة بالتناقضات في الجبهة المعادية ..

ويمكن أن نرسم خريطة المعركة على هذا النحو : [1]

الهدف : تحرير فلسطين وازالة الوجود الصهيوني من الوطن العربي ..

العدو الرئيسي : القوة العسكرية للصهيونية ، متمثلة في دولة اسرائيل ..

الاحتياطي المباشر للعدو : الاستعمار الامريكي والصهيونية العالمية ، وامتداداتها وتأثيراتها العالمية والعداء التاريخي الذي تكنه الحضارة الغربية بشقيها (الرأسمالي والشيوعي) للعرب والاسلام ..

الاحتياطي غير المباشر (أي عوامل مساعدة للعدو) :

١ — انقسام القوى العسكرية للعرب .

٢ — التناقض بين الحكومات والشعوب العربية .

٣ — الاحزاب والحركات الخاضعة للنفوذ الصهيوني والاستعماري ، والتي تحركها اصابع صهيونية اما مباشرة أو بالغزو الفكري ..

٤ — خضوع اجزاء من القيادات العربية للنفوذ السوفيتي أو الأمريكي ، وقبولها لتوجيهات السوفيت أو الامريكان ولو ضد حريتها في الدفاع عن الوطن .

٥ — عزلة الثورة العربية ، عن جماهيرها الاسلامية ..

قوى التحرير :

القوة الرئيسية : حركات الفدائيين ، المتطورة الى حرب تحرير شاملة .. تتجسد فيها الثورة العربية ..

---

(١) عن الأسس اللينية لستالين بتصرف .

الاحتياطي المباشر : الثورة الاسلامية التي ستدخل المعركة امكانيـــات وطاقات ٦٠٠ مليون مسلم ..

الاحتياطي غير المباشر :

الانشقاق داخـــل معسكر العدو .. سواء الاساسي منهـــا كتناقض فرنسا وأمريكا .. والصين وروسيا .. أو المرحلي كتناقض روسيا وأمريكا ..

خطة تحريك القوى : توسيع العمل الفدائي ، وتحويله الى حرب تحرير شاملة مع استمرار تصعيدها ، لتضم كل الجماهير العربية والقوى الوطنية ، وتمتد على نطاق الوطن العربي كله وفي مواجهة كل المصالح الاستعماريـــة المتعاونة مع الصهيونية .. مع تحريك التضامن الاسلامي ، لتلبية دعوة الجهاد .. وتجنيد المقاتلين المسلمين من مختلف البلاد الاسلامية للقتال على خط النار ، ونسف وشل المصالح والوجود الاستعماري في الوطن الاسلامي كله ..

وكسب عطف وتأييد كل انصار الحرية في العالم على اختلاف اديانهـــم وجنسياتهم ومواقعهم ..

اتجاه الضربة المباشرة : انهاء وضع وقف اطلاق النار الحالي على جميع الجبهات وتحطيم خطوط وقف اطلاق النار..

جَبهة وَطنيّة

فالجبهة الوطنية هي القوة الرئيسية التي ستخوض الحرب ، وبغيرها لا يمكن تصور القتال فضلا عن النصر ..

ولكن الجبهة الوطنية ليست أمنية ، والدعوة اليها ، ليست بطاقة دعوة توجه للقوى الاجتماعية والسياسية مع رجاء الرد في حالة الاعتذار .. ولا هي « ابراء ذمة » يوجهها الثوريون من ابراجهم العاجية أو الثورية ، لمجرد تسجيل خيانة ورجعية المتخاذلين ! فليس الهدف الذي نسعى اليه ، هو الشماتة ، أو احراج الآخرين .. بل المكسب الحقيقي هو أن نكسبهم الى صفنا ، فلتكن حرب فلسطين.. ماء الطهور لكل الخطايا .. لكل الآثمين العرب .. ولنبذل جهداً حقيقياً ، صادق النية لكسب الجميع الى صفوفنا ..

ان الدعوة الى الجبهة الوطنية تفترض بداهة ، رفض قوى قائمة الانضمام الى هذه الوحدة الوطنية ، ومحاولة قوى داخلها ان تفرض حلولا استسلامية بدلا من الحل العسكري ، كما تفترض انفصال اجزاء من الجبهة ، وانضمام اجزاء جديدة .. كلما اشتدت المعركة ، وزادت التزاماتها ، وتضاعفت تضحياتها .. وكلما زاد القهر الاستعماري ، وتنبهت قوى جديدة لاطماعه ، وضراوته ..

فما من أحد يفترض أن الجميع سيكونون « يداً واحدة على العدو » .. لا ..

لو أن هذا هو الحال ، لما كان قهر الاستعمار مشكلة .. ان الوحدة ستتحقق بالدم .. بالحديد .. والنار .. بالجهادين ، الاكبر والاصغر .. جهادنا ضد أنفسنا ، وجهادنا ضد العدو .. ولكن المهم هو أن الدائرة التي تحدد موقع القوى الاجتماعية والسياسية ، يجب أن تبقى دائرة الحرب ضد الغزو الاستعماري وحدها ..

فعندما يرفض الشيوعيون ، اليوم ، الحرب المسلحة ضد الغزو الصهيوني ، ويفضلون الحل السلمي ! .. كما يطالب الحزب الشيوعي الأردني ! .. أو يفضلون شن الحرب المسلحة ولكن في مؤخرة الجيش العراقي .. فهم بذلك يضعون أنفسهم خارج دائرة الحرب الوطنية ، ويصبح لزاماً على القوى الوطنية ، أن تصفيهم فكرياً وجسدياً ، وبعنف مماثل لسحقها لأي قوى تقليدية أو طبقة حاكمة تدعو للصلح مع اسرائيل ، أو توجه طاقة عربية لضرب قوة عربية ، او افتعال معارك داخلية ، أو عرقلة الكفاح المسلح ضد الغزو الصهيوني ..

فليس هناك من يطالب القوى الإجتماعية ، والسياسية ، بالغاء اختلافاتها ، أو التخلي عن برامجها ، أو منعها من التفكير في صورة المجتمع العربي بعد التحرير .. ولكن شرط الا يكون البرنامج الاجتماعي اداة تفريق للوحدة الوطنية ، وتقسيم العرب الى رجعيين وهدامين .. بل الموقف من اسرائيل ، هو الذي يحدد موقع القوى المعينة من حركة التاريخ ..

فالرجعي هو من يرفض أو يعرقل العمل المسلح ضد اسرائيل حتى ولو كان لاجئاً في موسكو ..

والتقدمي هو من يحمل السلاح أو يعين على حمله ، ملكاً كان أو اميراً ..

وما من عاقل سيقف على باب الكفاح المسلح يسأل المتطوعين ، عن أسباب تطوعهم واستعدادهم للموت ضد جنود اسرائيل ..

فليؤمن الشيوعي بالماركسية ، وليعد من الآن برنامجاً لاقامة مجتمع شيوعي في فلسطين .. شرط أن يكون ذلك المجتمع عربياً ، وفوق انقاض الوجود

الصهيوني .. وشرط أن يحمل السلاح الآن لازالة الوجود الصهيوني .. من حقه أن يرى في القتال ضد اسرائيل تصفية للرأسمالية العالمية ، وتأكيدا لصحة النظرية الماركسية . وليس من حق القوى الوطنية أن ترفض انضمامه الى صفوفها ما دام يخضع لتوجيهها ، ولا يخرب العمل الوطني ضد اسرائيل ، استجابة لتسوية عالمية لحساب موسكو ..

فإذا كان الشيوعيون ، بسبب من شيوعيتهم ، يخونون حرب التحرير ضد اسرائيل .. فإن القوى الوطنية تسحقهم بسبب خيانتهم هذه ، وليس بسبب شيوعيتهم كما يدعون !

وكذلك من حق أي رأسمالي ، أن ينضم للمقاتلين من أجل استعادة فلسطين عربية ، من أجل ازدهار الرأسمالية العربية ..

من حق القومي ، أن يرى في الحرب ضد اسرائيل الطريق للخلاص من الشيوعية ، والنفوذ السوفيتي ..

وانه لأكثر من مريب أن يبذل دكتور انتكاسي جهداً محموماً لاثبات خطأ اعتزاز المسلمين بالقدس .. أو دعوة المسيحيين للقتال من أجل ازالة اسرائيل ، لأن قيامها يتحدى المسيح ، والديانة المسيحية ..

ما الضرر ؟ .. في أن نلهب حماسة المسلمين من أجل القدس .. ونثير حماسة المسيحيين حفاظاً على عقيدتهم ؟! .

أين هي الحرب الوطنية في التاريخ كله ، التي خاضتها الجماهير حول أهداف ومسببات ودوافع واحدة واضحة متفق عليها قبل الحرب ؟! .

ان مصير كل حرب ، هو أن يدير المنتصرون اسلحتهم ضد بعضهم .. ولا شك في اننا سنفعل ، وسندير اسلحتنا ضد بعضنا البعض فور النصر ، فذلك من تقاليدنا وتراثنا .. شرط أن نكون في حكمة واخلاص اسلافنا ، الذين لم يتجادلوا بالسيف ، الا بعدما حطموا بالسيف.. كل خطر خارجي .. وقصموا ظهر القوى العالمية التي كانت تهدد حريتهم في الخلاف والتقاتل .. فلنحتفظ بخلافاتنا الى ان يصبح الوطن ، كل الوطن لنا .. ثم نتقاتل فوق هذه الأرض المحررة كما نشاء ..

وحدة العمل العربي

هذه الحرب التحريرية ، تفترض وحدة العمل العربي ، شرط ان تصدر الدعوة اليه ، عن ايمان حقيقي ، وليس مجرد شعار يُرفع لدفع الجماهير الى نسيان تخريب الماضي ، أو لمجرد العجز عن اثارة المتاعب ، وشن الحملات – حالياً – .. أو لفرض هدنة تتم في ظلها المساومة في هدوء ، لتصفية «القضية» دون مزايدات واحراجات ، تعرقل مهمة يارينج !

بل يجب أن تصدر الدعوة لوحدة العمل العربي عن ايمان حقيقي بخطورة الغزو الصهيوني .. وعن ايمان بحتمية الحرب الشاملة .. وان ينعكس ذلك في اجراءات تُدين وتُلغي كل ما أوجد الشقاق في الصف العربي ، كل ما بدد الطاقة العربية .. كل ما زرع الشكوك ، لدى القوى العربية ، التي تعرضت لاعمال استفزازية ونشاط تخريبي باسم الثورة الاشتراكية .. من عناصر تثبت الدلائل كل يوم انها مشبوهة الاتصال ، مريبة الأهداف ..

يجب أن ننظر الى وحدة العمل العربي ، نظرة أعمق وأكثر جدية ، من مجرد عقد مؤتمر قمة ، أو الحصول على القسط الأول والثاني .. ونشر خبر تحويله مصحوباً بتعليق مزري « وبذلك وضعت حداً للاشاعات المغرضة ... الخ » ..

لا ..

يجب أن نخطط لتحرك الجيوش وتوزيع الطيران ، وتشكيل القوات المسلحة ، على أساس وحدة الأرض العربية ، ووحدة الدم العربي .. وأن نوجه كل الطاقات لخدمة العمل المسلح .. وكلنا ثقة .. انه عندما يراق الدم ، فلن يبخل عربي بشيء ..

القوى التي تصف نفسها بالثورية ، عليها أن تبدأ هي .. بتصفية كل نشاط باسم الثورة الإجتماعية ، أو الصراع على السلطة ..

ان اصوات الانتكاسيين ، ترتفع اليوم ، محذرة ، مولولة ، من خطر مؤامرات الرجعية على الثورة .. ومحاولات الرجعيين تصفية الثورة .. الثورة التي لم تعرفهم عاملين لها .. حريصين عليها .. الا اليوم ! ..

اطمئنوا .. ان الرجعية لا تستطيع تصفية الثورة .. انما الخطر الحقيقي ، هو جيش اسرائيل .. وكل صوت يحاول أن يصرف انتباه الثوار الى خطر آخر ، هو بكل بساطة صوت الطابور الخامس ، الذي يعمل لحساب اسرائيل داخل صفوفنا ..

القوى الثورية مطالبة بأن ترفع شعار : كل البنادق ضد اسرائيل .. وأن تثبت شرفها الثوري ، بمضاعفة نشاطها من أجل حرب التحرير ضد الغزو الاسرائيلي ، جاعلة موقفها من السلطة رهيناً بموقف السلطة من هذه الحرب .. انها تستطيع ان تكتسب الشعبية ، وتنتزع القيادة من خلال قدرتها على الاخلاص والبذل لحرب التحرير ضد اسرائيل ، وليس بالأنانية والتعالي وخيانة حرب التحرير ، تحت ستار شعارات طبقية .. ان العدو ينسف البيوت ، وينهب المتاجر .. ويحرق الأرض .. ولا يترك للمستغلين والمستغَلين العرب ، الا أخوة الموت دفاعاً عن الأرض والوطن ..

في كل مرحلة تاريخية ، هناك ما يسمى بالحلقة الرئيسية ، التي بامساكها يتم الوصول والسيطرة على سائر الحلقات ..

والقيادة الناجحة هي التي تكتشف هذه الحلقة .. وتربط مصيرها بهـا ، وتُجبر جميع حلفائها ، وحتى خصومها ، على امتحان شعاراتهم وقدراتهم في هذه المعركة وحدها ..

وحرب التحرير الشاملة ضد اسرائيل هي الحلقة الرئيسية .. هي التي ستحقق كل الأهداف ..

هي التي ستحقق الوحدة العربية .. باذابتها الحدود .. وصهر الشعوب في المعركة عندما تختلط الدماء يتوحد المصير .. وبدلا من تدمير قوانا في الحديث عن الوحدة ، وادعاء العمل للوحدة العربية .. هيا نمارسها فعلا .. فتكتب وحدة الدم والعمل العربي ، وحدة المصير العربي .. ان واجب حركة التحرير المسلحة ، هو تحطيم هذه الحدود ، وعدم الاعتراف بشرعيتها كعقبة في طريق تحركها ..

مسؤولية الحكومات أن تطلب صراحة الغاء الحدود وتعلن للرأي العام العربي ، رفض أي دولة عربية دخول قوات عربية .. ما دام ذلك ضرورياً للمعركة ، لا أن نعرض استقلالنا الوطني للخطر تنفيذاً لمعاهدة الدفاع مع الذين يرفضون دخول الطائرات والقوات المصرية .. الأرض التي يحكمونها ! .

واجب حركة التحرير الغاء الجنسيات الاقليمية يجب ان تضم وحدات التحرير كل العرب .. كل المسلمين .. وان تتحرك وتضرب من كل الجبهات

وخلال هذا التحطيم الوطني ، للكيانات العاجزة .. ستولد دولة العرب الموحدة القوية القادرة على سحق ولفظ أي جسم غريب يحاول أن يندس في داخلها ..

ستولد الولادة الشرعية ، خلال الصراع ضد العدو القومي ، وليس خلال افتراس نفسها ..

حرب التحرير هي التي ستحل القضايا الاجتماعية الداخلية ، فإن اسلوب

الحياة في مجتمعات مستسلمة ، منهارة ، راكدة ، يختلف تماماً عن أسلوب الحياة في مجتمعات مقاتلة ثائرة ..

حتى قضية الحريات .. صحيح انه ما من حكومة تفكر في خوض حرب وطنية ، وتستمر في اعتقال مواطنيها .. وتسريح ضباطها ، وحكم الشعب بالمخابرات والمباحث .. وصحيح ان الوحدة الوطنية تفترض الافراج عن المعتقلين والمسجونين السياسيين وتوحيد كل القوى ضد الغازي الأجنبي .. ورغم ذلك فإن الوضع الصحيح للقضية ، هو المطالبة بتسليح الشعب وخوض الحرب ضد اسرائيل ..

ان هذا الشعار ، فضلا عن كونه يكشف طبيعة الارهاب الموجه للشعب ويكشف عن ارتباطه بخدمة الغزو الصهيوني .. وأنه موجه ضد الحرب وليس لحساب الحرب ضد اسرائيل .. فانه أيضاً يحل قضية الحرية تلقائياً .. لأن الجماهير المسلحة التي تقاتل الغازي الصهيوني ، لن تخضع لارهاب بوليسي ، ولا يمكن حكمها بالحديد والمعتقلات والمخابرات ..

ان الجماهير عندما ترفع شعار الحرب الشاملة ضد اسرائيل .. فاما أن تستجيب لها النظم ، وبذلك تتحقق وحدة الشعب والنظام ، وتختفي قضية الحريات .. أو أن يرفض النظام ، فتضيفه الجماهير الى قائمة الاعداء ، وتشق طريقها الى اسرائيل فوق انقاضه .. وتسحقه مع سحقها لجيش الاحتلال .

وبالنسبة للقوى الاسلامية ، فهي تؤمن ان الروح الاسلامية هي وحدها القادرة على خلق روح الاستشهاد ، وارادة القتال .. وأن الوحدة الاسلامية هي القادرة على مواجهة الحلف الصليبي الصهيوني .. وتصورها للقضية ، هو : اننا نواجه آخر اشكال العداء الأبدي بين الحضارة الاسلامية ، والحضارة الغربية بشقيها ؛ الرأسمالي والشيوعي ، واداة هذه الحضارة المعادية وامتدادها : الغزو الصهيوني ..

ومن ثم فليس هناك من مجال لأية أوهام حول مناصرة القوى العالمية لنا ، الى حد ازالة الوجود الصهيوني .. فرغم كل الاختلافات بين الشيوعيين والرأسماليين ، فما من قوة عالمية غير اسلامية ، ترضى بالبعث الاسلامي ، وبتحرر العرب وقوتهم .

ومع تزايد الأدلة على اللقاء الامريكي السوفيتي حول تقسيم العالم ، فاننا نخاطر بمستقبلنا ومصيرنا .. اذا علقناه على نوايا السوفيت ، إن أرضنا ، وشهداءنا ، ولحمنا الحي ، لا يمثل عند الروس أكثر من عامل من عوامل خدمة الاستراتيجية الروسية .. انهم يسمونه ، « التوتر في الشرق الأوسط » .

والخلاف بين الدول الكبرى ــ كما قلنا ــ لا يمكن أن ينفجر لحساب تحرر الشعوب بل هو غالباً ينتهي بتقسيم جديد لمناطق النفوذ ..

من هنا فإن القوى الاسلامية ، تؤمن ان النصر لن يتحقق الا بالاعتماد على قوانا الذاتية .. واننا نستطيع ويجب أن نستفيد من جميع التناقضات في صفوف الاعداء .. فقد أرسل رسول الله ، في غزوة الاحزاب ، من اثار واستغل التناقض بين اليهود وقريش ، لصالح المسلمين .. ولكن المسلمين انتصروا ، لأنه لم يساورهم وهم التحالف مع أي فريق من اعداء الله ..

فمن واجبنا ان نستغل التناقضات داخل المعسكر الرأسمالي ، وبين الشيوعيين والدول الرأسمالية ، بل وبين الدول الشيوعية ذاتها .. شرط أن نؤمن بأن قوتنا الذاتية هي وحدها التي ستقول الكلمة الفاصلة ..

والقوى الاسلامية اذ تؤمن ان المعركة ستدور هنا على أرض العرب .. فانها تؤمن أيضاً ان المواجهة العالمية للاستعمارية العالمية التي تمثلها وتستند اليها الصهيونية ، لن تتحقق ، الا بنجاحنا في تعبئة الشعوب الاسلامية معنا من أجل الحرب ضد اسرائيل .. ومساهمة كل مسلم قدر طاقته من أجل فلسطين .. عندما ننجح في اعلان جدي لنداء « الجهاد » .. وننجح في تحريك الأمة الاسلامية ، عندئذ يصبح النصر من حقنا .. وتحين لحظة فناء العنصريةالصهيونية والى الأبد ..

لنذكر اننا ٦٠٠ مليون .. واليهود ١٣ مليون وان بترول العالم القديم كله في أرض اسلامية وان المسلمين يمتدون على رقعة من الأرض بين المحيطين ، هي قلب العالم ، وتعبرها جميع الطرق الجوية والبرية العالمية ..

لنذكر أن اليهود ، يؤثرون في سياسة امريكا خلال خمسة ملايين يهودي. وان في روسيا والصين ، أكثر من مائة مليون مسلم تهفو قلوبهم لانقاذ بيت المقدس .. فلو نجحنا في ربطهم بمعركة انقاذ فلسطين .. لكان لهم من التأثير على سياسة روسيا والصين ، لمصلحة قضيتنا ، اضعاف ما تحققه سياسة القروض ، ومنح الروس قواعد ، أو السماح لهم بانشاء احزاب عميلة في بلادنا ..

القوى الاسلامية ، تؤمن بالاسلام عقيدة للجماهير المقاتلة ضد اسرائيل .. وبالوحدة الاسلامية يمكن أن نحقق المواجهة العالمية المنتصرة ..

ومع ذلك فإن القوى الاسلامية لا تشترط التسليم بوجهة نظرها كثمن لخوض الحرب .. ولا تفكر في تأجيل هذه الحرب حتى يتم الاقتناع بمبادئها .. بالعكس .. انها تؤمن أن خوض هذه الحرب هو السبيل لانتصار افكارها . فعلى لهيب حرب التحرير الطاهرة .. ستُمتحن كل الشعارات ، ستصقل كل الأسلحة ، فيحترق الزائف والدخيل .. ستتعلم الجماهير بخبرتها ، ستثبت الروح الاسلامية تفوقها من خلال تفوق المؤمنين بها ، وستتحقق الوحـــدة الاسلامية والبعث الاسلامي ، من خلال تلبية دعوة الجهاد .. وممارسته ضد الغزو الصهيوني ..

ولا يعني طرح شعار حرب التحرير الشاملة ، اننا سنقهر اسرائيل خلال ايام أو شهور أو سنين .. لا .. ان ابادة الوجود العسكري الصهيوني ، المدعوم بالعون الأمريكي، ليس نزهة ، كما كان الأفاقون يصورونه لجماهيرنا .. بل معركة ، طويلة ، مريرة .. ربما لن يقدر لأحد من جيلنا أن يعيش نهايتها ..

ولكنها معركتنا المحتومة .. وهي الاختيار الوحيد امامنا .. وأهم من ذلك ، انها ليست معركة عسكرية عادية ، لا نجني ثمرة النصر فيها الا بعد انتهاء الحرب .. بالعكس ، لأنها معركة الوجود القومي ، فإن ثمرة النصر فيها ، تبدأ مع أول طلقة ، مع أول صيحة للقتال ، مع أول جندي تتجسد فيه ارادة القتال ، تصبح ارضنا أرض النصر ، وامتنا هي الأمة المنتصرة .. خلال القتال سنحقق تطورنا .. وبسرعة مضاعفة .. سنتخلص من كل عناصر التخلف والانهيار الحضاري .. ستبرز خصائص التفوق ، القادرة على الصمود .. فليس أفضل من الحرب مناخاً لقانون الانتخاب الطبيعي ..

ستوجه كل طاقاتنا ومواردنا وكفاءاتنا في اتجاه واحد .. ستتآكل كـــل

الاجزاء الهشة في الوجود العربي ، سيدمر كل ما شادته قرون التبعية والانهيار .. ويبزغ من بين الركام ، صرح حضارتنا الشامخة ، وتدب الحياة في جذورها العريقة الخالدة ، فتعود تورق من جديد .. عندما نسقيها بالدم الطاهر ..

انها حربنا .. حرب كل أمة كتبت لها الحياة .. ان الخروج اليسير ، لقوات الاحتلال القديم ، اضاع علينا فرصة البعث .. فرصة الاحتراق .. لنولد من جديد .. فلعل ارادة الله ساقت الينا هذه الحرب ، لكي نولد خلال النار التي تحرق العنقاء العجوز ، لتخرج من لهيبها عنقاء شابة جبارة .. فليس المهم أن نحدد موعد النصر .. المهم أن نبدأ زحفنا من أجل النصر ..

ان الصين حاربت ثلاثين عاماً .. وفيتنام ما زالت تقاتل منذ ربع قرن .. واليهود يتآمرون على العودة منذ الفي سنة ! ..

ليس المهم أن نعيش نحن لحظة النصر ، المهم أن نبدأ نحن الطريق لجيل النصر ..

ليكن شعارنا :

الحرب ضد اسرائيل ..

الآن ..

وعلى جميع المستويات ..

وفي كل الجبهات ..

ان أعظم انتصاراتنا .. ان نموت مقاتلين اسرائيل ..

الفهـرست

الصفحة

خطبة الكتاب ٧

القسم الاول : من فكر النكسة

هزيمتنا كانت شاملة ٢١
إبادة الوجود العربي ٥٤
الاشتراكية والوحدة ٦٣
الحرب القومية ٧١
دفاع عن الحكم العسكري ١٠٦
الدين هو التخلف ! ١١٥
الجهل بالاسلام ١٦٩

القسم الثاني : إرادة القتال

الحل السلمي ٢٠١
الرأي العام العالمي ٢٢٣
كسب الوقت ٢٣٦
الجيش الشعبي ٢٣٩
المقاومة في سيناء ٢٤٧
احتمالات الغزو ٢٥٤
أيهما أولاً ٢٥٩

القسم الثالث : حرب تحرير شاملة

الحرب أو الفناء ٢٦٥
حرب وطنية ٢٧١
جبهة وطنية ٢٧٥
وحدة العمل العربي ٢٧٨

صدر للمؤلف

الغزو الفكري	الطبعة الثالثة	٤٥٠ فلس
دراسة في فكر منحل		٤٠٠ فلس
القومية والغزو الفكري		٦٠٠ فلس
أخطر من النكسة		٣٥٠ فلس
ايللي كوهين .. من جديد		٢٠٠ ق . ل .
ماذا يريد الطلبة المصريون	الطبعة الثانية	٢٠٠ ق . ل .
الطريق إلى مجتمع عصري		٥٠ ق . ل .
من احوال المصطفى		٥٠ ق . ل .
حكايات عن عمر		٥٠ ق . ل .
الحق المر		٥٠٠ مليم مصري
الماركسية والغزو الفكري	الطبعة الثالثة	٥٠٠ ق.ل.
طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية		٢٠٠ ق.ل.

تطلب هذه الكتب من :

. مكتبة الأمل — السالمية — الكويت
. دار الارشاد — الخرطوم ص ب ١٧٤٧ — السودان
. دار الارشاد — بيروت ص ب ٦٣٤٧ — لبنان
. دار الكاتب العربي — بيروت ص ب ٣١٥٧ — لبنان
. مكتبة الفكر — طرابلس — ليبيا

هذا الكتاب

• دعوة الى مواجهة الغزو الصهيوني من خلال جبهة وطنية فوق كل الخلافات .. جبهة تجند طاقات الأمة العربية والوطن الاسلامي في حرب شاملة على كل الأرض من أجل إبادة الوجود الصهيوني .

• وهو يؤمن أن الأمم لا تنهزم عند خط النار .. بل تعلن هزيمتها هناك .. إنما تنهزم الأمم أولاً في عقائدهـــا .. في الفكر الموجه لسياستها . لذا فهو يناقش الفكر الذي صنع النكسة ، ويكشف جذوره وأبعاده .. الفكر الذي مزق وحدة الأمة العربية ، وعزل الثورة العربية عن جماهيرها المسلمة . وحاول أن يضلل الجماهير عن عقيدتها ، القادرة وحدها على تحقيق النصر .

• وهو يناقش الحلول الاستسلامية التي تحاول حماية النظم على حساب الوطن وتجري وراء سراب الحل السلمي . وهي لا تبحث إلا عن حـــل لأزمة حكمها ، يضمن استمرار هذا الحكم ، واستمرار شله لإرادة الجماهير ..

• وهو يضع لأول مرة خطوط برنامج تتقدم به القوى الاسلامية من أجل جبهة وطنية ، تحرر الوطن ..

(. . . .)